الفريق أول

محمد فوزي

الإعداد لمعركة التحرير

١٩٦٧-١٩٧٠

فريق متميزون
E-BOOK

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

الإعداد لمعركة التحرير

١٩٦٧-١٩٧٠

الفريق أول محمد فوزي

إهداء..

أُهدي كتاب «الإعداد لمعركة التحرير» إلى أرواح شهداء الجولة الرابعة من الصراع العربي-الإسرائيلي والذين تحملوا صدمة الهزيمة المُرَّة وحولوا بدمائهم مسيرة الصراع لتكون نقطة تحول تاريخية، قلبت الوضع العسكري والسياسي خلال ثلاث سنوات إلى حالة من التوازن في القوى مكنت مصر من النهوض والاستمرار في الصراع والتحدي، حتى إن العدو أُجبر على طلب وقف إطلاق النار المؤقت في أغسطس ١٩٧٠، بعد أسبوع تساقط طائراته، فجاء ذلك اعترافًا منه بتجاوز القوات المسلحة - بقدراتها الجديدة - لهزيمة يونيو في كبرياء وشمم.

إن هذه الأرواح بَذَلَت أغلى ما لديها في سبيل الحفاظ على الوطن ونظامه وتقاليده لتسجل تاريخه خالدًا أبد الدهر.

يوليو ١٩٩٩

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تنويه

قبل طبع ونشر كتاب «الإعداد لمعركة التحرير» اطلعت على نص القانون رقم ١٢١ لعام ١٩٧٥ بشأن المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وتنظيم أسلوب نشرها الصادر في ١٣ يناير ١٩٧٥.

كما اطلعت على نص القانون رقم ٢٢ لعام ١٩٨٣ بتعديل بعض أحكام القانون رقم ١٢١ لعام ١٩٧٥ بشأن المحافظة على الوثائق الرسمية للدولة وتنظيم أسلوب نشرها الصادر في ٥ مايو عام ١٩٨٣.

ويهمني أن أؤكد أن محتوى كتاب «الإعداد لمعركة التحرير» لا يتعارض مع القوانين المشار إليها، سواء من الناحية الموضوعية أو الزمنية، ولذا وجب التنويه.

يوليو ١٩٩٩

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة

الاستراتيجية العليا - كما عرفها «ليدل هارت» - «هي فن استخدام وحشد وتنمية وتنسيق وتوجيه موارد الدولة لتحقيق الهدف السياسي للأمة في الحرب». ومنذ ذلك الوقت اندمجت موارد الدولة المادية والمعنوية والحضارية والبشرية والمصالح المختلفة للشعب، مكونة العناصر الأساسية التي تشكل قاعدة ومنطلقًا لتخطيط الاستراتيجية العليا للأمة، وأصبحت القوات المسلحة - بوصفها جزءًا عضويًّا لا يتجزأ من الشعب - من أهم أدوات التنفيذ العملي لهذه الاستراتيجية العليا.

وينبثق عن الاستراتيجية العليا للدولة توجيهات محددة وواضحة لنطاقات العمل العسكري لأي دولة يطلق عليها اسم «الاستراتيجية العسكرية»، تعالج في الأساس شؤون الدفاع عن الدولة والتزاماتها العسكرية.

وكان مفهوم الاستراتيجية بوجه عام غريبًا على المصريين، بمن فيهم العسكريون، في ظل عهد التبعية للسيطرة البريطانية التي كانت تركز على توظيف موقع وقدرات مصر لخدمة الاستراتيجية البريطانية دون النظر إلى إمكانية تبلور استراتيجية مصرية مستقلة تتلاءم مع احتياجات أمنها القومي.

لكن هذا الوضع تغير بعد قيام ثورة يوليو التي هيأت للمصريين - لأول مرة منذ عصور طويلة - فرصة امتلاك قرارهم في إطار وطني وقومي بعيد عن التبعية، ومن ثم فقد بدأت الثورة في وضع الخطوط العريضة لسياسة داخلية وخارجية تلبي الاحتياجات المصرية والعربية فقط، وترتكز على مبدأين أساسيين، هما: الأمن والتنمية. وكان معنى ذلك في الوقت نفسه هو اختيار الطريق الأصعب لما ينطوي عليه هذا التخطيط من تصادم مع المصالح الاستعمارية وسياسات فرض النفوذ الأجنبي بكل أشكاله، وتعارض مع توازنات القوى، أخذًا في الاعتبار فارق الخبرات السياسية والعسكرية التي كانت كلها في جانب المستعمر الأجنبي.

وقد أدركت ثورة يوليو منذ البداية أن الأمن القومي غير قابل للتحقيق بصورة كاملة بواسطة قطر واحد من أقطار الوطن العربي، ومن الأهمية بمكان تجميع طاقات وموارد الأمة العربية بوصفها كتلة جغرافية واقتصادية واحدة.

ونفس الأمر بالنسبة للتنمية الشاملة المستقلة، ففي ظل تغلغل النفوذ الأجنبي وتنوع الموارد بمختلف أنواعها من قطر لآخر، لم يكن متاحًا لأي قطر إنجاز معدلات التنمية المطلوبة بصورة منفردة وبمعزل عن باقي الأقطار الأخرى، ولا بد من إيجاد الصيغة المناسبة لإنجاز أكبر قدر ممكن من التكامل والتنسيق بين هذه الأقطار لتحقيق المعدلات التنموية المطلوبة.

وقد اعتمدت قيادة الثورة منذ البداية على منهج التخطيط، وكان تنفيذ الخطة الخمسية الأولى ١٩٦٠-١٩٦٥ بعزم وإرادة الشعب الذي بلغ تعداده وقتها أكثر من ثلاثين مليون نسمة، وأثمرت معدل نمو بلغ حوالي ٦.٦٪ من إجمالي الإنتاج

القومي، وذلك بعد فترة شهدت سلسلة من القرارات والإجراءات التي استهدفت تقليص التواجد والنفوذ الأجنبي في مصر من جانب، وتوفير الحد الأدنى من التوازن الاجتماعي والاقتصادي بين فئات الشعب من جانب آخر. ولكن هذه الاستراتيجية واجهت حربًا شرسة من جانب الغرب بزعامة الولايات المتحدة التي ركزت جهودها - كوريثة للاستعمار القديم - على تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية:

- الأول: تأمين الكيان الإسرائيلي الذي زُرِع في جسم الأمة العربية وتعظيم قوته وحماية تفوقه على جميع الدول العربية، مع بذل الجهد لإضعاف العرب بكل السبل والحيلولة دون امتلاكهم لعناصر القوة الفعالة.

- الثاني: ضمان استمرار خضوع الدول العربية للسيطرة الغربية من خلال سياسات الربط السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية في الشرق الأوسط.

- الثالث: تأمين تدفق الإمدادات البترولية للدول الصناعية وبأرخص الأسعار، وضمان الاستثمارات الغربية في قطاع البترول، والتصدي لأية تهديدات من جانب القوى الإقليمية للمصالح البترولية الغربية والأمريكية في المنطقة.

وبدأت قوى التحالف الغربي، بزعامة الولايات المتحدة، في طرح مشروعاتها التي تعبر عن الاتجاهات السابقة، مرة باسم «نظام الدفاع عن الشرق الأوسط»، ومرة باسم «قيادة الشرق الأوسط»، لكن مصر تصدت لكل هذه المشروعات، وسعت إلى إقناع الدول العربية الأخرى بضرورة رفضها، مما أدى إلى نشوب مواجهة ساخنة بين مصر والولايات المتحدة في المنطقة.

ولما كان نجاح استراتيجية أي دولة يستلزم تخطيطًا محكمًا يأخذ في حسبانه كافة الظروف المحيطة، ويقتضي توفر الدراسات الدقيقة العسكرية والسياسية والاقتصادية بالإضافة إلى توفر نظام معلومات جيد يخدم صانع القرار، فقد واجهت مصر صعوبات كبيرة في هذه المواجهة؛ فرغم ما حظيت به الثورة من تأييد حماسي على مستوى الوطن العربي كله إلا أن الظروف الصعبة التي واجهتها في الداخل والخارج لعبت دورًا في إجهاض بعض السياسات وحولت الاهتمام عن كثير من الأولويات التي كانت الثورة تطمع في إنجازها منذ البداية.

كذلك لم تتمكن الثورة من توفير نظام تشريعي وقانوني قوي يحدد العلاقات والمسؤوليات والصلاحيات لتنظيم شؤون الدفاع عن الدولة أو وضع نظام للقيادة والسيطرة على القوات المسلحة وأفرعها الرئيسية، مما أدى إلى اختلاط المستوى السياسي بالمستوى العسكري والاستراتيجي وتمييع المسؤولية بينهما.

لقد كان عقد الستينيات ذاخرًا بالجهود العسكرية لمصر الثورة، وبدرجة فاقت في حجمها وأهميتها أية عقود سابقة، وقد نبعت في معظمها من الالتزامات القومية التي تحملها جمال عبد الناصر منفردًا، لكنها ساهمت في تقليل قدرته على المناورة السياسية في مواجهة أعداء الأمة العربية، ودفاعه عن كل جزء من أجزاء الوطن العربي يتعرض لتهديد أو عدوان.

ولم يكن في وسع جمال عبد الناصر أن يتخلى عن هذه الالتزامات أو يسمح باستمرار التهديد دون أن يتدخل، مستخدمًا قدراته المحدودة وفاء لميثاق التضامن والدفاع المشترك الذي وقعته مصر والتزمت به منذ عام ١٩٥٠.

كذلك أضافت التزامات الأمن الداخلي ونشوء بيروقراطية عسكرية عبئًا جديدًا يضاف إلى الضغوط السياسية الخارجية. وعندما سنحت الظروف لإنهاء البيروقراطية العسكرية واحتواء الضغوط الداخلية، انطلق المواطن المصري المؤمن بثورته الوطنية، وأهدافها للمشاركة بفاعلية في مقاومة الضغوط الخارجية متضامنًا مع قائده وزعيمه، وأعطى مثالًا فذًّا في الدفاع عن الوطن، الأمر الذي جعل العدو الصهيوني يعترف بقدراته بعد أن واجهه مواجهة مباشرة، وبعد أن تحرر من التبعية الاستعمارية والدعايات المضللة، مما ساعد على الوقوف ندًّا عنيدًا محافظًا على توازن القوى لصالحه.

إن العداء المتوارث بين العرب وإسرائيل منذ القدم، والذي ازداد عمقًا وتأثيرًا بعد مذابح الإسرائيليين للعرب في الأعوام ١٩٤٧، ١٩٤٨، ١٩٤٩، ١٩٥٦ و١٩٦٧ جعل الصراع المسلح بينهما أمرًا حتميًّا، ومن المؤكد أن الصراع بين العرب وإسرائيل لا يزال صراعًا بعيد المدى حول الوجود مهما كانت التحفظات.

ومن هنا قصدت أن أضع أمام القارئ جانبًا من صور المواجهات الاستراتيجية العسكرية التي خاضتها ثورة يوليو في سعيها لتحقيق «الأمن والتنمية»، ليس في مصر وحدها وإنما على مستوى الأمة العربية ككل، على أن الهدف الرئيسي لهذا الكتاب هو تناول فترة من أحرج الفترات التاريخية التي واجهتها مصر بعد أن تكالبت عليها قوى البغي والعدوان في يونيو ١٩٦٧، ساعية إلى ضرب طموحاتها، وعزلها عن أمتها العربية، ووقف مسيرة التنمية والبناء التي استهدفت توفير موقع متميز لها ولشعبها على خريطة العالم، وتضامنت معها - دون قصد - قوى داخلية أصابها من قصور الفكر وغياب الرؤية ما ساعد العدو الأجنبي على تحقيق بعض أهدافه.

لكن القيادة الواعية لجمال عبد الناصر، وإيمانه العميق بالقدرات الخلاقة للإنسان المصري والعربي، وتضامن الشعوب العربية والقوى الدولية المناصرة لحركة التحرير، وإصرار الشعب المصري على أن يستمر عبد الناصر قائدًا للمسيرة ومحتلًا لموقعه في مقدمة الصفوف حتى تتم إزالة آثار العدوان، كل ذلك أدى إلى تعديل جوهري في الموقف السياسي والعسكري، وتصحيح الخلل الكبير الذي أحدثته النكسة في معادلة التوازن مع العدو الإسرائيلي.

وشكل هذا التصميم والالتحام بين القيادة والشعب قوة الدفع الأساسية في فترة السنوات الثلاث التي أعقبت نكسة يونيو، فاجتمعت مصر كلها تبذل الجهد والمال والدم لتهيئة الظروف لإعداد القوات المسلحة والدولة ومسرح العمليات لمعركة التحرير وفقًا للمبدأ الذي أعلنه جمال عبد الناصر: «ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة».

ومن ثم كانت النتيجة التي عكست نجاح القوات المسلحة في استعادة عافيتها بعد حالة الانهيار الكامل التي أصابتها في يونيو ١٩٦٧، وكانت حرب السنوات الثلاث التي جاء الاعتراف الإسرائيلي واضحًا بأنها «الحرب التي خسرتها إسرائيل» ومثلت التمهيد الفعَّال لمعركة العبور عام ١٩٧٣.

أضع هذه الصورة من واقع مسؤوليتي عن قيادة العمل العسكري في هذه المرحلة أمام جيل من الشباب بعدت بهم الشقة عن أحداث الستينيات، ويتلقون معلوماتهم عنها من كتابات في الداخل والخارج تفتقر إلى كثير من ضوابط التوثيق وعناصر الموضوعية.

وتبدو ضرورة هذه المهمة من واقع اعتقادي الراسخ بأن الصراع بين مصر وإسرائيل لم ينته بعد، وأن مصر لا تزال تمثل رأس الحربة في هذا الصراع امتدادًا لاستراتيجية الستينيات.

وإذا كانت القوى المعادية قد نجحت حتى الآن في تجميد سير التعاون العربي على الصعيد الدفاعي والأمني بصفة خاصة، وتعميق الاتجاهات القطرية على حساب التكامل القومي، فقد فشلت هذه القوى في وقف برامج التنمية الشاملة بعد عدوان ١٩٦٧، وتقديري أن مفتاح النهضة المصرية في القرن القادم يعتمد وبصورة كلية على تحقيق هذه التنمية الشاملة التي لو تحققت لأمكنها إزالة الخطر الإسرائيلي دون قتال.

ولما كانت المعارك التي خاضتها الثورة لتحقيق الأمن القومي كثيرة نسبيًّا خلال عقود ما بعد الثورة، فقد رأيت أن أتناولها في أحرج المواقف الاستراتيجية في هذا العصر، حيث يتناول الكتاب بداية تطبيق الاستراتيجية العسكرية في معارك التحرر الوطني والإقليمي بعد نكسة عام ١٩٦٧، مع تغطية انطلاقة المواطن المصري بعد أن تخلص من البيروقراطية العسكرية، ورفع عن كاهله الضغوط الداخلية، وركز جهوده على مواجهة العدو بصورة مباشرة في معارك تمهيدية استغرقت ثلاث سنوات متصلة (١٩٦٧-١٩٧٠) أطلق عليها اسم «حرب الاستنزاف».

إن الاستراتيجية العسكرية سوف تستمر على أكتاف أبنائها المصريين المخلصين كي يتمكنوا بعرقهم ودمائهم من التصدي لأطماع وصلف جيرانهم أعداء الوطن العربي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول

الموقف العام

الموقف الخارجي

أولًا: محاولات ربط الشرق الأوسط بالمعسكر الغربي

بدأت الولايات المتحدة كزعيمة للتحالف الغربي في طرح مشاريعها لربط المنطقة بالمعسكر الغربي وخدمة الأهداف الاستراتيجية للغرب في الشرق الأوسط، وجاء اقتراح إقامة منطقة الدفاع عن الشرق الأوسط، في صورة بيان ثلاثي أصدرته كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا في ٢٣ مايو ١٩٥٠ بدعوى تحقيق الاستقرار في المنطقة والدفاع عنها ضد أي تغلغل شيوعي، ولكنه كان في الحقيقة وسيلة لإيجاد بديل للسيطرة الاستعمارية التقليدية والمباشرة وضم دول المنطقة إلى تحالف يفتقد الندية والهدف المشترك، وتم التعامل مع هذه المبادرة من خلال مواجهات دبلوماسية تأخذ في اعتبارها عدم الرغبة في الصدام وتأكيد الولاء للغرب وللنفوذ البريطاني الأمريكي على وجه الخصوص.

ثم جاءت بعد ذلك مبادرة إنشاء حلف بغداد لاستكمال سلسلة الأحلاف التي تحيط بالاتحاد السوفيتي، وخلق البيئة المناسبة لنمو الدولة الإسرائيلية في فلسطين باعتبار أن الهدف الأهم في تلك المرحلة هو التصدي للمد الشيوعي القادم من الاتحاد السوفيتي.

ولكن في هذه المرة كانت قد وقعت تغيرات جذرية في المعادلات السياسية والاستراتيجية في الشرق الأوسط بقيام ثورة يوليو، وبداية تبلور حركة قومية عربية في سوريا، وكلتاهما تعمل في اتجاه واحد هو استكمال عملية التحرر السياسي والاقتصادي من السيطرة الأجنبية، وإعادة بناء الهوية القومية في كل أرجاء المنطقة.

ومن ثم كانت الصدمة فالصدام، تمثلت الصدمة في بروز قوة إقليمية ترفض السيناريو الذي وضعته قوى التحالف الغربي للمنطقة وتقدم بديلًا عنه جدول أعمال يحمل أولويات مخالفة تمامًا طرحتها ثورة يوليو كأهداف استراتيجية لمصر وللعرب، وقاد ذلك بدوره إلى الصدام بعد فترة شعر الغرب خلالها بصعوبة احتواء القوة البازغة الجديدة، ولم يستوعب حجم التغيير الذي أحدثته هذه القوة على مستوى المنطقة كلها، وانفجرت سلسلة من الصراعات اقتضت في أحيان كثيرة استخدام القوات المسلحة.

ثانيًا: أولويات ثورة يوليو ومقاومة النفوذ الأجنبي

لقد عادت مصر إلى ممارسة دورها الطبيعي الذي هيأته لها الجغرافيا والتاريخ، وكما يقول جمال حمدان: «في الشرق القديم كانت مصر تدافع عن نفسها وعن المنطقة في آن واحد حيث كانت تتحمل دائمًا ضريبة الموقع وثمن الحماية. ومنذ الإسلام، وبعد أن أضيف للخط الاستراتيجي الخط الديني، أصبحت مصر سور

العرب، وقلعة الإسلام. وإذا كان الدم المصري لم ينتشر خارج مصر كثيرًا عقب الهجرة فقد انتشر إلى أبعد الآفاق حولها في الوطن العربي بمعنى البذل والقتال بحكم أن مسؤولية الدفاع عن العرب قد وقعت عليه تاريخيًّا، واختلط رمل الصحراء العربية بدم المصريين إلى أقصى مدى تعرفه وحدة الدم والتراب».

ويخلص جمال حمدان من هذا الوصف الرائع إلى أن مصر كانت عاصمة العرب والإسلام «بالمفهوم السياسي والعسكري، ومن هنا أصبحت مفتاح العالم العربي، إن سقطت سقط، وإذا فتحت فتح، ولذا كان الاستعمار يركز ضربته الأولى والقصوى على مصر ثم ما بعدها يسهل أمره»([1]).

ومن وجهة نظر الفكر الاستراتيجي الغربي فإن منطقة الشرق الأوسط هي «بطن أوروبا الضعيف»، فمن يسيطر على البطن يمكنه أن يسيطر على كل الجسد. وأن مصر هي قلب الشرق الأوسط، ويجب الانتباه دائمًا إلى تعويق اتصالها الجغرافي بمشرق العرب ومغربهم، وإبقائها داخل حدودها وتطويق دورها الإقليمي بكل السبل مع اتخاذها في الوقت نفسه كنقطة ارتكاز للتحكم في كل الشرق الأوسط كلما أمكن ذلك.

إن محددات هذا الفكر الاستراتيجي هي التي دفعت «نابليون» للقيام بحملته على مصر في أواخر القرن الثامن عشر، ومحاولة اتخاذها قاعدة للهيمنة على المنطقة، وهي التي دفعت إلى التصدي للنشاط العسكري لمحمد علي ونجله إبراهيم باشا وإجباره على العودة داخل الحدود المصرية في منتصف القرن الثامن عشر ثم إلى نزول القوات البريطانية إلى مصر، وما زالت هذه المحددات تمارس فاعليتها حتى اليوم.

ولقد وضح التناقض الحاد والجوهري مع الفكر الاستراتيجي الغربي في مرحلة مبكرة منذ أن حددت ثورة يوليو أولوياتها الأمنية ضمن دوائر ثلاث، هي العربية والأفريقية والإسلامية، وجعلت من قضية الاستقلال ومقاومة النفوذ الأجنبي هدفًا استراتيجيًّا، ومن ثم توالت المواجهات التي أقنعت الغرب بصعوبة تطبيق أساليب الاحتواء والسيطرة كما كان سائدًا في الماضي.

فلم تكد معركة حلف بغداد تنتهي بفشل المخطط الغربي حتى ظهر اتجاه عبد الناصر للتعاون مع قوى دولية أخرى يناصبها الغرب العداء، بل والعمل مع كل من «تيتو» و«نهرو» لخلق تجمعٍ جديد يسعى لتقديم نفسه كقوة ثالثة هو تجمع «عدم الانحياز» والذي واجه تحفظًا ومعارضة من كلتا القوتين العظميين، الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، وإن كانت موسكو قد رأت من جهتها أن قيام هذا التجمع يمثل خصمًا للنفوذ الاحتكاري الغربي.

ثم كانت معركة السد العالي وتأميم القناة، وعدوان ١٩٥٦، وكان كلاهما إعلانًا بقدرة دولة صغيرة - كانت تنتمي في السابق للتاج البريطاني - على تحدي أكبر قوى استعمارية في العالم وكشفت تهاوي استراتيجيات أغفلت القوى الثورية الوليدة في العالم الثالث من حساباتها، وما زالت تعتبر النظام العالمي معنيًّا فقط بدول

الشمال، ومن ثم يمكن اعتبار الانتصار السياسي الذي تحقق في عام ١٩٥٦ بمثابة نهاية رسمية لقوى الاستعمار القديم، ونقطة فاصلة بين عصرين.

ثالثًا: «مبدأ أيزنهاور» والرد القومي العربي عليه

وحاولت السياسة الأمريكية أن تقدم بديلًا جديدًا فيما عرف باسم «مبدأ أيزنهاور» والذي ينطلق من الاعتقاد بوجود «فراغ للقوة» في منطقة الشرق الأوسط بعد انسحاب قوى الاستعمار القديم بما يمثل تهديدًا لمصالح الغرب في المنطقة، ويشجع على التدخل الشيوعي، ومن ثم فقد استهدف هذا المبدأ توفير شرعية للتدخل المباشر بما في ذلك التدخل العسكري إذا ما تعرضت هذه المصالح للخطر، وقد واجه هذا التحرك الجديد معارضة شديدة من جانب القوى القومية، كما حدث للمشروعات السابقة، ومن جانبها فقد حرصت واشنطن ولندن على تطبيقه عمليًّا بالتواجد العسكري المباشر في كل من لبنان والأردن عندما شعرت باختلال التوازن الذي أحدثه قيام ثورة العراق في يوليو ١٩٥٨.

وبالطبع فلم يقف الغرب صامتًا، بل اتجه للتعاون مع قوى إقليمية أخرى عربية وغير عربية، واستقطاب جماعات وعناصر موالية لهم من داخل سوريا نفسها، وكانت حركة الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ التي أنهت أول تجربة وحدوية عربية متكاملة في العصر الحديث، ولكن وبرغم قسوة التجربة فلم يُبد عبد الناصر أي استعداد للتراجع، وفي الوقت الذي ركز فيه على إعادة البناء الداخلي على الصعيدين الاقتصادي والسياسي داخل مصر فيما سمي بمرحلة التحول الاشتراكي وتنفيذ أول خطة تنمية خمسية ١٩٦٠-١٩٦٥ محققة بالفعل نجاحات كبيرة، إضافة إلى إعادة تنظيم هياكل الدولة السياسية، كان التدخل المصري في اليمن لحماية النظام الجمهوري هناك، وتجميع الصفوف العربية من خلال صيغة مؤتمرات القمة التي بدأت بالقمة العربية في يناير ١٩٦٤ تعبيرًا عن عزم عبد الناصر لمواصلة المسيرة القومية، والتصدي لكل القوى التي تعمل على الرجوع بالوطن العربي إلى عهود التبعية والتخلف. كما واصلت مصر جهودها لاستكمال عناصر عملية التحرر في القارة الأفريقية، وبناء حركة «عدم الانحياز» على المستوى العالمي.

رابعًا: تصاعد حدة المواجهة

وكان من نتيجة ذلك كله أن شهدت فترة الستينيات تصعيدًا حادًّا في المواجهة بين الحركة القومية العربية بزعامة عبد الناصر التي اكتسبت مواقع جديدة في الجزائر واليمن والعراق، وبين المعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة، وكانت خبرة الخمسينيات قد ولدت تنبيهات قوية للغرب لم تقابل بنفس القدر من الحذر واليقظة لمضاعفاتها من جانب القوى الثورية والوطنية في المنطقة، واتخذت هذه المواجهة شكل التصعيد والملاحقة أحيانًا، وشكل الاستعداد والاستفادة من دروس الخمسينيات في أحيان أخرى، وبما يمكن عرضه في الآتي:

١ - سلاح البترول

مثلت عملية قطع إمدادات البترول عن الغرب خلال معركة العدوان الثلاثي ١٩٥٦ صدمة شديدة لأوروبا، فلأول مرة يستخدم فيها سلاح البترول لخدمة القضايا

القومية، ودون أية استعدادات مسبقة لدى المستهلكين في أوروبا في شهور الشتاء القاسية. ومن ثم فقد اتجه الغرب للتفكير في بدائل بعيدة المدى إلى جانب تأمين هيمنتهم على مواقع الإنتاج، الأمر الذي انعكس في الخطوات التالية:

أ) تكثيف النشاط الاستكشافي لمصادر البترول في غرب البحر المتوسط وبخاصة في ليبيا ونيجيريا التي تساعد على تجنب استخدام قناة السويس إضافة إلى فنزويلا وبحر الشمال.

ب) الاتجاه إلى بناء الناقلات الكبيرة التي تصل حمولتها إلى نصف مليون طن للاستعانة بها في نقل أكبر كمية ممكنة عبر رأس الرجاء الصالح في حالة إغلاق القناة مرة أخرى أو تهديد خطوط الأنابيب.

ج) إحكام السيطرة السياسية والاقتصادية على موارد البترول في منطقة الخليج سواء من خلال الشركات الغربية أو بواسطة الحكومات، وكان التحرك البريطاني في عام ١٩٦٥ للتصدي للدور المصري الهادف إلى المحافظة على عروبة الخليج، وقيام جامعة الدول العربية بتحرك جاد، وإعداد العديد من المشروعات في هذا المجال وإنشاء صندوق خاص لتمويل هذا البرنامج، وهو ما واجهته بريطانيا بإنشاء صندوق مضاد، كان الهدف منه هو الحيلولة دون تواجد عربي مؤثر في المنطقة.

٢ - انقلابات في العالم الثالث

وقوع سلسلة من الانقلابات في القارة الأفريقية وبعض دول العالم الثالث تتميز كلها بانتمائها لقوى التحرر وتحدي كل صور التبعية، مما أوحى بأن الهدف الحقيقي هو إضعاف حركة التحرر على المستوى العالمي، وحرمان القيادات الثورية في مصر من بعض مصادر قوتها، خاصة أن زعماء هذه الدول كانوا بمثابة حلفاء أقوياء لعبد الناصر، من أمثال «نكروما» و«موديبو كيتا» و«سوكارنو»، علاوة على تقوية تحالفاتهم في القرن الأفريقي وبخاصة مع إثيوبيا.

٣ - تجهيزات إسرائيل العسكرية

كثفت إسرائيل جهودها لتطوير قدراتها العسكرية في مختلف المجالات مع التدخل باستمرار بواسطة أجهزة المخابرات أو تحريض الدول الغربية للحد من تنامي القدرات العسكرية العربية، كما حدث في برنامج إنتاج الصواريخ أرض-أرض. لكن الأهم من ذلك أنها - وفي مرحلة مبكرة في الستينيات - وضعت خطة للعدوان البري على سيناء أطلقت عليها اسم «صهيون»، وخطة أخرى لتوجيه ضربة جوية ضد الطيران المصري أطلقت عليها اسم «كولمب» كانت تعتمد على مفاجأة مصر بالطيران المنخفض جدًّا فوق سطح البحر من شواطئ إسرائيل إلى شمال سيناء وبورسعيد. وقد كشف هذه الخطط بالفعل الجنرال «بيليد» في عام ١٩٦٩ عندما وصف حرب ١٩٦٧ بقوله: «إن تخطيط المعركة كان هجوميًّا عدوانيًّا تم بتدبير وتخطيط مع الأجهزة الأمريكية، ولم تكن حربًا دفاعية خاضتها إسرائيل مرغمة ردًّا على استفزازات عبد الناصر»، كما أيد هذا القول عدد من السياسيين

والعسكريين في مقدمتهم «أبا أيبان» وزير الخارجية، وقائد الطيران «هود» والذي أعلن أن استعدادات حرب ١٩٦٧ بدأت منذ حرب السويس مباشرة وجرى التدريب على هذه الخطط عشرات المرات طوال النصف الأول من الستينيات.

وإزاء وضوح الأهداف البعيدة لإسرائيل في العمل العسكري فقد حرصت على تنويع مصادر تسليحها والبحث باستمرار عن مصادر بديلة تحسبًا للتغيرات السياسية أو الدولية، ومن ثم كان اتجاهها للولايات المتحدة كمورد رئيسي للسلاح الإسرائيلي بعد تراجع فرنسا تدريجيًّا في عهد «ديجول» عن القيام بهذا الدور مع استخدام النفوذ الأمريكي لفتح قناة مماثلة لدى ألمانيا الغربية.

ففي ذلك الوقت ساعدت واشنطن إسرائيل على عقد صفقة تسليح ضخمة مع ألمانيا الغربية تشمل دبابات، ومدرعات، وناقلات جنود مدرعة، ومدافع مضادة للطائرات، ومدافع ميدان بعيدة المدى ذاتية الحركة، وطائرات قاذفة، وأخرى للاستطلاع والمراقبة الجوية، وغواصات وزوارق طوربيد. وكان من نتائج هذه الصفقة اشتعال حالة من التوتر الحاد بين العرب وألمانيا. وقامت مصر بتوجيه الدعوة لرئيس جمهورية ألمانيا الديموقراطية لزيارتها، مما اعتبر عملًا استفزازيًّا ضد بون. وتصاعدت الأزمة حتى اتخذت الجامعة العربية قرارًا يوصي بقطع العلاقات مع ألمانيا الغربية.

٤ - تكثيف الضغوط على مصر

عبرت السياسات السابقة عن اتجاهين أساسيين في الأوضاع الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط.

يتمثل الاتجاه الأول في فقدان الثقة بشكل كامل تقريبًا بين الطرفين الفاعلين في أوضاع ومستقبل المنطقة العربية أي التيار القومي بقيادة جمال عبد الناصر، والذي يسعى لاستكمال عملية التحرر إلى نهايتها، وتنفيذ برامج التنمية الشاملة في مصر تدعيمًا لهذا التحرر والاستقلال، وقوى التحالف الغربي بزعامة الولايات المتحدة والتي تستخدم إسرائيل كقاعدة متقدمة لها في نفس الوقت الذي كان الاتحاد السوفيتي يحرص باستمرار على استثمار هذا الوضع في اكتساب مزيد من الأرض على حساب النفوذ الغربي.

أما الاتجاه الثاني فقد تمثل في تصاعد المواجهات بين الطرفين في ظل إصرار كل منهما على تحقيق غاياته في مواجهة الآخر، وكان من أبرزها:

أ) تصاعد العداء بين ما سمي بالدول التقدمية والدول الرجعية، كل منهما يحرص على توسيع وتعميق تحالفاته سواء على الصعيد الشعبي أو الدولي، مما أثر بدوره على مناخ العلاقات العربيةالعربية، فضلًا عن العلاقات المتبادلة على المستوى الإقليمي بين العرب وغير العرب. ولم تقتصر تأثيرات هذا العداء على مجرد تبادل الحملات الإعلامية، بل امتدت لتؤثر سلبيًّا على إطارات العمل العربي المشترك، وكان من نتيجتها إلغاء انعقاد القمة العربية الرابعة بالجزائر في عام ١٩٦٦.

ب) ممارسة الولايات المتحدة لضغوط غذائية عنيفة على مصر من خلال تعطيل إبرام اتفاقيات توريد احتياجاتها من القمح وفقًا للقانون الأمريكي رقم ٤٨، بسبب قيام مظاهرة عدائية ضد السفارة الأمريكية في القاهرة نظمها طلاب الكونغو يوم ٢٧/١١/١٩٦٤ احتجاجًا على التدخل الأمريكي في بلادهم، علاوة على حادث إسقاط طائرة أمريكية تابعة لشركة بترول تكساس يوم ٢٩/١٢/١٩٦٤ بسبب اختراقها المجال الجوي المصري دون إذن مسبق وعدم استجابتها للتحذيرات، وقد أسفر ذلك عن وقف مبيعات القمح الأمريكي لمصر لإجبار القاهرة على تعديل سياساتها تجاه واشنطن.

ج) مشاركة كل من المخابرات الأمريكية وإسرائيل إلى جانب مجموعة من المقاتلين المرتزقة في القتال الدائر في اليمن في صفوف الملكية والقبائل المعادية للجمهورية، مما ساعد على تحويل المواجهة في اليمن إلى عملية استنزاف منظمة للمجهود العسكري المصري حيث أدى ذلك إلى دفع مزيد من القوات المصرية بهدف إحكام السيطرة على الموقف، وأسفر ذلك كله عن فشل تطبيق اتفاقية جدة الموقعة بين كل من الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل في عام ١٩٦٥.

د) تنفيذ إسرائيل سلسلة من الاستفزازات التي تستهدف اختبار الاستعدادات العسكرية العربية، ففي ١٣/٦/١٩٦٦ هاجمت سرية إسرائيلية قرية السموع على سفوح جبال الخليل ونسفت خمسة منازل وأسقطت طائرة هليوكوبتر أردنية، وبلغت الخسائر حوالي عشرين قتيلًا وخمسة وثلاثين جريحًا، وكان من نتيجة الهجوم أن شن الإعلام الأردني حملة عنيفة ضد مصر وعبد الناصر بدعوى عدم الوفاء بالتزاماتها العربية واختباء الجيش المصري وراء قوات الطوارئ الدولية في خليج العقبة.

كذلك فقد عملت إسرائيل على جس نبض العرب واختبار مدى تضامنهم خاصة بعد توقيع اتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا في ٤/١١/١٩٦٦، فقامت بدفع عدد من الدوريات الليلية، وشن غارات جوية مكثفة ضد القوات السورية تمكنت من إسقاط ست طائرات سورية من طراز ميج كما استمرت حملة التهديدات الإسرائيلية ضد سوريا في التصاعد على لسان كل من وزير خارجيتها «أبا أيبان»، ورئيس الأركان «إسحق رابين».

٥ - المواقف المصرية في المواجهة

وبالطبع فقد اقترنت هذه المواجهات والتوترات بمواقف مصرية اقتضت تقديم الدعم المادي والمساعدات العسكرية المباشرة تمثلت أبرز مظاهرها في الآتي:

أ) تشكيل القيادة الأفريقية العليا المشتركة في عام ١٩٦٢، تابعة لمجموعة الدار البيضاء، والتي مثلت نواة الوحدة الأفريقية في ذلك الوقت. وقد مثلت مصر في مؤتمرات هذه القيادة وترأست المجلس الأعلى العسكري الخاص بها، كما قامت بفتح أبواب الكلية الحربية ومراكز تدريبها لشباب دول المنظمة ليتم أول ربط عضوي مع جيوش دول المنظمة الوليدة. وقد لعب هؤلاء الشبان الذين تلقوا

دراستهم العسكرية في مصر دورًا مهمًّا في استكمال حركة التحرر في بلادهم بعد ذلك.

ب) إرسال حوالي ٢ لواء مشاة إلى اللاذقية في ١٣/١٠/١٩٥٧ لدعم موقف سوريا في مواجهة التهديدات التركية، وفي ١٢/٢/١٩٥٨ تم تبادل الوحدات العسكرية بين سوريا ومصر بعد إعلان قيام الوحدة المصرية-السورية وكتمهيد لدمج القوات المسلحة للإقليمين.

ج) الاشتراك بقوة قوامها كتيبة مظلات بقيادة العقيد سعد الدين الشاذلي ضمن القوات الدولية في الكونغو في أغسطس ١٩٦٠، وذلك استجابة لطلب رئيس وزراء الكونغو «باتريس لومومبا» لمواجهة الحركة الانفصالية التي قادها «موريس تشومبي» في إقليم «كاتنجا».

د) الاشتراك في ٢٥/٧/١٩٦١ بقوة قوامها لواء مشاة ضمن قوات جامعة الدول العربية في الكويت، للتصدي لطموحات حاكم العراق عبد الكريم قاسم الذي سعى إلى الاستيلاء على الكويت بعد الانسحاب البريطاني.

هـ) دعم ثورة العراق في ١٩٦٤ بكتيبة مدرعات لدعم الحكم الجديد الذي خلف حكم عبد الكريم قاسم.

هكذا، ومع حلول عام ١٩٦٧ أصبح المسرح السياسي في الشرق الأوسط مهيئًا لمواجهات ساخنة وحادة في ظل إصرار الثورة المصرية على تمكين العرب والدول النامية من احتلال الموقع الذي يليق بهم في النظام العالمي، وعدم استعداد القوى الدولية صاحبة النفوذ للتخلي بأي قدر عن هيمنتها ونفوذها على مقدرات المنطقة، وكانت إسرائيل بالطبع هي رأس الحربة لتنفيذ المواجهات المحتملة.

الموقف الداخلي

لم تكن معارك الثورة في الداخل تقل شراسة عن معاركها الخارجية بعد أن حددت أهدافها في بناء مجتمع متماسك مستقر يقوم على العدالة في توزيع الثروة، وإتاحة فرصة المشاركة في الحكم والإدارة أمام أوسع قاعدة ممكنة من المواطنين من ناحية، وإعادة هيكلة الاقتصاد المصري لدعم هذه الأهداف واكتساب مزيد من المقومات الذاتية من ناحية ثانية، ثم بناء جيش وطني قادر على الدفاع عن الإنجازات الثورية، وتعميق أهداف الثورة في الداخل والخارج من ناحية ثالثة.

أولًا: التوتر السياسي

على الصعيد السياسي ظهرت بعض المحاولات التي استهدفت تحجيم صلاحيات القيادات العسكرية، سواء على المستوى المدني أو العسكري من خلال تشكيل مجلس للرئاسة([2]) تتساوى فيه صلاحيات القائد العام للقوات المسلحة مع صلاحيات باقي الأعضاء في ظل القيادة العليا للرئيس جمال عبد الناصر. لكن هذا الوضع لم يلق ارتياحًا من جانب المشير عبد الحكيم عامر، الذي قام بتقديم استقالته في أول ديسمبر ١٩٦٢، لكن أمكن للرئيس جمال عبد الناصر احتواء الموقف، وتأمين استمرار الوحدة الداخلية لمؤسسة الرئاسة، والمحافظة على تماسكها. ومن جانبه

عمل المشير عبد الحكيم عامر على تفويض جانب كبير من سلطاته كقائد عام للسيد شمس بدران الذي عين وزيرًا للحربية في ١٩٦٦، واتجه الأخير إلى توسيع صلاحياته بأوسع قدر ممكن على حساب صلاحيات القيادات العسكرية الأخرى بما في ذلك رئيس الأركان.

ومن جهة أخرى جرى التخطيط لتشكيل تنظيم يعمل في الأساس على تعبئة الجماهير وحشدها وراء أهداف الثورة، وليكون بمثابة المعمل لتفريخ القيادات الشعبية والسياسية على مستوى الدولة وللعمل في الوقت نفسه على موازنة الثقل المتزايد للقوات المسلحة.

وأسفر ذلك كله عن تغليب طابع التوتر على العلاقات المتبادلة بين مؤسسات السلطة أوحى بوجود صراع داخلي، وربما كان ذلك دافعًا لبعض القوى الداخلية التي وجدت في هذه الأوضاع مناخًا ملائمًا للتحرك المضاد، وقد تمثل ذلك في المؤامرة الانقلابية التي دبرها الإخوان المسلمون بقيادة سيد قطب والتي ارتكزت على استخدام أكبر قدر من العنف بهدف إغراق الأمة في مواجهات داخلية أشبه بالحرب الأهلية.

ثانيًا: ضعف الاستعداد القتالي

وبرغم أن القيادة السياسية قد نجحت في احتواء التوترات الداخلية إلى حد كبير وتمكنت من خلق وحدة وطنية تضم فئات الشعب المختلفة تساند وتؤمن استراتيجية الثورة في الداخل والخارج، فإن الاستعداد القتالي داخل القوات المسلحة كان يعاني من عناصر ضعف متعددة. فبينما كانت هناك خطة تم التصديق عليها في أواخر ١٩٦٦، واتخذت اسم «الخطة قاهر» ترتكز على استراتيجية الدفاع في الأساس، إلا أنها كانت تفتقر لمستويات ومعدلات التدريب الملائمة، وكانت تعاني من نقص المعلومات الدقيقة عن العدو، وعدم إعداد مسرح العمليات في سيناء للمعركة الدفاعية.

وحتى عام ١٩٦٧ لم تكن إدارة وأجهزة ووحدات عنصر الاستطلاع في القوات المسلحة قد استكملت تشكيلاتها أو تدريبها ضمن الهيكل التنظيمي للقوات المسلحة، وتجدر الإشارة إلى أن عنصر الاستطلاع يعتبر القناة الطبيعية التي توفر المعلومات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية عن العدو في كل من وقت السلم ووقت الحرب، لكن إدارة المخابرات الحربية تكفلت بهذا الدور بدلًا من عنصر الاستطلاع، ومن ثم تغلبت أساليب البيروقراطية العسكرية حيث كانت المعلومات تتجمع في المركز الرئيسي الملحق بمكتب وزير الحربية ثم يتم توزيعها على القوات الأمامية في سيناء، الأمر الذي أضعف فاعلية دورة المعلومات، وفرص الاستفادة بها في التوقيت المناسب.

ثالثًا: دروس نكسة ١٩٦٧

ويجب أن نعترف أن عناصر الضعف التي كانت سائدة داخل القوات المسلحة سواء قبل المعركة أو خلالها قد ساهمت بدورها في وقوع نكسة ١٩٦٧، في نفس الوقت

الذي أفرزت فيه مجموعة من الدروس التي شكلت في حد ذاتها نقطة انطلاق لإعادة التنظيم والبناء بعد معركة يونيو ١٩٦٧، ويمكن تلخيصها في الآتي:

١ - أهمية توفر مقومات المعركة

إن توافر مقومات المعركة يعتبر أمرًا حتميًّا قبل صدور قرار الحرب، وأهم هذه المقومات هي إعداد القوات المسلحة، وإعداد مسرح العمليات، وإعداد الدولة والشعب للحرب، وإعداد اقتصاد الدولة للحرب وسوف أكتفي بتناول المقومين الأول والثاني فقط كما يلي:

أ) المقوم الأول

لم يكن إعداد القوات المسلحة الحديثة جادًّا، إذ إن فكر وتركيز جهد القيادة العامة للقوات المسلحة كان متجهًا إلى مسرح عمليات اليمن فقط (١٩٦٢-١٩٦٧)، ولا يمكن اعتبار أن العمليات الحربية في اليمن جزء لا يتجزأ من الإعداد للمعركة الحديثة، إذ إن القتال الذي تم في مسرح اليمن كان من جانب واحد فقط ما دام العدو لا يملك دبابة ولا طائرة. وكان عبارة عن عمليات عصابات ضد قبائل تظهر وتختفي، بل يمكن اعتبارها عمليات تطهير وتأمين أكثر منها عمليات حربية حديثة، وعلى ذلك لم تكتسب التشكيلات البرية التي كلفت بهذه العمليات أية خبرة قتالية ضد عدو غير منظور.

ب) المقوم الثاني

لم يتم إعداد مسرح عمليات سيناء للحرب الحديثة بسبب انشغال القوات في مسرح اليمن الذي يبعد أكثر من ٢٠٠٠ ميل. وبالرغم من أن التشكيلات ذات الأسلحة الحديثة مثل الدبابات ت ٥٤ و٥٥ أو التشكيلات الجوية المسلحة بطائرات الميج ٢١ والسوخوي ٧ لم تشترك في عمليات اليمن إلا أنها في نفس الوقت لم تكلف بإعداد مسرح عمليات سيناء إعدادًا حديثًا مثل الإهمال في بناء دشم للطائرات وكانت تجربة أزمة ١٩٥٦ تحتم ذلك.

٢ - عدم التوازن بين الاستراتيجية السياسية والاستراتيجية العسكرية

إن غياب تشريعات شؤون الدفاع عن الدولة وتنظيم أسلوب القيادة والسيطرة على القوات المسلحة أوجد فارقًا كبيرًا ومؤثرًا بين الاستراتيجية السياسية التي كان يتبعها الرئيس عبد الناصر رئيس الجمهورية، وبين الاستراتيجية العسكرية التي كان يخطط لها ويديرها المشير عبد الحكيم عامر، الأمر الذي أخل بالتوازن بين المستويين وهبط بالاستراتيجية العسكرية وجعلها دون مستوى الاستراتيجية السياسية، وفشلت في مساندتها أو اللحاق بها. ومن هنا صدر القانون رقم ٤ لعام ١٩٦٨.

٣ - الخلل في التخطيط الاستراتيجي

إن التخطيط الاستراتيجي الوطني لم يكن متمشيًا مع الهدف القومي، فبينما وضعت مصر الخطة قاهر الدفاعية عام ١٩٦٦ مطابقة للهدف القومي الذي اتفق عليه في

مؤتمر القمة العربي عام ١٩٦٥ إلا أن المشير عبد الحكيم عامر لم يلتزم بتطبيقها.

٤ - الافتقار إلى الفكر الموحد

لم تكن القوات المسلحة المصرية وهي تدخل معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ موحدة الفكر أو التخطيط، إذ إن كل فرع من أفرع القوات المسلحة كان يعمل منفردًا. إن المعركة الحديثة - معركة الأسلحة المشتركة - لا يمكن أن تنجح بمجهود فرع واحد فقط من أفرع القوات المسلحة، بل يجب أن تكون الأفرع مندمجة وموحدة تحت قيادة مشتركة وموحدة أيضًا.

٥ - البيروقراطية العسكرية

إن البيروقراطية العسكرية الجامدة التي اتخذتها القيادة العامة أسلوبًا للسيطرة والتأمين منذ نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢، كانت في حقيقتها قيدًا على القائد وعلى الوحدة خلال مراحل إعدادهما للقتال، كما حدت من إمكانية المبادرة على المستوى الميداني خلال سير العمليات، بالإضافة إلى الخلل في أسلوب القيادة والسيطرة، الأمر الذي منع وصول تحذيرات مبكرة إلى غرفة عمليات الدفاع الجوي.

٦ - الافتقار إلى المعلومات

كان غياب أجهزة المخابرات والاستطلاع التعبوي والاستراتيجي وعجز الأجهزة الموجودة عن معرفة حقيقة العدو وأوضاعه ونواياه وقدراته عاملًا مساعدًا لخداع القائد العام والقائد الميداني. في الوقت الذي كانت فيه إسرائيل وأجهزتها على دراية تامة ودقيقة بموقفنا العسكري.

٧ - تجاهل التحذيرات

تجاهل المشير عبد الحكيم عامر لتحذيرات الرئيس جمال عبد الناصر في اجتماع القادة يوم الجمعة ٢/٦/١٩٦٧ بأن إسرائيل سوف تشن ضربتها الجوية وعدوانها بعد أن أكملت استعداداتها للمعركة، وأن الحرب سوف تقع يوم الاثنين ٥/٦/١٩٦٧، بل إن المشير توجه في نفس هذا اليوم، ومعه قائد القوات الجوية ورئيس هيئة العمليات وعدد من أعضاء مكتبه إلى سيناء مما ترتب عليه تقييد نيران الدفاع الجوي، الأمر الذي سهل نجاح خطة العدو الجوية «كولمب».

٨ - قرار الانسحاب الخاطئ

كان السبب المباشر لهزيمة يونيو ١٩٦٧، هو صدور قرار الانسحاب العام للقوات في سيناء دون قتال إلى الضفة الغربية للقناة على أن ينفذ خلال ليلة واحدة فقط، ولما كان هذا القرار مفاجئًا وبعيدًا عن الصواب، فقد أحدث صدمة نفسية لدى الجنود قلبت الهزيمة العسكرية إلى نكسة، خاصة أن الانسحاب تم بطريقة عشوائية تفتقر للقيادة والتنظيم مما حولها إلى كارثة.

وأصبحت هذه الدروس هي الأسس التي اعتمدت عليها القيادة العسكرية الجديدة في إعداد القوات المسلحة ومسرح العمليات لإزالة آثار العدوان كما سيظهر في الفصول التالية.

وحرصًا على زيادة الوعي وتوفير القدرة على تجنب أخطاء الماضي فقد وافقت القيادة السياسية على نشر الوقائع العسكرية عن أحداث معركة ٥ يونيو ١٩٦٧، وما قبلها والتي صدرت مع خرائطها التفصيلية تحت عنوان «الجولة الثالثة» لتوفير الشفافية في مبادرة كانت الأولى من نوعها منذ بداية الثورة عام ١٩٥٢.

رابعًا: مواقف الدول المعنية من الهزيمة

وكان موقف الدول التي يعنيها أمر الصراع العربي-الإسرائيلي عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ مباشرة كالآتي:

١ - مصر

يثور الشعب المصري ويغضب من مفاجأة الهزيمة، ويعمل على إجبار الرئيس عبد الناصر على تحمل المسؤولية، واستكمال المشوار ويطالب بضرورة الثأر للهزيمة، ويعمل على استعادة الأرض بالقوة - أي أن الشعب يحدد الهدف السياسي لأول مرة.

٢ - إسرائيل

موقف إسرائيل عبر عنه الجنرال «دايان» بقوله: «لم يعد أمامنا سوى الجلوس بجوار التلفون انتظارًا لسماع مضمون الاستسلام للعرب دون قيد أو شرط».

وسوف نتابع موقف إسرائيل طوال السنوات الثلاث القادمة ونرى ما إذا كان «دايان» قد سمع أي مضمون عن الاستسلام من العرب أم أنه سعى إلى أمريكا لمساعدته في وقف حرب الاستنزاف التي بدأت منذ اليوم الذي صرح فيه تصريحه المستفز.

٣ - واشنطن

أعلنت الإدارة الأمريكية تصريح الرئيس جونسون القائل بأن «الفرصة الذهبية قد حانت أخيرًا لكي تبتلع كل دولة عربية شعاراتها عن القومية العربية وتتكفئ على نفسها منعزلة عن الدول العربية الأخرى وتقبل الحياة في المنطقة في ظل تفوق عسكري إسرائيلي تحت إشراف أمريكي وتنفذ ما تمليه إسرائيل عليها من مشروعات تستهدف التعاون الإقليمي».

ويتبين بعد ذلك أن هذا التصريح يشمل استراتيجية أمريكا بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ بالنسبة للعالم العربي حتى الآن.

٤ - موسكو

القيادة السوفيتية تستقبل وفدًا عربيًّا على مستوى القمة مكونًا من الرئيسين هواري بومدين وعبد السلام عارف، حيث دارت مناقشات غاضبة ومتفجرة حول موقف موسكو من العرب. وإنهم - أي السوفييت - شركاء في الهزيمة وينتج عن هذا الضغط العربي دعم عاجل سوفيتي من الطائرات المقاتلة بدأ من يوم ٩/٦/١٩٦٧ حتى وصل العدد إلى ٢٠١ طائرة في أواخر شهر يونيو ١٩٦٧.

٥ - السعودية

يقوم الملك فيصل بإخطار أمريكا بضرورة إعلان رأيها بانسحاب إسرائيل الكامل والفوري من الأراضي العربية، وتسرع أمريكا بالرد بشرط تعديل الحدود بين إسرائيل والأردن على الأقل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثاني

إعداد مسرح العمليات

توجيهات الرئيس عبد الناصر عقب النكسة

استدعاني الرئيس جمال عبد الناصر في منزله في الساعة السابعة يوم ١١/٦/١٩٦٧، وكانت إذاعة القاهرة قد أعلنت ظهر نفس اليوم نبأ تعييني قائدًا عامًّا للقوات المسلحة خلفًا للمشير عبد الحكيم عامر.

بدأ الاجتماع بعرض تقديري للموقف العسكري في أعقاب وقوع النكسة، وقد لخصت الموقف بأمانة في عجز القادة عن الإدارة والسيطرة على قواتهم والنقص الكبير في التسليح والتدريب والكفاءة القتالية وتأثير البيروقراطية العسكرية على مهام القوات المسلحة، وأوضحت للرئيس أن خسائرنا العسكرية قبل صدور أمر الانسحاب لم تكن تتجاوز ثلاثمائة فرد، وثبت أن قرار الانسحاب الذي أصدره المشير عامر يوم ٦/٦/١٩٦٧، وجرى تنفيذه بطريقة عشوائية وغير منظمة تسبب في رفع الخسائر إلى أكثر من أحد عشر ألف فرد، كما بلغت نسبة الخسائر في القوات البرية والجوية والدفاع الجوي حوالي ٨٥٪، بينما لم تتعرض القوات البحرية لخسائر تذكر.

وكانت عملية الاستعواض قد بدأت بالفعل خلال المعركة، وحتى العاشر من يونيو كان لدينا مائتا طائرة مقاتلة، منها أربعون طائرة قدمتها الجزائر والباقي من الاتحاد السوفيتي، إضافة إلى إحدى وخمسين طائرة من طراز سوخوي، بعضها لم يشترك في العمليات والبعض الآخر كان لا يزال في الصناديق داخل المخازن في القاهرة والإسكندرية، وأصبح عدد الطيارين يفوق عدد الطائرات.

ومن جهة أخرى كنت قد بدأت بالفعل في استعادة السيطرة والقيادة والانضباط للتشكيلات الميدانية من خلال عدة نداءات أصدرتها للجنود للانضمام إلى مناطق تجمع جديدة لإعادة هيكلة الفرق الثانية، والثالثة، والسادسة مشاة والفرقة الرابعة المدرعة بهدف إنشاء أول خط دفاعي غرب القناة.

وبعد أن انتهيت من عرض رؤيتي للموقف، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر توجيهاته محددًا الخطوط الرئيسية للعمل على المستويين السياسي والعسكري للمرحلة الجديدة على النحو التالي:

١ - ضرورة إعادة بناء القوات المسلحة المصرية وتنظيمها وتسليحها وتدريبها وإعدادها عمليًّا ومعنويًّا على أسس علمية جديدة بالحجم المطلوب والقدرة القتالية الكافية لتحرير الأرض المغتصبة في معركة يونيو ١٩٦٧ حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

٢ - مجابهة العدو الإسرائيلي المتوقع تدخله لعرقلة عملية البناء بكل حزم وقوة طبقًا للإمكانات المتاحة لنا في ذلك الوقت. ونصح الرئيس بأن نتجنب استفزازه على خط

المواجهة في الوقت الحالي إلى أن تسترد قواتنا فاعليتها في الدفاع واعتبار أن فتح النار العشوائي على العدو أمر مخالف للتعليمات العسكرية يحاكم عليه الفرد.

٣ - استكمال مستويات القيادة في القوات المسلحة وتشكيلاتها في الجبهة وفي المناطق العسكرية وفي القيادة العامة. وبعد مناقشة هذا الموضوع صدَّق الرئيس على تعيين الفريق عبد المنعم رياض رئيسًا لهيئة الأركان العامة والذي كان موجودًا في موقعه في الأردن حتى ذلك الوقت، كما صدق الرئيس على تعيين الفريق طيار مدكور أبو العز قائدًا للقوات الجوية، وطلب استدعاءه من وظيفته كمحافظ لأسوان، وتعيين الفريق صلاح محسن مساعدًا للقائد العام لشؤون التدريب. ثم ترك لي الرئيس شغل القيادات دون ذلك وإخطاره بها للتصديق عليها.

٤ - حدد الرئيس زمن الانتهاء من إعداد القوات المسلحة لتحرير الأرض بما لا يزيد على ٣ سنوات حتى لا نعطي العدو الفرصة لتهويد سيناء شأنها شأن الأراضي العربية الأخرى التي يحتلها.

٥ - أوضح الرئيس اتجاهاته السياسية والعسكرية بالنسبة لباقي جبهات القتال، خاصة بالنسبة لأكبر جبهة وهي الأردن-إسرائيل، وقدرها ٦٥٠ كيلو مترًا، وكان رأيه أن تظل ساخنة دائمًا برغم ضعف قدرة الأردن العسكرية على المواجهة المباشرة مع العدو الإسرائيلي، وخص الرئيس بالذكر المقاومة الفلسطينية المتواجدة على هذه الحدود، وطلب ضرورة مساعدتها وتسليحها من أجل مقاومة العدو في هذا المحور.

٦ - تحمل الرئيس مسؤولية إمدادنا بالسلاح المطلوب من الاتحاد السوفيتي والدول الشرقية طبقًا للكشوف التي أقدمها له بعد دراسة موقف التسليح للحجم الجديد للقوات المسلحة.

٧ - وأخيرًا أعطاني الرئيس توجيهات عامة تخص أسلوب العمل اليومي معه وكيفية الاتصالات اليومية وأسلوب عرض المواقف العسكرية كما أوصاني بضرورة التعلم من الدروس المستفادة من معركة ٥ يونيو ١٩٦٧، ومعرفة نواحي النقص والعجز في التخطيط العسكري كذا في إدارة العمليات، مستفيدًا بخصائص العدو الميدانية التي يعلمها الرئيس كل العلم.

٨ - وأوصاني الرئيس بالجندي المقاتل وضرورة رعايته وتنمية قدراته عمليًّا ومعنويًّا بوصفه الأساس الذي تعتمد عليه القوات المسلحة في كل مهامها.

٩ - التأكيد على مبدأ قومية المعركة والذي يقتضي حشد وتعبئة كل الطاقات العربية الممكنة وتوظيفها لصالح المعركة مع إسرائيل باعتبارها مسؤولية العرب جميعًا وليست مقصورة على مصر أو دول المواجهة فقط.

وبدأت المرحلة الجديدة التي أعقبت هذا الاجتماع مباشرة تشهد تعديلات جذرية في مكونات المسرح السياسي والعسكري على مختلف الأصعدة الداخلية والعربية والدولية.

التغيرات على المستوى الداخلي

أولا: التحام الشعب مع قواته المسلحة

برغم ما أحدثته النكسة من صدمة وخيبة أمل كبيرتين لدى كل فئات الشعب المصري لما كشفته من جوانب قصور في إدارة البلاد على الصعيدين السياسي والعسكري إلا أنها فجرت إرادة التحدي والثأر لدى جميع القوى السياسية في المجتمع وساعدت على بلورة هدف واحد تجتمع حوله كل من القيادة السياسية، والقاعدة الشعبية، والقوات المسلحة، وهو هدف تحرير الأرض وإزالة آثار العدوان الإسرائيلي.

وكانت ثورة الشعب المصري وغضبته من مفاجأة النكسة دافعًا لمطالبة الرئيس بالعودة عن قرار التنحي وتحمل مسؤولياته حتى يتحقق الثأر من العدو واستعادة كرامة الشعب وقواته المسلحة، التي حرصت من جانبها على الاستفادة من هذه الدفعة واستثمارها في غرس روح القتال لدى كل أفرادها على اختلاف الرتب وبدء مرحلة متميزة من العمل الوطني الجاد في كل المجالات.

بعد انتهاء الرئيس عبد الناصر من توجيهاته السياسية والعسكرية يوم ١١ يونيو ١٩٦٧، توجهت إلى مكتبي حيث بدأت في ترتيب أفكاري وأوراقي وخطواتي طبقًا لهذه التوجيهات، وكانت أول تعليمات أصدرها للقوات المسلحة على جبهة القتال غرب قناة السويس هي منع الاشتباكات المسلحة مع العدو وعدم استفزازه بفتح النيران إلا بأوامر صريحة من القائد المحلي، ويكون دفاعًا عن النفس فقط، ومن يخرج عن هذا الأمر يحاكم ميدانيًّا وفوريًّا. وحرصت على وصول هذه التعليمات إلى القوات في الجبهة بكل طرق الاتصال فورًا.

بعد صدور هذه التعليمات بساعات محدودة، وفي منتصف ليلة ١١-١٢ يونيو ١٩٦٧، تلقيت بلاغًا من قائد القطاع الجنوبي للجبهة بأن أحد الجنود في موقع الشط لاحظ عددًا من الجنود الإسرائيليين يستحمون في مياه القناة على الجانب الشرقي فاستاء لهذا المنظر وأطلق النار عليهم فتسبب في مقتل جندي إسرائيلي على الشاطئ الشرقي وإصابة آخرين، ورد العدو بالمثل، ويسأل القائد عن إجراءات محاكمة هذا الجندي.

في هذا الوقت بالذات فكرت في رد الفعل المعنوي لدى باقي الجنود، وهم يشعرون بمحاكمة جندي زميل لهم قتل جنديًّا إسرائيليًّا يستحم في مياه القناة، وشعرت في قرارة نفسي أنني مشدود عاطفيًّا إلى الوقوف مع هذا الجندي تحفيزًا لروح الثأر التي لحقت بجميع الجنود العائدين من سيناء والذين يشكلون أول نسق دفاعي غرب القناة في هذا الوقت بالذات.

أصدرت قراري للقائد المحلي بعدم محاكمة الجندي، بل ترقيته إلى رتبة أعلى وأن يطلب له ميدالية يضعها على صدره تحفيزًا له وتشجيعًا لزملائه الآخرين.

كان القرار الكتابي الذي وزعته على الجنود يطالب بعدم فتح النيران صادرًا من عقلي طبقًا للموقف العسكري القائم في هذا الوقت على جبهة القتال، ولكن القرار الصادر مني شفويًّا للقائد المحلي عقب إبلاغي بتصرف الجندي وقتله للجندي

الإسرائيلي جاء صادرًا من قلبي تجاوبًا مع الشعور العام المسيطر على جميع الجنود المصريين العائدين من سيناء.

انتشر خبر القرار العاطفي المتجاوب مع شعور كل الجنود في الجبهة وتحمَّس الجنود الآخرون وبدأت الاشتباكات المسلحة الفردية فقط، ضد العدو الذي بدأ يحصن نفسه على الجانب الآخر من القناة. وهكذا بدأت الاشتباكات بالمواجهة المباشرة بدءًا بالفرد ثم الجماعة ثم السرية وتطورت طبقًا لتعليمات أكثر وضوحًا.

وقد حرصت من أول يوم عمل لي أن أضع في مقدمة اهتماماتي ظروف الفرد المقاتل قبل أي اهتمام آخر، فكانت توجيهاتي من أول يوم اشتباك مع العدو أن يُمنح الجندي المقاتل الذي قتل أول جندي إسرائيلي يوم ١١/٦/١٩٦٧ إجازة ميدانية، وكان لتواجده وسط أهله مفتخرًا بالميدالية على صدره باعتباره أول جندي قتل إسرائيليًّا على الجبهة أكبر الأثر في رفع الروح المعنوية بين أوساط الشعب صاحب القرار. من ثم أصبح الشعب المصري بجميع فئاته - وهو الوعاء الطبيعي للجنود والضباط في القوات المسلحة - جزءًا لا يتجزأ من القوة المقاتلة ضد العدو الإسرائيلي المشترك. وكان هذا الموقف - التحام الشعب مع قواته المسلحة - هو أول موقف تاريخي يتم في الحروب الحديثة في مصر.

ثانيًا: بدايات حرب الاستنزاف

ووقع أول اشتباك مسلح بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية في رأس العش يوم ١/٧/١٩٦٧، أي بعد مرور عشرين يومًا فقط من وقف إطلاق النار. ونجح الجندي المصري الذي يتمتع بروح قتالية عالية في التغلب على العدو والاحتفاظ بشريط الأرض الضيق إلى بورفؤاد، المدينة الوحيدة في سيناء التي بقيت شامخة طوال فترة الإعداد لمعركة تحرير الأرض.

إن ظروف القتال في هذه المعركة لم تتغير عن ظروف الميدان في ٥ يونيو ١٩٦٧. فالجندي هو هو، والسلاح هو هو، والأرض في سيناء هي هي، إلا أن شيئًا واحدًا فقط هو الذي استجد، وهو بروز روح القتال لدى الجنود المقاتلين في رأس العش، مما أدى إلى نجاح المعركة. وكانت هذه المعركة إيذانًا باستئناف الصراع المسلح بين مصر وإسرائيل على مدى ثلاث سنوات، والتي اتخذت عدة مسميات، فمرة يطلق عليها «الحرب المستحيلة» وأخرى «حرب المواجهة المباشرة» وثالثة «حرب الاستنزاف»، وكلها كانت مسميات صادقة وتحمل في معانيها جانبًا من ملامح الواقع الحقيقي.

أما التسمية الأولى فقد اعتمدت على معادلة ميزان القوى بين الطرفين المتحاربين، وكانت إسرائيل مشبعة بالمعدات والأسلحة والذخيرة بينما مصر قد فقدت الأرض والسلاح والمعدات. ومن هنا كانت المواجهة مستحيلة بين الطرفين طبقًا لهذا الواقع. ولكن مصر أسرعت بتجميع قدراتها المختلفة، مستندة على إرادة القتال لمنع إسرائيل من استغلال نجاحها في المعركة، بل وبدء مرحلة من الصمود ثم المقاومة الإيجابية ثم التحدي والردع، ومن ثم تحولت إلى ند عنيد لإسرائيل قلل من مزايا تفوقها العسكري.

أما التسمية الثانية فقد اعتمدت على القتال الثابت بالمواجهة المباشرة التي بلغت ١٧٠ كم على طول قناة السويس، وكانت هذه المواجهة المباشرة تتم لأول مرة بين الطرفين، خاصة إذا عدنا بالذاكرة إلى ظروف معارك ١٩٥٦، ١٩٦٧.

وكشفت السمات التي تميزت بها هذه الحرب للعدو الإسرائيلي لأول مرة معدن وفاعلية الجندي المصري المقاتل في المواجهة المباشرة طويلة الأمد والتي استمرت أكثر من ألف يوم.

أما التسمية الثالثة فقد اعتمدت على طول نفس المقاتل المصري، وعزمه على تحرير أرضه، وهو أسلوب قتال يتعارض مع أسلوب العدو الذي اعتمد على الحرب الخاطفة التي لا تزيد مدتها على عشرة أيام. وكانت خسائر هذه الحرب المادية والمعنوية والنفسية قد أصابت كلا الطرفين المتحاربين، ولكن مصر تحملتها بصدر رحب وإرادة قوية راسخة ومعنويات عالية، أما إسرائيل فقد واجهت لأول مرة تصاعدًا في الخسائر خلال قتال متواصل لمدة ثلاث سنوات متصلة لم تعتد على ممارستها طوال ربع قرن من الصراع مع العرب.

وتغلبت تسمية الحرب بـ«حرب الاستنزاف» في كل من مصر وإسرائيل، ودخلت تاريخ الحروب المعاصرة بينهما كجولة رابعة بعد ثلاث جولات وقعت على مدى ربع قرن مع إسرائيل. ولكن التاريخ سوف يسجل «حرب الاستنزاف» طبقًا للواقع العملي، أنها فترة الإعداد الجدي للقوات المسلحة والدولة والشعب ومسرح العمليات في مواجهة العدو بهدف تحرير الأرض المغتصبة بالقوة.

وكانت حرب الاستنزاف امتدادًا لمعركة ٥ يونيو ١٩٦٧، ورد فعل لها، فلم يتعد الفاصل الزمني بينهما عشرين يومًا. وكان العدو الإسرائيلي يسعى دائمًا من وجهة النظر الدعائية إلى فصل معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ عن باقي المعارك اللاحقة لأسباب سياسية. ولكن التاريخ سوف يحسم هذا التضارب في الرأي لصالح معارك السنوات الثلاث، التي بدأت يوم ٥ يونيو ١٩٦٧، وانتهت يوم ٨/٨/١٩٧٠، وشاركت كل قطاعات الدولة فيها تعبيرًا عن التحام الشعب والقوات المسلحة، فضلًا عن كونها حربًا قومية من الدرجة الأولى حيث تحولت لتكون وسيلة حشد للشعور العربي على مستوى الأمة العربية وتعبيرًا عن التضامن العربي في صورة عملية ملموسة.

التحركات على المستوى العربي

شهدت الفترة التي أعقبت النكسة مباشرة تحركات جادة وفعالة شارك فيها عدد من الدول العربية تعبيرًا عن التضامن مع الدول المتضررة من العدوان الإسرائيلي. لكن الخطوة الأهم في إعادة ترتيب المسرح السياسي العربي تمثلت في انعقاد القمة العربية في الخرطوم في الفترة من ٢٩/٨/١٩٦٧ إلى ١/٩/١٩٦٧، والذي جاء بمثابة نقلة نوعية في العلاقات العربية-العربية التي شابها التوتر والصدام في الفترة السابقة للنكسة من جانب، وفي أساليب إدارة الصراع مع إسرائيل من جانب آخر، وبما يتضح في الآتي:

١ - اتفاق الدول العربية على أسس محددة لإدارة الصراع العربي-الإسرائيلي تمثلت في اللاءات الثلاثة الشهيرة، «لا صلح، لا تفاوض، لا اعتراف بإسرائيل»،

وأن هدف إزالة آثار العدوان هو محور التحرك الاستراتيجي العربي في المرحلة التالية، وكان قبول قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ بعد ذلك أول محطة رسمية في هذا السياق والذي بني على أساسه مبدأ إنهاء احتلال الأرض مقابل إنهاء حالة الحرب مع إسرائيل.

وفي نفس الوقت فقد فوضت القمة العربية الملك حسين لاتخاذ ما يراه من خطوات ضرورية لاسترداد الضفة الغربية إذا لم تتح له فرصة استردادها بالقوة المسلحة.

٢ - توظيف القدرات الاقتصادية العربية وبخاصة البترول لصالح المعركة، كبديل لسياسة المواجهة مع الغرب في حالة وقف الضخ كلية. وقد أصدر وزراء الاقتصاد والبترول العرب المجتمعون على هامش القمة عدة قرارات لدعم الدول التي تأثرت بالعدوان تحت مسمى «استخدام النفط كسلاح إيجابي»، كان من أبرزها تعهد كل من السعودية والكويت وليبيا بتقديم مبالغ مالية سنوية تستمر حتى إزالة آثار العدوان.

٣ - تسوية الصراعات والخلافات العربية-العربية، وقد شهدت فترة انعقاد القمة اتفاق كل من مصر والسعودية على إقرار تسوية سياسية شاملة حول اليمن، وفتح الطريق لترتيب أوضاع الجنوب العربي بعد الاستقلال عن بريطانيا. وكانت الفترة السابقة للقمة قد شهدت تحرك الملك فيصل لمطالبة الولايات المتحدة بضرورة تحديد موقفها تجاه الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، وزيارة وفد عربي بمشاركة كل من الرئيس الجزائري هواري بومدين والرئيس العراقي عبد الرحمن عارف إلى موسكو بهدف حثها على تلبية الاحتياجات العسكرية لدول المواجهة.

٤ - توفير الدعم الكامل للقضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، مع اعتبار المقاومة الفلسطينية شريكًا مهمًّا في إدارة الصراع ضد إسرائيل والكفاح من أجل تحرير الأرض.

أخذت التحركات تتلاحق في أعقاب قمة الخرطوم، مستهدفة ترجمة شعار «قومية المعركة» بصورة عملية على مدار السنوات الثلاث ١٩٦٧-١٩٧٠. وقد قمت بعدة زيارات لكل من الجزائر والسودان والمغرب والعراق بهدف تقوية التضامن العسكري العربي باشتراك قوات من هذه الدول في خطوط المواجهة. وقد قدمت الجزائر على سبيل المثال لواء مشاة كاملًا مع وحداته المعاونة، ثم جرى تدعيمه بعدد ٢ كتيبة مدفعية عيار ١٥٥ مم، وقدمت السودان والكويت عددًا من كتائب المشاة.

وكان عام ١٩٦٩ حافلًا بالتغيرات الجوهرية في مسرح عمليات الصراع العربي-الإسرائيلي، حيث شهد قيام ثورتين في كل من السودان وليبيا (مايو-سبتمبر ١٩٦٩)، أعلنتا منذ يومهما الأول تحالفهما الكامل مع مصر وسوريا في صراعهما مع إسرائيل، وقدمتا أراضيهما كعمق استراتيجي للقوات المصرية حيث تم نقل الكلية الحربية إلى جبل الأولياء جنوب الخرطوم، كما انتشرت بعض القطع البحرية المصرية في القاعدة البحرية في طبرق، وفتحت مراكز تدريب للكلية الجوية في القواعد الليبية المختلفة.

وجاءت اتفاقيات الثورة الليبية في عام ١٩٧٠ مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة لإنهاء وجودهما العسكري في القواعد العسكرية في بنغازي وطرابلس بمثابة إضافة حقيقية، وتصحيح لجانب من اختلال التوازن مع إسرائيل، وقد اتجهت الثورة الليبية لتدعيم هذا التطور بعقد صفقة من طائرات الميراج خصصت أساسًا لدعم الجهد العسكري المصري في المعركة.

وشهد عام ١٩٦٩ أيضًا عدة تطورات مهمة في مجال الإعداد السياسي للمعركة، وتهيئة المسرح العربي لها سواء في مجال التعاون مع سوريا، أو فيما يتعلق بتهيئة المسرح اللبناني للمقاومة الفلسطينية، أو في مجال الإعداد لانعقاد القمة العربية بالرباط، وهو ما سوف أفصله بعد ذلك.

أولًا: التنسيق السياسي والعسكري مع سوريا

اتفقت كل من مصر وسوريا في التاسع من أغسطس ١٩٦٩ على تشكيل قيادة مشتركة برئاسة رئيسي البلدين على أن تضم وزراء الدفاع والخارجية في كل منهما، وأوكلت لهذه القيادة مهمة تعيين قائد عسكري يكون مسؤولًا عن التخطيط العسكري للمعركة مع إعطاء أولوية للتنسيق بين القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي سواء على مستوى التخطيط أو الإعداد.

وقد أشارت نصوص الاتفاقية إلى أنها لا تتعارض مع أية اتفاقات أخرى يمكن التوصل إليها على مستوى الجبهة الشرقية، أو على المستوى العربي العام، وكان ذلك يعني من وجهة نظر الرئيس جمال عبد الناصر توجيه دعوة غير مباشرة لجميع الرؤساء والملوك العرب للمشاركة في هذه القيادة.

وكان رئيسا مصر وسوريا قد أصدرا قرارًا مشتركًا بتعييني قائدًا عامًّا لجيوش الدولتين، وتم إخطار جامعة الدول العربية بذلك، وبدأت على الفور زياراتي للقوات المسلحة السورية والعراقية والأردنية، ومناطق تمركز المقاومة الفلسطينية في الأردن، لاستطلاع أساليب التنسيق الممكنة في التخطيط للمعركة على أساس وجود جبهتين في قناة السويس والجولان، وكان تشجيع العمل الفدائي الفلسطيني في الجبهة الأردنية، وتعاون الملك حسين في هذا الشأن مكملًا لجهود دول المواجهة المشتركة.

وفي ١١/٩/١٩٦٩، عقد أول اجتماع قمة مصغر في القاهرة لدول المواجهة، ضم كلًّا من الرئيس جمال عبد الناصر، والملك حسين، والرئيس السوري نور الدين الأتاسي، ونائب الرئيس العراقي صالح مهدي عماش، استهدف تنظيم قدرات الجبهة الشرقية ودعمها واستكمال مسرح عملياتها.

ثانيًا: تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان

في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ تم توقيع «اتفاقية القاهرة» في مكتبي بمقر القيادة العامة بمدينة نصر، بين العماد إميل البستاني قائد الجيش اللبناني، وبين السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، بهدف تنظيم العلاقات بين المقاومة الفلسطينية والحكومة اللبنانية في جنوب لبنان، بحضور محمود رياض وزير الخارجية ممثلًا

عن مصر. وبموجب الاتفاقية تم انتشار المقاومة الفلسطينية في محورين رئيسيين لإسرائيل: محور جبهة الأردن، وهي أطول الجبهات، ومحور الجبهة اللبنانية-الإسرائيلية.

وبهذه الاتفاقية أيضًا أحاطت المقاومة الفلسطينية بإسرائيل في ثلاث دول عربية مكونة للجبهة الشرقية هي: الأردن وسوريا ولبنان، واتسع نشاط المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل، منسقة عملياتها مع القيادة العامة في القاهرة.

وقد نصت الاتفاقية على تنظيم الوجود الفلسطيني في لبنان وفقًا للآتي:

١ - حق العمل والإقامة والتنقل للفلسطينيين المقيمين في لبنان.

٢ - إنشاء لجان محلية من فلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها، وذلك بالتعاون مع السلطات المحلية وضمن نطاق السيادة اللبنانية.

٣ - وجود نقاط للكفاح الفلسطيني المسلح داخل المخيمات تتعاون مع اللجان المحلية لتأمين حسن العلاقات مع السلطة، وتتولى هذه النقاط موضوع تنظيم وجود الأسلحة وتحديدها في المخيمات، وذلك ضمن نطاق الأمن اللبناني ومصلحة الثورة الفلسطينية.

٤ - السماح للفلسطينيين المقيمين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية من خلال الكفاح المسلح ضمن مبادئ سيادة لبنان وسلامته.

كما أقرت الاتفاقية تقديم التسهيلات اللازمة للعمل الفدائي الفلسطيني ضد إسرائيل وخاصة في المجالات التالية:

١ - تسهيل المرور للفدائيين، وتحديد نقاط مرور واستطلاع في مناطق الحدود.

٢ - تأمين الطريق إلى منطقة العرقوب على سفوح جبل الشيخ.

٣ - تقوم قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات كافة أعضاء منظماتها، وعدم تدخلهم بالشؤون اللبنانية.

٤ - إيجاد انضباط مشترك بين الكفاح المسلح والجيش اللبناني.

٥ - إيقاف الحملات الإعلامية بين الجانبين.

٦ - القيام بإحصاء عناصر الكفاح المسلح الموجودة في لبنان بواسطة قيادتها.

٧ - تعيين ممثلين عن الكفاح المسلح في الأركان اللبنانية، يتولون حل جميع الأمور الطارئة.

٨ - دراسة توزيع أماكن التمركز المناسبة في مناطق الحدود التي يتم الاتفاق عليها مع الأركان اللبنانية.

٩ - تنظيم الدخول والخروج والتجول لعناصر الكفاح المسلح.

١٠ - إلغاء قاعدة جيرون.

١١ - يتولى الجيش اللبناني تسهيل أعمال مراكز الطبابة والإخلاء للعمل الفدائي.

١٢ - الإفراج عن المعتقلين والأسلحة المصادرة.

١٣ - ومن المسلم به أن السلطات اللبنانية من مدنية وعسكرية تستمر في ممارسة صلاحياتها ومسؤولياتها كاملة في جميع المناطق اللبنانية وفي جميع الظروف.

١٤ - يؤكد الوفدان أن الكفاح المسلح الفلسطيني عمل يعود لمصلحة لبنان كما هو لمصلحة الثورة الفلسطينية والعرب جميعًا.

١٥ - يبقى هذا الاتفاق سريًّا للغاية ولا يجوز الاطلاع عليه إلا من قبل القيادات فقط.

رئيس الوفد اللبناني رئيس الوفد الفلسطيني

توقيع العماد إميل البستاني توقيع السيد ياسر عرفات

ثالثًا: القمة العربية في الرباط وقمة طرابلس المصغرة

١ - الإعداد للقمة العربية في الرباط

في ١٠/١١/١٩٦٩ اجتمع مجلس الدفاع العربي في القاهرة لوضع خطة عمل موحدة لمواجهة إسرائيل والتمهيد لاجتماع قمة عربي يوم ٢٠/١٢/١٩٦٩ في الرباط. وكنت بوصفي قائدًا عامًّا لجيوش الدول العربية المواجهة لإسرائيل قد أعددت تقريرًا شاملًا في شكل تقدير موقف عسكري وخطة عمل تنظيمية تبين الحد الأدنى للقوات الميدانية المطلوبة من جميع الدول العربية على أساس التمركز في جبهتين، الأولى شرقية تضم قوات من جميع الدول العربية شرق البحر الأحمر وقناة السويس، والثانية غربية وتضم قوات جميع الدول العربية غرب هذا الخط. وجاءت قرارات مجلس الدفاع العربي في نفس الوقت تعبيرًا عن شعور الدول العربية بالدور العدائي الذي تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية ضد العرب، وأن الحل السلمي قد فشل ووصل إلى طريق مسدود نتيجة تعنت إسرائيل.

٢ - فشل القمة

وكان مدخل مناقشات مؤتمر القمة العربي في الرباط يوم ٢٠/١٢/١٩٦٩ هو الدعم العربي الشامل للمعركة، وقمت بعرض تقدير موقف العمل العربي الموحد وخطة العمل الموحدة والدعم المطلوب من كل دولة عربية على المؤتمر، كأساس يبين الحد الأدنى المطلوب من القوات الميدانية، منظمة على جبهتين (ملحق ١ المرفق).

وتقدمت وفود عديدة بمقترحات مختلفة عجز المؤتمر عن التوفيق فيما بينها، مما أدى إلى مغادرة الرئيس عبد الناصر للمؤتمر دون أن تصدر عنه أية قرارات. وأدى فشل مؤتمر الرباط إلى القضاء مؤقتًا على فكرة توحيد كل الجيوش العربية من أجل المعركة. وبقيت فكرة تنسيق العمل بين الجبهتين الشرقية والغربية قائمة. ولكن عندما قمت بتفقد قوات الجبهة الشرقية بعد زيارة عواصم هذه القوات (بغداد،

دمشق، عمان)، ومركز قيادة المقاومة الفلسطينية، لمست النقص الكبير في القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي وعدم تهيئة مسرح العمليات وخاصة فيما يتعلق بنقص الطائرات والقواعد الجوية، كما شعرت بعدم وجود التفاهم الكامل والتعارف بين قوات الدول الثلاث نظرًا لتباين السياسات ونظم التسليح وأسلوب العمل، ولم يكن يجمع بينها سوى التمركز المشترك في مسرح عمليات جغرافي واحد هو الجبهة الشرقية ولكن دون فاعلية قتالية. الأمر الذي جعلني أركز على التنسيق العملي بين القوات المصرية في الجبهة الغربية والقوات السورية في الجبهة الشرقية. وبقيت فكرة «قومية المعركة» معلقة.

وبالرغم من كل هذه الجهود وصدق النوايا الكامنة وراءها فإن العمل العسكري المشترك واجه عقبات كبيرة كان أبرزها ما حدث خلال قمة الرباط في ديسمبر ١٩٦٩ وعدم قدرة الدول العربية على وضع استراتيجية موحدة للمواجهة العسكرية ولجوء بعض الدول العربية لاستخدام أساليب المناورة بهدف التهرب من المشاركة الجادة والفعلية وإصرار دول أخرى على اشتراط إخطارها بتوقيت المعركة قبل إرسال أية قوات جديدة.

٣ - قمة طرابلس المصغرة

كما شهدت القمة المصغرة التي عقدت في طرابلس يوم ٢١/٦/١٩٧٠ وضمت رؤساء مصر والعراق وسوريا والجزائر وملك الأردن إلى جانب ممثلين لكل من السودان ولبنان مناورة عراقية، حيث سعى العراق خلالها إلى تمرير اتجاهاته الخاصة من خلال القيادة الليبية التي تبنت مشروعًا للعمل العسكري المشترك، لعب بعض المسؤولين العراقيين الدور الأساسي في صياغته، مما أثار استياء الرئيس جمال عبد الناصر ودفعه إلى مهاجمته بعنف، موضحًا أنه جرى وضعه في بغداد وأنه يمثل مناورة بعثية تتفق والخط الذي يلتزمه البعث منذ عام ١٩٦٣، مما أجهض هذا المشروع، ولم يسفر المؤتمر عن أية نتائج إيجابية محددة بعد ذلك.

على المستوى الدولي: العلاقات مع الاتحاد السوفيتي

أولًا: أسس التعاون المصري-السوفيتي

شهدت العلاقات المصرية-السوفيتية خلال هذه المرحلة تحولات مهمة في ضوء ما تعرض له الاتحاد السوفيتي من اتهامات تحمله جانبًا من وزر الهزيمة وتوريط مصر دون مبررات مؤكدة، خاصة فيما يتعلق بقضية الحشود الإسرائيلية على الجبهة السورية والتي جاءت إشاراتها الأولى من موسكو؛ يضاف إلى ذلك ما كان سائدًا من اختلافات أيديولوجية عمقت من عناصر الحذر والتشكك في تعاملات الطرفين على مدى سنوات طويلة، برغم التعاون المتنامي في المجالات الاقتصادية والثقافية، إضافة إلى العسكرية منذ توقيع صفقة الأسلحة التشيكية في ١٩٥٥. وكان على الطرفين أن يعدلا من سلبيات الخلفية الذهنية الكامنة وراء تعاونهما المشترك.

ومن ثم فقد ارتكز التعاون المصري-السوفيتي على مجموعة من المصالح المتبادلة التي يحرص كل طرف على تحقيقها ويدرك قدرة الطرف الثاني على الوفاء بها.

وبالنسبة للجانب السوفيتي فقد أدرك وجود مصلحة مؤكدة له في كسب ود مصر وصداقتها بحكم دورها الفعال في مواجهة النفوذ الأمريكي في شرق البحر الأبيض المتوسط، وجهودها في مقاومة الاستعمار الغربي في الوطن العربي وباقي مناطق العالم الثالث، إلى جانب سعيهم المستمر للتواجد في المياه الدافئة.

أما مصالح مصر فقد ارتكزت على مطلب تحرير الأراضي المحتلة مستعينة بالسلاح السوفيتي، ومارست ضغوطًا متواصلة على الجانب السوفيتي للاستجابة لاحتياجاتها العسكرية ومساندة الحق العربي في المحافل الدولية، بوصفه إحدى القوتين العظميين والمنافس القوي للولايات المتحدة، وإن كانت موازين القوة الدولية بين المعسكرين وضوابط الردع النووي قد فرضت قيودًا على حركة السوفييت تجاه العرب باستمرار.

وقد عمل الرئيس عبد الناصر على استثمار هذه المعادلة لصالح العرب، خاصة الدول الراديكالية، وكان التواجد السوفيتي في المنطقة والسعي إلى تكثيفه هو العامل الحاسم في تحقيق هذا الهدف، بقدر ما كان حافزًا في الوقت نفسه لطلب المزيد من المعونات العسكرية والاقتصادية التي ساهمت في استمرار الصمود المصري والسوري ضد السياسات الإسرائيلية والأمريكية.

وانطلاقًا من هذه المبادئ جاء تعويض الخسائر في المعركة سريعًا عقب المعركة مباشرة، عندما بدأ الجسر الجوي والبحري منذ يوم ٩/٦/١٩٦٧، مكونًا ٥٥٠ رحلة جوية، ١٥٠ باخرة لنقل معدات حربية لمصر، شملت في الأسبوع الأول بعد المعركة ٩٣ طائرة ميج ١٧ و٢٥ طائرة ميج ٢١.

ثانيًا: لقاءات القمة بين البلدين

وقد ساهم سفر الرئيس هواري بومدين والرئيس عبد الرحمن عارف إلى موسكو في تحفيز الاتحاد السوفيتي للاستجابة لطلبات دول المواجهة، وكانت قرارات قمة الخرطوم من جانب، والتعديلات التي أجراها الرئيس جمال عبد الناصر في مؤسسات الدولة وقيادة القوات المسلحة من جانب آخر، دافعًا لشعور الجانب السوفيتي بوجود تغيير جوهري في أساليب العمل، لكن العامل الأكثر أهمية والذي ساعد على توفير دفعات منتظمة للتعاون العربي-السوفيتي في المجال العسكري تمثل في اللقاءات التي عقدت على مستوى القمة بين البلدين في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ والتي شملت خمسة لقاءات نعرض لها على النحو التالي:

١ - اللقاء الأول: يونيو ١٩٦٧

عقد في القاهرة بين الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس «بودجورني» في الفترة من ٢١ إلى ٢٣ يونيو ١٩٦٧، حضره من الجانب السوفيتي المارشال «زخاروف» رئيس هيئة الأركان السوفيتية، كما حضره من الجانب المصري السادة: زكريا محيي الدين، وعلي صبري، ومحمود رياض، والفريق أول محمد فوزي. وركز هذا اللقاء على إعادة ترتيب العلاقات المصرية-السوفيتية في بداية مرحلة جديدة.

وفي يوم ٢٩/٦/١٩٦٧ طلب المارشال «زخاروف» مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر، حيث أبلغه استجابة الكرملين لكل الطلبات المصرية من الأسلحة والمعدات لجميع فروع القوات المسلحة، والتي سبق تسليمها ل- «بودجورني» قبل سفره، وتشمل: ٤٠ طائرة ميج ٢١ متطورة؛ وإيفاد ١٢٠٠ مستشار سوفيتي من الجيش العامل في جميع التخصصات كان من بينهم ١٢٠ طيارًا لتدريب طيارينا على الطائرات الجديدة.

وبلغت قيمة الصفقة الأولى مائة مليون جنيه ولم يطلب الاتحاد السوفيتي تسديد ثمن محتويات الجسر الجوي والبحري الذي جرى شحنه عقب المعركة مباشرة باعتباره تعويضًا لأسلحة مفقودة في المعركة. ثم غادر «زخاروف» مصر في نوفمبر ١٩٦٧ بعد الانتهاء من إنشاء أول خط دفاعي غرب القناة.

٢ - اللقاء الثاني في موسكو: ٢٩/٦/١٩٦٨

حضره مع الرئيس عبد الناصر السادة: محمد أنور السادات، ومحمود رياض، والفريق عبد المنعم رياض كما رافق الوفد السيد ياسر عرفات الذي قدمه الرئيس عبد الناصر للقيادة السوفيتية لأول مرة، وتمكن من الحصول على صفقة أسلحة صغيرة وهاونات قيمتها نصف مليون دولار.

وقد طلب الرئيس عبد الناصر في هذا اللقاء استمرار الدعم العسكري وزيادة عدد المستشارين السوفييت بما يسمح بوجود مستشار حتى مستوى كتيبة. وتم الحصول على صفقة تسليح جديدة بقيمة مائتي مليون دولار، وتدفقت الأسلحة السوفيتية بعد ذلك حتى بلغت ذروتها في عام ١٩٦٩، حيث وصل حجم ما تسلمناه في هذا العام إلى ما يوازي مجموع ما سبق توريده في الفترة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٧. كما بلغت درجة استيعاب المعدات والأسلحة الحديثة بواسطة الجنود المصريين إلى درجة أقنعت الجانب السوفيتي بتقديم المزيد واستمرار الدعم في كل المجالات.

٣ - اللقاء الثالث في موسكو: ديسمبر ١٩٦٩

في أواخر عام ١٩٦٩ تقدمت للرئيس جمال عبد الناصر بتقدير موقف عن حالة القوات الجوية والدفاع الجوي، وأوضحت أن حالتهما لا تمكنني من الوفاء بالأهداف التي وضعها لي في ١١/٦/١٩٦٧، ومن ثم فقد قرر إرسال وفد على مستوى عالٍ لبحث احتياجات القوات الجوية والدفاع الجوي، وكان برئاسة السيد أنور السادات وضم السيد محمود رياض والفريق أول محمد فوزي.

وبدأ رئيس الجانب المصري يشرح أبعاد الموقف السياسي مؤكدًا أن الحل السلمي قد وصل إلى طريق مسدود، وأن هدف مصر النهائي يتركز على الحل الشامل وليست الحلول الجزئية.

وفي المقابل ركز «بريجنيف» على مساندة الاتحاد السوفيتي للقوات المسلحة المصرية وتمكينها من امتلاك القدرة على شن معركة هجومية لتحرير سيناء، وإن كان ذلك يتوازى مع جهوده في الوقت نفسه للتوصل إلى تسوية سلمية.

وفي مجال الدعم العسكري تعهد «بريجنيف» بالآتي:

أ) استعداد الاتحاد السوفيتي لتدريب الأعداد اللازمة من الطيارين المصريين في موسكو وإرسال ٦٠ طيارًا سوفيتيًّا إلى مصر خلال شهر للعمل كخبراء.

ب) إرسال مجموعة كبيرة من صواريخ سام ٣ مع كامل أطقمها لتدريب الجنود المصريين عليها والاستعداد لتدريب أطقم سام ٣ لمدة ستة شهور في الاتحاد السوفيتي، مع الوعد بإرسال مجموعة أخرى من نفس الصواريخ للدفاع عن المدن الرئيسية ضد الغارات الإسرائيلية التي تستهدف العمق المصري، على أن ترافقها أطقم سوفيتية في حدود ألف جندي سوفيتي لتشغيلها في المرحلة الأولى.

وفي هذه النقطة تم تحديد أكتوبر ١٩٧٠ كتوقيت مناسب لوصول الصواريخ، لكن الرئيس عبد الناصر طلب تقديم هذا التاريخ لمواجهة الغارات الإسرائيلية في العمق، والتي كان يتزايد معدلها في الشهور الأولى من عام١٩٧٠.

٤ - اللقاء الرابع في موسكو: من ٢٢ إلى ٢٥/١/١٩٧٠

قرر الرئيس جمال عبد الناصر السفر إلى موسكو خلال الفترة من ٢٢ إلى ٢٥/١/١٩٧٠ برفقة السفير الروسي بالقاهرة «سيرجي فونو جرادوف» وكبير المستشارين العسكريين السوفييت، وصحبه من الجانب المصري الفريق أول محمد فوزي والسيد محمود رياض، وانضم لهما في موسكو السفير دكتور مراد غالب.

وفي هذه الزيارة أبدى الرئيس استياءه الشديد من معدل الإمدادات العسكرية السوفيتية وعدم تناسبها مع احتياجات المعركة، وهدد بترك الحكم إلى زميل له يمكنه التفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد جدل طويل تمكن الرئيس من أن ينتزع من القيادة الموافقة على الإمدادات التالية كأكبر صفقة تسليح تمت بين البلدين حتى تاريخه:

- ٣٢ كتيبة صواريخ سام ٣ كاملة بأجهزتها ومعداتها وأطقمها السوفيتية، مكوِّنة قوة دفاع جوي كاملة.

- ٨٥ طائرة ميج ٢١ معدلة جديدة بأجهزتها ومعداتها وطياريها السوفييت، لتشكيل ٣ لواءات جوية كاملة.

- ٥٠ طائرة سوخوي ٩.

- ١٠ طائرات ميج ٢١ تدريب.

- ٤ أجهزة رادار ب ١٥ للعمل ضد الطيران المنخفض.

- ٥٠ موتورًا جديدًا R 511 لطائرات الميج ٢١ الموجودة في مصر.

(ملحق ٥ وثائقي مرفق يبين مطالب القوات المسلحة المصرية من أجهزة ومعدات الدفاع الجوي).

٥ - اللقاء الخامس: من ٢٩/ ٦/ ١٩٧٠ إلى ١٧/ ٧/ ١٩٧٠

قرر الرئيس عبد الناصر السفر إلى موسكو يرافقه السادة علي صبري ومحمود رياض ومحمد حسنين هيكل والفريق أول محمد فوزي، وكان عرض الرئيس عبد الناصر للموقف العسكري يشمل تعرض قواتنا على الجبهة لغارات كثيفة جدًّا من طائرات الفانتوم الأمريكية المجهزة بمعدات إلكترونية متطورة للغاية ليس لدينا ما يماثلها، كما أن طائرات الميج ٢١ لا يمكنها البقاء في الجو مدة طويلة مثل طائرات الفانتوم وأنهى الرئيس الجلسة بطلبات محددة هي:

أ) إمدادنا بأجهزة الحرب الإلكترونية المتطورة لرفع كفاءة وقدرة نظامنا الجوي واشتباكات القوات الجوية ووحدات الاستطلاع.

ب) إمدادنا بطائرة قاذفة ثقيلة لردع إسرائيل في حالة ضرب العمق المصري.

ج) استكمال شبكة الدفاع الجوي بالصواريخ عن باقي صعيد مصر، وخاصة منطقة أسوان لحماية السد العالي. بالإضافة إلى التنسيق في العمليات بين المارشال «جريشكو»، وبين الفريق أول محمد فوزي، وخاصة فيما يتعلق بوسائل العبور.

وفي الجلسة الثانية يوم ١/٧/١٩٧٠ بدأ المارشال «جريشكو» بإخطار الرئيس عبد الناصر عن الطائرات الإسرائيلية التي أسقطت في اليوم السابق على الجبهة، وذكر أن عددها ١٣ طائرة منها ٦ فانتوم، وأن عدد الأسرى من الطيارين الإسرائيليين تسعة طيارين.

ومن جانبه استعرض الرئيس عبد الناصر موضوع الوحدة المقترحة بين مصر وليبيا وسوريا، وموضوع مشروع «روجرز» لوقف إطلاق النار المؤقت، وتم الاتفاق على استكمال المناقشة بين محمود رياض و«جروميكو».

كان الاتحاد السوفيتي مشغولًا في هذه الفترة باللقاءات والاجتماعات الحزبية نصف السنوية لمجلس السوفييت الأعلى واللجنة المركزية، وهو ما دعا القادة السوفييت لاستئذان الرئيس عبد الناصر لتأجيل اجتماعات القمة إلى يوم ١١/٧/١٩٧٠. وفضل تمضية هذه الفترة في مستشفى ومركز نقاهة «بربيخا» على بعد حوالي ٣٠ كيلومترًا غرب موسكو، ورافقه السيد علي صبري والفريق أول محمد فوزي لإجراء بعض التحليلات الطبية والفحوص أيضًا.

وفي ١٦/٧/١٩٧٠، وهي الجلسة الرابعة والأخيرة قرأ «بريجنيف» قرار القيادة السوفيتية:

إن الاتحاد السوفيتي قد قرر من جانبه الاستجابة لمعظم الطلبات التي تقدم بها الفريق أول محمد فوزي، ويصل ثمنها إلى ٤٠٠ مليون دولار، وقرر إجراء تخفيض في القيمة عند الدفع تصل إلى ٥٠٪، وأن الأسلحة والمعدات الإلكترونية سوف تصل إلى مصر طبقًا لجدول زمني اتفق عليه بين الجانبين، أما باقي المعدات والأسلحة فسوف تصل قبل نهاية ١٩٧٠. وفيما يتعلق بتواجد الطائرات القاذفة الثقيلة من طراز ت ي ١٦ س أو الأليوشن ٢٣ فيحسن تأجيل إرسالها حاليًّا لأنه قد يسبب مضاعفات دولية، إلا أنها ستكون جاهزة - في حالة طلبها في ظروف الاشتباكات - في ظرف ٦ ساعات في مصر بدءًا من وصول الطلب.

هذا وقد اتفقت مع المارشال «جريشكو» على الأهداف الحيوية المناسبة التي يمكن قذفها في إسرائيل بواسطة هذه الطائرات.

وانتهى هذا اللقاء الخامس والأخير مع الرئيس عبد الناصر بإمداد القوات المسلحة المصرية بالآتي:

أ) نظام كامل لأجهزة الحرب الإلكترونية المتطورة لمنطقة القناة وأخرى لمنطقة القاهرة ووصلت على التوالي خلال شهر أغسطس ١٩٧٠.

ب) لواء كامل من صواريخ سام ٦ بأطقم سوفيتية وأجهزة إدارة نيران إلكترونية ووصل هذا اللواء بأطقمه السوفيتية جوًّا إلى منطقة أسوان للدفاع عن السد العالي وخزان أسوان ضد الهجوم الجوي المنخفض ومتوسط الارتفاع.

ج) توريد ٤ طائرات ميج ٢٥ حديثة تصل مصر لأول مرة لدعم الاستطلاع التعبوي والاستراتيجي بالنظر لقدرتها على الطيران على الارتفاعات العالية جدًّا، وتمركزت في مطار غرب القاهرة.

د) استكمال لوائي الاستطلاع الاستراتيجي السوفيتي بهدف تحقيق احتياجاتنا في مجال الاستطلاع الاستراتيجي، كذا لتغطية طلبات الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض بالمعلومات الاستراتيجية وتمركز لواء منهما في مرسى مطروح والآخر في أسوان.

هـ) بدء توريد بعض معدات العبور من الكباري المتحركة والمنقولة على عربات بواقع كوبري كل شهرين حتى نهاية عام ١٩٧٠.

و) توريد ٣ فرقاطات تحمل كل منها سرية من جنود الإنزال البحري ومسلحة بصواريخ سام ٦ تتمركز في مدخل ميناء بورسعيد، وتتعاون أسلحتها وصواريخها مع شبكة الدفاع الجوي في المنطقة العسكرية في بورسعيد.

وتجدر الإشارة إلى أن لواء الصواريخ سام ٦، وطائرات الميج ٢٥، وفرقاطات بورسعيد، وطائرات الاستطلاع الاستراتيجية لم تدرج ضمن صفقة الأسلحة والمعدات ولم تدخل عهدة القوات المسلحة المصرية لعدم تحميل مصر العبء المالي الكبير، واعتبرت من وجهة نظرنا معارة على سبيل الأمانة للقوات المسلحة المصرية، ولكنها وضعت من وجهة نظر القيادة والسيطرة تحت إمرة القيادة العامة المصرية.

ثالثًا: الدعم من الدول الشرقية

بعد معركة ١٩٦٧ مباشرة قدمت كل من يوغسلافيا وألمانيا الشرقية كمية من الأسلحة والدبابات ومعدات متنوعة اعتبرتها معونة للقوات المسلحة المصرية. بينما عقدت مع تشيكوسلوفاكيا ثلاث صفقات كبيرة للتسليح:

١ - الأولى عقدت في أوائل ١٩٦٨ وكانت عبارة عن دبابات ومقطورات في حدود ١٠٠ مليون جنيه.

٢ - أما الثانية فكانت في أوائل ١٩٦٩ وشملت العربات المدرعة توباز في حدود ١٨٢ مليون جنيه.

٣ - وشملت الثالثة صفقة أجهزة إدارة نيران مدفعية ٥٧ مم مضادة للطائرات.

وخلال النصف الثاني من عام ١٩٧٠ كانت استعدادات القوات المسلحة لتحرير الأرض قد استكملت، كما وصلت توريدات الاتحاد السوفيتي من الأسلحة والمعدات إلى مصر عدا بعض كتائب الصواريخ القليلة التي كنت قد طلبتها لتكثيف الدفاع الجوي عن بعض الأهداف الحيوية في عمق الصعيد وبعض معدات العبور.

وإن كنت غطيت جو الصعيد بدفاع جوي ممثل في تواجد لواء ميج ٢١ معدل في مطار قنا - وهو أقوى وأجدى مائة مرة من لواء صواريخ سام لحين وصول الأخير.

رابعًا: الدعم الاقتصادي السوفيتي لمصر

يعتبر الاقتصاد في أية دولة أحد المقومات الأساسية التي يعتمد عليها الشعب والقوات المسلحة في الصراع العسكري. وعندما توطدت علاقة الصداقة والتعاون والثقة مع الاتحاد السوفيتي بعد عام ١٩٦٧، عمل مخلصًا على رفع قدرات الشعب المصري كلها اقتصاديًّا وعسكريًّا في خطة شاملة، بهدف تنمية ورفع القدرات الدفاعية للشعب كله بوصفه المصدر الوحيد البشري والفني والثقافي والسياسي للقوات المسلحة.

وكانت الجمهورية العربية المتحدة تعتبر التنمية الصناعية منذ الستينيات السبيل الأمثل لتطوير المجتمع اقتصاديًّا وتحقيق العدالة الاجتماعية، وقد تعاون الاتحاد السوفيتي في مجال التصنيع في مصر، وخاصة في تنفيذ مشروعات إنشاء السد العالي «مياه وكهرباء»، وكهربة الريف، ومصانع الحديد والصلب، والألمنيوم، والصناعات الوسيطة الممثلة في مئات المصانع. هذا بالإضافة إلى امتصاص الاتحاد السوفيتي لصادرات مصر الصناعية والزراعية.

كل ذلك كون قاعدة متينة لدفع قدرات الشعب الاقتصادية، وكان الخبراء السوفييت وخبراء الدول الشرقية خير معين لنا في هذا المجال، وساهمت هذه التنمية الصناعية والفنية بفاعلية في تحقيق الصمود الاقتصادي وتوفير قدر هائل من احتياجات القوات المسلحة، إلى جانب آلاف الأفراد المؤهلين فنيًّا الذين كان لهم الفضل في رفع الكفاءة الفنية في القوات المسلحة.

خامسًا: التعامل المالي

طبق الاتحاد السوفيتي معنى الصداقة والتعاون والثقة في معاملاته المالية مع مصر. فكانت صفقات الأسلحة والمعدات الحربية تعقد على أساس تعاوني لمساندة شعب صديق يعمل على تحرير سياسته الخارجية، وكان الثمن هو ثمن التكلفة في تصنيعها فقط وليس على أساس تجاري، وهو ما يعني تخفيض ٢٥٪ تقريبًا من أثمانها. وعندما تطورت علاقة الصداقة والتعاون والثقة بعد ذلك، وتخفيفًا لعبء الديون العسكرية عن مصر، قرر الاتحاد السوفيتي تحصيل نصف قيمة الأسلحة

فقط عند الدفع، أما المعدات المدنية مثل العربات للأفراد والنقل فكان ثمنها مثل التجاري تمامًا دون تخفيض، وكانت صفقات السلاح تتم على أساس قروض بفائدة سنوية من ٢٪ إلى ٢.٥٪ مع فترات سماح طويلة وأقساط يتم سدادها على مدى أربعين عامًا.

أما السلاح والمعدات التي فقدتها مصر في معركتي ١٩٥٦ و١٩٦٧ فقد استعوضها الاتحاد السوفيتي مجانًا.

وكان سداد تكلفة قطع الغيار وإصلاح محركات الطائرات ومطالب الورش يتم سنويًّا بالدفع النقدي الحسابي على أسلوب المقاصات بين وزارة الحربية، وبين وزارة التجارة الخارجية، وتحول حساب الديون العسكرية على مصر إلى وزارة الخزانة التي قدرت ما علينا في أوائل عام ١٩٧١ بمبلغ ٤٥٠٠ مليون جنيه مصري حسابي.

وبالرغم من أن مصر قامت بجدولة الديون العسكرية مع الاتحاد السوفيتي أكثر من مرتين كان آخرها عام ١٩٧٠ فإن مصر لم تدفع أي قسط من أقساط هذه الديون حتى ذلك الوقت. وتناقل المعنيون بالأمر في مصر اصطلاحًا صدر عني «على النوتة» تدليلًا على عدم دفع أية قيمة مادية لأية صفقة تسليح مع الاتحاد السوفيتي.

وفي آخر لقاء مع الرئيس عبد الناصر في موسكو في شهر يوليو ١٩٧٠ فاتح قادة الكرملين الرئيس عن تأخر مصر في دفع الأقساط بالرغم من جدولة الديون مرتين، فكان رد الرئيس عبد الناصر بصراحة: «إحنا ما عندناش فلوس. وأنتم وعدتم قبل ذلك أنكم تبحثوا عن البترول في الصحراء الغربية في مصر فإن وجدتموه فلكم ٥٠٪ من الإنتاج ولي ٥٠٪ منه». وسكت قادة الكرملين عن إثارة الموضوع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث

التخطيط الاستراتيجي العام للمعركة

ارتكز التخطيط الاستراتيجي للمعركة على أربعة محاور رئيسية متوازية استهدفت تحقيق مهام القوات المسلحة المصرية في مرحلة ما بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ في أربعة اتجاهات هي:

- تنظيم أسلوب الدفاع عن الدولة والقيادة والسيطرة على القوات المسلحة.

- إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة على أسس علمية.

- التخطيط العسكري لتحرير الأرض حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

- إعداد مسرح العمليات والدولة والشعب للمعركة.

وكان حرصي وأنا أطبق هذه المهام الأربع أن تتم جميعًا في مراحل متزامنة باعتبار أن تحقيق كل مهمة منها يستلزم إنجاز المهمة الأخرى بكم مناسب، وبحيث يتم رفع الكفاءة والقدرة القتالية للقوات المسلحة بالتدريج، وأن يجري تقويم الإنجاز في كل مهمة على حدة كل ثلاثة شهور وعرضه على القائد الأعلى للقوات المسلحة.

كما حرصت أن أبلغ أعواني ومساعديَّ على المستوى التنفيذي أن العدو الإسرائيلي سوف يتدخل في إنجاز هذه المهام بهدف العرقلة أو الحيلولة دون الوفاء بها عملاً على كسب الوقت لصالح هدف تهويد الأرض العربية التي اغتصبها. ولقد كان عنصر القوة المؤثر في تحقيق الهدف بالنسبة للمهام الأربع هو إرادة قادة وضباط وجنود القوات المسلحة علاوة على الإرادة الشعبية ذاتها والتي بدونها لا يمكن - في تقديري الشخصي - إتمام أية مهمة منها في هذا الزمن المحدد.

أما القيد الذي كان عليَّ الالتزام به دون أية مرونة فهو القيد الزمني الذي حدده لي الرئيس عبد الناصر في التوجيهات الأولى يوم ١١/٦/١٩٦٧، وهو ألا تزيد الفترة الزمنية اللازمة لإعداد القوات المسلحة لمعركة تحرير الأرض حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ على ثلاث سنوات.

تنظيم أسلوب الدفاع عن الدولة والقيادة والسيطرة على القوات المسلحة

لم يكن في مصر أية تشريعات دستورية تنظم أسلوب الدفاع عن الدولة أو تحدد مسؤوليات القيادات السياسية والعسكرية في شؤون الحرب والسلام، وكانت أساليب القيادة والسيطرة على القوات المسلحة المصرية - الجيش المصري سابقًا - محددة بقوانين الجيش، وقانون الأحكام العسكرية الذي وضعته السلطة البريطانية عام ١٨٩٦، ولذا فقد وجب الحصول على مراجع مختلفة تبين المدارس والأفكار المختلفة الحديثة في العالم المتقدم.

ومن ثم فقد أمرت بتشكيل لجنة من هيئة تنظيم القوات المسلحة، وهيئة البحوث العسكرية تحت إشرافي، وحصلت على خبرات بعض الدول الأجنبية مثل الاتحاد

السوفيتي، والهند، ويوغوسلافيا، وبريطانيا، وعملنا على استخلاص ما يمكن أن يتوافق مع البيئة العربية وما يتفق مع التقاليد والدستور والتوجيهات التي تحكم تلك المرحلة من الصراع، وتحدد لهذه العملية مجموعة من الأهداف كان في مقدمتها:

١ - تحديد المسؤوليات في مرحلة إعداد الدولة للحرب.

٢ - توصيف وضعية القوات المسلحة ضمن الإطار العام لأجهزة الدولة، وتحديد سلطات فعالة لرئيس الجمهورية، تكفل له الإشراف المباشر على سير الإعداد للمعركة بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة، يعاونه في ذلك مجلس الدفاع القومي.

٣ - توحيد القيادة والسيطرة داخل وزارة الحربية تمشيًّا مع التنظيم العام للدولة والذي يحرص على تجنب أية ازدواجية في الصلاحيات والمسؤوليات.

٤ - تفويض وزارة الحربية في مهمة السيطرة المباشرة على إعداد شؤون الدفاع عن الدولة، وتحديد اختصاصات واضحة لكل من وزير الحربية ورئيس الأركان بمعاونة المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

٥ - ضمان اتخاذ قرارات جماعية في الموضوعات العسكرية المهمة، وبحيث لا يكون لفرد واحد حق اتخاذ القرارات المصيرية، وتم ذلك بواسطة إنشاء مجلس حرب للتشكيلات الميدانية الكبرى مع عدم حرمان القائد من الابتكار والمبادأة داخل الإطار العام للقرار الجماعي.

٦ - أهمية مراعاة عنصر التوازن بين المسؤوليات والصلاحيات الممنوحة للقادة على مختلف مستويات القوات المسلحة لتمكينهم من الوفاء بمسؤولياتهم بطريقة إيجابية.

وبناء عليه، فقد تمت صياغة الإطار السليم لمجال عمل واختصاصات كل من رئيس الجمهورية، ومجلس الدفاع الوطني، ووزارة الحربية، والقيادة العامة للقوات المسلحة، وهيئاتها وإداراتها، بما يكفل تكاملها، وعدم تعارض أو ازدواجية اختصاصاتها حرصًا على عدم ضياع المسؤولية مع التأكيد على الاعتبارات التالية:

١ - تحديد واضح للفروق بين القيادة الجماعية والقيادة الفردية.

٢ - عدم تجزئة مسؤولية العمل الواحد.

٣ - مركزية القيادة والالتزام بنظام التسلسل القيادي.

٤ - أية مسؤولية يقابلها تفويض بالسلطة الضرورية.

٥ - تعيين مساعدين متخصصين في كل مجال بجوار القائد مع تحديد مدة زمنية لشغل موقع القيادة لأي قائد.

٦ - تقسيم واضح للسلطات والواجبات بين القائد ومرؤوسيه على أن تكون المسؤولية الأولى للقائد هي اتخاذ القرار في أقصر وقت ممكن، مع تحديد واضح لمهام المعاونين.

وبالتالي جرى وضع مشروع قانون ينظم شؤون القيادة والسيطرة على شؤون الدفاع عن الدولة، وعلى القوات المسلحة بوجه خاص وفقًا للاعتبارات السابقة، وقد وافق عليه الرئيس جمال عبد الناصر، وأمر بإحالته إلى مجلس الأمة بهدف إصداره في صورة قانون ملزم، وأصبح لدى مصر لأول مرة قانون ينظم العلاقات والمسؤوليات والواجبات لكل من القيادة السياسية والقيادة العسكرية والقيادة العامة وأجهزتها والتشكيلات الميدانية الكبرى والأفرع الرئيسية للقوات المسلحة، والذي صدر برقم ٤ لعام ١٩٦٨، ولا يزال جوهره منفذًا حتى الآن. (الملحق ٢ شرح تفصيلي لهذا التنظيم).

إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة

أولًا: توحيد القيادة العامة وتحديد المسؤوليات والسلطات لكل القيادات

كانت باكورة إعادة التنظيم هي توحيد القيادة العامة للقوات المسلحة متمثلة في القائد العام ونائبه رئيس الأركان، وتم إلغاء مكتب وإدارة القيادة العليا ومكتب رئيس الأركان، وتعيين مدير واحد يعمل لكل من القائد العام ورئيس الأركان في وقت واحد، وبذلك توحدت قمة القيادة العامة للقوات المسلحة.

ثم قمت بتوحيد جسم القيادة العامة نفسها، وتمثل ذلك في تعيين عدد كبير من ضباط أركان حرب في جميع الأفرع الرئيسية - البحرية، الجوية، الدفاع الجوي - فأصبح ضباط أركان حرب القيادة العامة خليطًا متساويًا تقريبًا من ضباط القوات المسلحة، وأصبح التعايش والاندماج لضباط أكفاء من مختلف الأسلحة في مهمة واحدة في هيئات وإدارات القيادة العامة أسلوبًا صحيحًا لتوحيد الفكر، ونضج العمل والإنتاج، وسهولة الاتصال الأفقي والرأسي، وأصبحت فاعلية وسيطرة القيادة العامة على جميع القوات واقعية.

ثم بدأت أضع المسؤوليات والسلطات لكل القيادات الكبيرة سواء في القيادة العامة أو لقادة الأفرع الرئيسية، مطبقًا في ذلك مبدأ تعادل المسؤولية والسلطة.

وبعد تعيين الفريق عبد المنعم رياض رئيسًا للأركان استكملت تعيين: قادة الأفرع الرئيسية للقوات البحرية، والجوية، والدفاع الجوي؛ قائد الجيش «الجبهة»؛ رؤساء هيئات القيادة العامة: عمليات وتنظيم وتسليح، هيئة التدريب، التفتيش والمتابعة، هيئة الإمدادات والتموين، هيئة الشؤون الفنية، هيئة الشؤون المالية والإدارية؛ والإدارات التخصصية مثل: إدارة المشاة، إدارة المدرعات، إدارة المدفعية، إدارة المخابرات، إدارة الإشارة، إدارة شؤون الضباط، إدارة التوجيه المعنوي، إدارة الشرطة العسكرية، إدارة المركبات، إدارة الخدمات الطبية، إلخ.

وقد كلفت الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان، ومعه رئيس هيئات التنظيم والتسليح والإدارة، ورئيس هيئة البحوث العسكرية، ورئيس هيئة الإمداد والتموين، ومديرو الإدارات التخصصية في القيادة العامة للقوات المسلحة، لوضع التخطيط والبرنامج الزمني لإعادة وبناء القوات المسلحة على أسس جديدة والتي شملت الآتي:

١ - حجم القوات المسلحة المستهدف لتحرير شبه جزيرة سيناء حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

٢ - حجم التسليح والمعدات والأجهزة والذخيرة المطلوبة لهذا الحجم وتعدد صفقاتها ومواعيد استيرادها من الاتحاد السوفيتي.

٣ - خطط التعبئة سواء البشرية أو في المعدات المحلية المطلوبة لخدمة المعركة طبقًا لمراحل نمو الحجم الكلي للقوات.

٤ - وضع خطط لإعداد مسرح العمليات لخدمة المعركة الشاملة المتوقعة مع إسرائيل، ومنها قواعد الطيران والمطارات والممرات والملاجئ وخطوط المواصلات وقواعد الدفاع الجوي في كل المناطق الدفاعية.

٥ - خطط التموين والإعاشة والمواصلات بأنواعها المختلفة والطرق.

٦ - خطط القيادة والسيطرة على مناطق عمليات عسكرية باعتبارها جزءًا من مسرح العمليات مع إنشاء مقار القيادة والسيطرة في كل منها.

٧ - خطة الاحتياطي البشري والمادي: معدات، أجهزة، مواصلات تبادلية.

٨ - خطة إنشاء الجيش الشعبي لحماية ٤٠٠٠ هدف حيوي في الجمهورية.

٩ - وأخيرًا وضع خطط التوجيه المعنوي على أسس علمية حديثة.

ثانيًا: حجم القوات المسلحة

حددت خطة تحرير الأرض التي تم التصديق عليها حجم القوات المسلحة المستهدف تحقيقه بعد ثلاث سنوات، على الوجه التالي:

١ - تشكيلات برية

مجملها: ٥ فرق مشاة، ٣ فرق ميكانيكية، ٢ فرق مدرعة، ٣ لواءات مدرعة مستقلة، ١ لواء استطلاع، ٢ لواء مظلات، ٤٤ كتيبة صاعقة، ٢ لواء إبرار جوي، بالإضافة إلى وحدات الرئاسة العامة، ووحدات دعم ومعاونة، ووحدات إدارية وفنية وطبية، ووحدات سيطرة ووحدات نقل على مستوى التشكيلات الميدانية والمناطق العسكرية كذا على مستوى القيادة العامة. وقد تطور هذا الحجم حتى وصل عام ١٩٧٠ إلى ٤/٣ مليون مقاتل وروعي في هذا الحجم التوازن العملي بين وحدات القتال ووحدات الصدام ووحدات النيران، واعتبارات مهمة أخرى مثل خفة الحركة والمرونة والاعتماد الذاتي وتناسق التركيب التنظيمي ومدى القيادة والسيطرة.

٢ - قوات جوية

مجملها: ٦٠٠ طائرة مقاتلة-قاذفة يقودها ٨٠٠ طيار ذوو كفاءة عالية، مشكلة من ألوية جوية، كل لواء يخصص له ٢ مطار أو قاعدة جوية، ٢ لواء قاذف خفيف، ٢ لواء قاذف ثقيل، ٥ ألوية هليكوبتر، ٢ لواء نقل ومواصلات، بالإضافة إلى طائرات التدريب التي قدرت في الخطة ب- ١٢٠ طائرة.

٣ - قوات الدفاع الجوي

٨ فرق دفاع جوي، كل فرقة تقود وتسيطر على ٣-٥ ألوية صواريخ ومدفعية مضادة للطائرات ثقيلة وخفيفة، ٨ كتائب رادار توجيه وإنذار، بالإضافة إلى نقط الملاحظة بالنظر ومواصلاتها وأجهزتها؛ مع إنشاء غرف عمليات دفاع جوي لكل فرقة أو لواء منفصل، على أن يرتبط بغرفة عمليات دفاع جوي رئيسية وأخرى تبادلية.

هذا وقد أوصت الخطة بفصل الدفاع الجوي عن القوات الجوية وإدارة المدفعية، ليكون القوة الرئيسية الرابعة في القوات المسلحة، تعتمد في قتالها الجوي على الصواريخ الحديثة المتطورة المدعمة بأجهزة توجيه إلكترونية، وأن يكون معظمها متحركًا وتشغيلها بالوقود الجاف.

٤ - قوات بحرية

لم تتضمن الخطة إضافة أية وحدات بحرية على حجم القوات البحرية الموجودة فعلًا، إلا أنها نصت على ضرورة التوازن التعبوي بين عدد القطع الصغيرة والقطع الكبيرة، مع زيادة عناصر الاستطلاع الجوية البحرية على مستوى قيادة القوات البحرية مدعمة بأجهزة إلكترونية، وإنشاء لواء إنزال، وضرورة تواجد لنشات مدفعية سريعة، وزيادة عدد وحدات الضفادع البشرية، وزيادة عدد الموانئ الحربية في كل من البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، مع زيادة عدد وحدات الورش والإصلاحات. هذا وقد روعي في التنظيم الجديد ضم قوات المدفعية والصواريخ الساحلية إلى قيادة القوات البحرية.

٥ - وحدات الرئاسة العامة

وهي تشمل الوحدات المقاتلة والمعاونة ووحدات السيطرة خارج التشكيلات الميدانية التي تسيطر عليها وتديرها الإدارات المتخصصة في القيادة العامة، وتدعم بها أي اتجاه تعبوي، أو سد عجز عند الضرورة، وتكون دائمًا في الاحتياطي العام.

٦ - وحدات إدارية وفنية

شملت الخطة إنشاء وحدات إدارية وفنية كثيرة تمشيًا مع الحجم المطلوب توافره في التشكيلات الميدانية في الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة. وبالنظر لاختلاف نوعية تجهيزات ومعدات هذه الوحدات مع ضرورة توافر عناصر مهنية مختلفة فقد استغرق إنشاؤها فترة طويلة نسبيًّا عن التشكيلات الميدانية، وهذه الوحدات تخص هيئة الإمدادات والتموين وإداراتها ومخازنها كما تخص هيئة الشؤون الفنية وإداراتها.

٧ - وحدات السيطرة

وهي تشمل وحدات الشرطة العسكرية والمرور في القواعد وفي خطوط المواصلات والمناطق الخلفية للجيوش والمناطق العسكرية. وقد استغلت هذه الوحدات في خدمة مرور وإرشاد ميداني أكثر منها خدمة للأمن.

٨ - المنشآت التعليمية

شملت المعاهد والمدارس التعليمية والمهنية والتخصصية، وتركزت الزيادة في الحجم على ضرورة إنشاء المدارس المهنية والتخصصية، إذ إن هذا العنصر كان ناقصًا على جميع المستويات. وكانت الصعوبة في إعداده تتلخص في طول الفترة الزمنية اللازمة لتحويله من مجند إلى مهني، خاصة بعد أن وصلت المعدات الحربية الحديثة التي تتميز بتكنولوجيا عالية. كما تم إنشاء المعهد الفني للقوات المسلحة، وفتح المدرسة الجوية الثانوية لإمداد الكلية الجوية بشباب لائق طبيًّا منذ البداية.

٩ - إدارة ووحدات التوجيه المعنوي

ركزت الخطة على ضرورة تواجد هذا العنصر على مستوى القيادة العامة وعلى مستوى التشكيلات الميدانية حتى مستوى كتيبة المشاة وما يعادلها في الأفرع الرئيسية الأخرى وكان ترسيخ الوعي الوطني والقومي لدى كل مقاتل في القوات المسلحة هو المهمة الجديدة الرئيسية لهذه الوحدات.

١٠ - إلغاء وحدات غير مقاتلة

بعد أن تحدد هدف القوات المسلحة ليكون تحرير الأرض بالقوة المسلحة، لم يعد هناك مبرر لوجود وحدات عسكرية ليس لها هذا الواجب، فتم إلغاؤها بقرارات جمهورية فورية وهي: وحدات الشرطة العسكرية الجنائية، وحدات مراقبة المخدرات، وحدات مراقبة الأسماك، وحدات مراقبة الطيور، وحدات مراقبة التموين، وحدات الزراعة، وحدات الإسكان بالعباسية، وحدات النقل العام بمدينة القاهرة، مؤسسة هيئة التصنيع للطائرات والصواريخ، عدا أجهزة البحوث ومراكز الإصلاح في كل منها فأبقيت عليها للعمل في الأبحاث لكل منها.

وترتب على هذه الإلغاءات إعادة تنظيم إدارتي الحدود والسواحل ودمجهما في إدارة واحدة، إذ إن مهمة كلتا الإدارتين واحدة وذلك بعد إلغاء الوحدات غير المقاتلة التابعة لها.

١١ - المناطق العسكرية والمحطات

وأخيرًا قامت هيئة التنظيم والإدارة برئاسة اللواء أحمد زكي عبد الحميد التي وقع عليها عبء إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة الجديدة بتنظيم المناطق العسكرية للجمهورية، وانبثقت منها محطات عسكرية، وحددت مسؤولية القيادة والسيطرة لهذه المناطق والمحطات بحيث تغطي أرض الجمهورية كلها، والتي اعتبرت من وجهة نظر العمليات أنها مسرح العمليات المنتظر.

١٢ - تنظيم جيشين ميدانيين

أعيد تنظيم قيادة المنطقة الشرقية العسكرية في عام ١٩٦٨ إلى قيادة ميدانية جديدة هي قيادة الجيش الثاني، وإنشاء قيادة جديدة أخرى ميدانية هي قيادة الجيش الثالث وتشكيلاته. وتولت القيادتان مسئولياتهما الميدانية على جبهة قناة السويس.

التخطيط الاستراتيجي للعمليات الحربية

أولًا: تكليف اللجنة والخطط الدفاعية الأولى

كلفت الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة، ومعه رئيس هيئة العمليات الحربية ومساعدوه وبمعاونة كبير المستشارين السوفييت لوضع خطة عسكرية لتحرير الأرض، وأعطيت له الخطوط الرئيسية للاستراتيجية العسكرية لتحقيق الهدف السياسي، كما أوضحت له فكرتي العامة عن تدرج النمو والبناء والإعداد للقوات المسلحة من خلال الاتجاهات الأربعة السابق ذكرها في إعادة التنظيم، وبعد التصديق على الخطوط العريضة للخطط ونموها وتطورها، أقوم بعرضها على القائد الأعلى بصفة دورية كل ثلاثة شهور.

أما من ناحية العمليات الحربية فذكرت له ما دار من حديث الرئيس عبد الناصر معي يوم ١١/٦/١٩٦٧، وما دار من مناقشات في مؤتمر القمة العربي بالخرطوم، وحددت له مهمة القوات المسلحة المصرية لتحقيق الهدف السياسي للأمة العربية، ومنه انبثق الهدف العسكري المستهدف إنجازه على مرحلتين:

- الأولى: إزالة آثار عدوان يونيو ١٩٦٧، وذلك بالتعاون والتنسيق مع سوريا بعد فترة إعداد قدرها ثلاث سنوات.

- الثانية: إعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بعد إنجاز المهمة الأولى، وتتم بالتعاون مع جميع الدول العربية عندما تتبلور قومية المعركة التي يهدف إليها الرئيس عبد الناصر لتحقيق النصر النهائي.

أما من ناحية تطور خطط العمليات فقد اتفقت وجهات نظرنا نحن الاثنين على بداية التخطيط للعمليات على أساس خطة دفاعية سريعة تهدف إلى منع العدو من استغلال نجاحه في ٥ يونيو ١٩٦٧، ثم تتدرج الخطط والمهام للعمليات إلى خطط المواجهة المباشرة من خلال عمليات دفاع نشطة ثم إلى خطط وعمليات هجومية عند استكمال بناء وإعادة تنظيم حجم القوات المسلحة المطلوب لتحرير الأرض بالقوة حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

وقد تقدم الفريق عبد المنعم رياض بالخطط الدفاعية الأولية التي تغطي المهمة الأولى للعمليات الحربية - أي الدفاع السلبي - مستغلًا القوات التي تجمعت في ذلك الوقت، والتي كانت معتمدة على ثلاث فرق مشاة وفرقة مدرعة، تجمعت عناصرها غير المتكاملة على عجل. وكانت القوات تتجمع مكونة النسق الأول الدفاعي غرب القناة، كما كان التسليح يرد إلى القاهرة جوًّا أو إلى الإسكندرية بحرًا ويرسل فورًا إلى جبهة القتال. ويتم التدريب القتالي في الجبهة أيضًا في نفس الوقت الذي يتم فيه إعداد مسرح العمليات من ملاجئ إلى دشم للمعدات والأسلحة إلى خنادق تكون النسق الدفاعي الأول.

ثانيًا: التخطيط الهجومي لتحرير سيناء

ترجع أصول التخطيط الاستراتيجي لتحرير سيناء كاملة إلى أحداث الحرب العالمية الأولى حين تعلمنا أن الخط الأول للدفاع عن مصر من الاتجاه الشمالي

الشرقي - الاتجاه الذي يهدد وادي النيل. وهو منطقة بئر سبع-غزة وأن الخط الثاني الدفاعي من نفس الاتجاه هو منطقة المضايق الجبلية شرق قناة السويس بحوالي من ٣٠-٥٠ كم.

ولذا أصبحت منطقة المضايق الجبلية شرق قناة السويس هي مفتاح الموقف العسكري لتحرير سيناء. من يسيطر على هذه المضايق يتحكم في المنطقة الشرقية في سيناء، كذا جنوب سيناء كلها بما فيها خليج العقبة وشرم الشيخ، ولا أبالغ إذا قدرت أن الاستيلاء على المضايق والتمسك بها ينهي الصراع العربي-الإسرائيلي لصالح العرب.

إن غزو إسرائيل لسيناء عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ يثبت صحة هذه النظرية إذ إن القوات الإسرائيلية لم تتمكن من الاقتراب من شرم الشيخ أو جنوب سيناء إلا بعد أن ثبتت أقدامها على منطقة المضايق الجبلية شرق قناة السويس.

وعلى ذلك بُني التخطيط الاستراتيجي لتحرير سيناء على تأمين الخطوات الهجومية التالية:

١ - قاعدة دفاعية صلبة غرب قناة السويس تمتد جنوبًا إلى ساحل البحر الأحمر حتى الغردقة مع الاحتفاظ باحتياطي تعبوي لكل جيش، واحتياطي استراتيجي مدرع للجبهة التي امتدت بطول ١٧٠ كم.

٢ - عملية عبور قناة السويس على طول المواجهة مع تأمين عملية العبور بإنشاء وتكوين رؤوس كباري فرق على الجانب الشرقي للقناة.

٣ - التقدم على ثلاثة محاور - الشمالي، الأوسط، الجنوبي - بقوة ثلاث فرق ميكانيكية ومعاونة الطيران والدفاع الجوي والبحرية لاقتحام منطقة المضايق الجبلية مع وجود احتياطي تعبوي لواء مدرع لكل فرقة ميكانيكية مكونة منطقة دفاعية بطول المضايق الجبلية.

٤ - يظل الاحتياطي الاستراتيجي للدولة في مكانه غرب القناة لحين الاستعداد لاستكمال تحرير باقي سيناء شرق المضايق منفذًا المرحلة الثانية لتحرير سيناء حتى خط ٤ يونيو ١٩٦٧.

- وضعت الخطة ٢٠٠ الدفاعية لتنفيذ البندين ١ و٢.

- وضعت العملية جرانيت الهجومية لتنفيذ البندين ٣ و٤.

كما أورد تقرير التخطيط عن حجم الوحدات المساعدة والمعاونة الأخرى، الإدارية والفنية، وحجم القوات الخاصة الذي حُدد ب- ٤٤ كتيبة. وعندما عرض التقرير على الرئيس نصح بزيادة عددها إلى ١٠٠ كتيبة من مختلف الأنواع، مظلات أو صاعقة أو منقولة جوًّا.

وهكذا ثبت لدينا حجم القوات المسلحة المطلوبة لتحرير الأرض، وبدأت الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة والهيئات والإدارات والجيوش الميدانية والوحدات الخاصة والأجهزة الإدارية والفنية والإصلاح والعلاجية تنفيذ هذا التخطيط

للعمليات بكل جدية، إلى أن استعادت القوات المسلحة كيانها وفاعليتها، وبقي أمامها رفع القدرة القتالية للدخول في المعارك الحديثة مع العدو الإسرائيلي.

ثالثًا: تدرج الاشتباك القتالي ومراحله

وتناول تخطيط اللجنة أيضًا تدرج الاشتباك القتالي مع العدو الإسرائيلي، بدءًا بالأسلحة الصغيرة، ثم الهاونات، ثم مدفعية الميدان بأنواعها المختلفة، ثم دخول الطيران المصري لميدان المعركة بعد أن اكتمل عدده، وأصبح جاهزًا لمناهضة طيران العدو، ثم قيامه بطلعات الردع المتوالية، الأمر الذي أثبت قدراته القتالية وتحديه للعدو الإسرائيلي. وكانت أسلحة الدفاع الجوي منذ بداية الاشتباكات واشتراك طيران العدو في المعركة هي المصد القوي، وقد تحمل خسائر مادية وبشرية في بداية الاشتباكات، ولكنه كان الخصم الأكبر في عمليات الردع والتحدي. كما كانت القوات البحرية، وكان تواجدها في البحر الأحمر نتيجة الخطأ الاستراتيجي في توزيعها قبل معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ سببًا مباشرًا في تخلفها الميداني وصعوبة صيانتها، بل وحمايتها لعدم توفر التغطية الجوية في محور البحر الأحمر إلى أن صعدت وركزت مقاومتها وفاعليتها الميدانية في المرحلة الأخيرة من العمليات الحربية ضد إسرائيل، فكانت أحسن سلاح ردع مصري أزعج القيادة العسكرية الإسرائيلية مثل تأثير شبكة الدفاع الجوي القوية التي كانت الركيزة في العمليات الهجومية بعد ذلك.

كما تم التصديق على تخطيط العمليات الحربية - الخطة ٢٠٠ الدفاعية - والتصديق على تخطيط المراحل الزمنية للاشتباك مع العدو الإسرائيلي خلال السنوات الثلاث لتكون مراحل العمليات الحربية في حرب الاستنزاف كالتالي:

- المرحلة الأولى: مرحلة الصمود على الجبهة المصرية والجبهات الأخرى.

- المرحلة الثانية: مرحلة المواجهة، وشملت مراحل الدفاع السلبي، الإيجابي، والنشط.

- المرحلة الثالثة: مرحلة التحدي والردع.

- المرحلة الرابعة: مرحلة الاستعداد القتالي للعمليات الهجومية لتحرير سيناء بالقوة تطبيقًا لمشروع العملية جرانيت الهجومية.

رابعًا: تأمين مواطني منطقة القناة

كان سكان منطقة القناة وخاصة في المدن الرئيسية - بورسعيد، الإسماعيلية، السويس - هدفًا جيدًا لنيران العدو الإسرائيلي الذي يبعد عنها بحوالي ١٨٠-٢٠٠ متر فقط، وقد أصبحوا من وجهة نظر العدو رهينة في يده يمكن استغلالها كردع لقواتنا المسلحة إذا ما تجرأت وقامت بأعمال قتالية ضد قواته على الجانب الشرقي للقناة.

صدرت توجيهات الرئيس عبد الناصر يوم ٣/ ٩/ ١٩٦٧ بضرورة إخلاء منطقة القناة من السكان ومن المصانع ومن المنشآت المهمة إلى مناطق في الدلتا بعيدة عن

نيران وتدخل العدو الإسرائيلي.

وعلى ذلك تحددت مناطق سكانية وإيواء في المحافظات القريبة - مثل الدقهلية، والشرقية، والغربية، وبني سويف - لتكون مراكز إيواء مؤقت لعدد مليون ونصف المليون من أهالي منطقة القناة، كما تقرر نقل المصانع ومعامل تكرير البترول وتخزين الوقود من الزيتية إلى منطقة مسطرد شمال القاهرة وطنطا.

وساعدت القوات المسلحة بإمكانياتها السلطة المحلية في المحافظات - خاصة في توفير وسائل النقل - لتحقيق هذه المهمة، وتقبل أهالي المنطقة هذا القرار وبذل المحافظون في المناطق الجديدة كل جهد لراحتهم.

وعندما علم العدو الإسرائيلي بهذه الخطوة التأمينية اعتبرها علامة سوء نية بأن القيادة المصرية سوف تقاتل لزمن طويل إلى أن تستعيد قواها لتحرير سيناء بقوة السلاح، وقد تعايش أهالي منطقة القناة مع زملائهم وعشيرتهم في المناطق الجديدة إلى أن تمت إعادتهم إلى مساكنهم بعد انتهاء العمليات العسكرية في عام ١٩٧٥ وإعادة فتح قناة السويس.

وهكذا أنقذت مصر عددًا هائلًا من المواطنين كانوا لقمة سائغة في يد العدو الإسرائيلي لو لم يتم إخلاؤهم من منطقة القناة.

إعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات للمعركة

يعتبر إعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات للحرب، البنية الأساسية التي تعتمد عليها المعركة الناجحة. فالمعركة الحديثة لا تقتصر على القوات المسلحة فقط، وإنما تشمل تلقائيًّا الشعب ومقوماته ومصالحه ومعنوياته، والدولة ومرافقها ومؤسساتها، وعادة ما تمتد المعركة زمانًا وتتسع مكانًا لتصبح حربًا شاملة بين الدولتين، ويكون مسرح عملياتها هو أراضي وبحار وسماء وشعب الدولتين المتصارعتين.

ولما كانت هذه الموضوعات جديدة في تجربة الدولة والشعب المصريين، فقد تقدمتُ في أواخر ١٩٦٧ بناء على مشورة المستشارين السوفييت بخطط ومشروعات دفاعية وأعمال وقائية كثيرة إلى مجلس الوزراء لدراستها واعتماد الميزانيات اللازمة وتوزيع مسؤوليات إنجازها على المسؤولين في الدولة، كما وضعت برنامجًا زمنيًّا للتنفيذ، وكونت لجنة متابعة من ضباط القوات المسلحة المتخصصين رأسها لواء عبد الفتاح عبد الله مساعد وزير الحربية، ووافق مجلس الوزراء على تحويل ميزانية الدولة إلى ميزانية حرب، وتحويل تخطيط اقتصاد الدولة ليكون اقتصاد حرب أيضًا.

ووقع عبء التنفيذ الفني على عاتق المهندسين العسكريين لوجود الوعي والعلم والمعرفة والتخصص الفني لدى العديد من وحدات وعناصر المهندسين بقيادة اللواء جمال محمد علي، وعاون إدارة المهندسين قيادة ووحدات منظمات الدفاع الشعبي المحلية، والتي أخذت واجب الدفاع عن كل منشأة يتم تحصينها، ويكون

موقعها خارج نطاق مسؤوليات الوحدات العسكرية في المناطق والمحافظات المختلفة.

ومن خلال جلسات المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي في يوليو ١٩٦٨ طالبت الحاضرين بوصفهم مندوبي الشعب بضرورة الإسهام والمشاركة في إعداد الدولة والشعب لمعركة التحرير. كما طلبت من الرئيس عبد الناصر ضرورة تعيين مسؤول كبير بدرجة وكيل وزارة في كل قطاع إداري أو زراعي أو صناعي أو مواصلات أو إنتاج أو خدمات على مستوى الحكومة أو القطاع العام أو الخاص يطلق عليه «مسؤول الدفاع والأمن عن القطاع»، ووضعت لهذا الجهاز مسؤولياته واختصاصاته وسلطاته. وبهذه الطريقة وصلت فكرة وأهمية الموضوعات إلى القاعدة العريضة في الشعب. كما خصص مجلس الوزراء جلسة شهرية يحضرها اللواء رئيس لجنة متابعة إعداد الدولة والشعب للمعركة لمتابعة تنفيذ الجدول الزمني لموضوعات إعداد الدولة والشعب والذي كان يشمل:

أولًا: في قطاع النقل والمواصلات

١ - مشروع إنشاء خط المواصلات التلفونية المحوري بين القاهرة وأسوان بدلًا من الخط الهوائي الذي كان مستخدمًا وامتد منه فرع إلى منطقة البحر الأحمر والمدن الرئيسية به.

٢ - إنشاء طرق جديدة تربط بين وادي النيل ومنطقة البحر الأحمر، فكان رصف الطرق الآتية:

أ) طريق الصف-الزعفرانة.

ب) طريق المنيا-رأس غارب.

ج) إعادة رصف طريق الأقصر-الغردقة مع إنشاء فرع إلى وادي قنا وامتداد الطريق نفسه إلى سفاجا ثم القصير.

٣ - إنشاءات لخدمة الجبهة:

أ) إنشاء الطرق الكثيرة خلف وفي عمق مواجهة قناة السويس سواء الموازية أو العمودية عليها لتسهيل إمداد الجيوش الميدانية بطريقة مرنة وسهلة.

ب) إنشاء طريق بورسعيد-دمياط.

ج) حماية وتأمين الكباري والجسور والقناطر ضد أعمال التخريب أو الألغام العائمة.

٤ - إنشاء موانئ جديدة لمصر في كل من مرسى مطروح وأبي قير على البحر الأبيض المتوسط، ورأس بناس على البحر الأحمر، وإعداد ميناء سفاجا للتجارة بديلًا لميناء السويس.

وقد قامت هيئة قناة السويس بمشروعات الموانئ لما لها من إمكانات ضخمة كانت معطلة عن العمل لغلق القناة.

ثانيًا: في قطاع التموين والطاقة

قامت هيئة إمدادات وتموين القوات المسلحة بتنفيذ خطة التموين وإمدادات الطاقة للشعب. فكان تدبير السلع الغذائية والتموينية والطاقة وتوزيعها على كافة المحافظات وإنشاء مخازن لها، وكان تطبيق درس الانتشار والوقاية المحلية والأمن هو السائد خلال تنفيذ هذه المشروعات. فتم توزيع الوقود في الدولة على مخازن ومستودعات كبيرة على مستوى كل محافظة، علاوة على ملء الصهاريج والمستودعات المتنقلة على قضبان السكك الحديدية بحيث تكون بعيدة عن محطات السكك الحديدية. وقد تم تأمين محطات السد العالي وقوائم أسلاك الجهد العالي بمعرفة المهندسين العسكريين.

ثالثًا: إعداد مسرح العمليات للمعركة

شمل إعداد مسرح العمليات للحرب مطالب القوات المسلحة من الإنشاءات الوقائية والدفاعية الخاصة بالقوات ووقع عبء إنشائها على إدارة المهندسين العسكريين بالتعاون مع أجهزة الدولة المختصة وشركات القطاع العام، وكان مبدأ السرية في العمل وفي التصميمات الإنشائية والهندسية لهذه المشروعات أمرًا حيويًّا.

١ - إنشاءات القوات الجوية

صممت إدارة المهندسين العسكريين ملجأ للطائرة المقاتلة-القاذفة - الطائرة السائدة - أطلق عليها «الدشمة المصرية»، وهو أول تصميم إنشائي هندسي في العالم من الأسمنت المسلح، سمكه وقدرة تحمله تقاوم قنبلة زنة ٥٠٠ رطل إصابة مباشرة، كما أن الدشمة غير قابلة للاختراق بصاروخ ٨ مم مباشر، بالإضافة إلى تجهيزات داخلية لتخزين الصواريخ والذخيرة والقنابل والأفراد للصيانة والتفتيش. أما باب الدشمة فقد تم تجهيزه بباب حديدي منزلق على قضيب حديدي للوقاية ضد شظايا القنابل، ووضعت أمام فتحة الباب قوائم سميكة لمنع وصول الصواريخ إلى الباب الحديدي، وبالتالي للطائرة داخل الدشمة. وقد تم إنشاء ١٥ دشمة في كل مطار، ٣٠ دشمة في كل قاعدة جوية. وكان عدد القواعد والمطارات المتوفرة أو تحت الإنشاء ٣٠ مطارًا وقاعدة، فأصبح المطلوب إنشاؤه من دشم الطائرات هو أكثر من ٥٠٠ دشمة.

وأضيفت الإنشاءات التالية في كل مطار أو قاعدة: ملجأ من الأسمنت المسلح لعدد ٢ ماكينة ديزل، وعدد ٢ جهاز رادار توجيه، وعدد ١ مركز عمليات جديد من ثلاث غرف كبيرة، وعدد ٢ ملجأ للضباط الطيارين، وعدد ١ مخزن للذخيرة، وعدد ١ مخزن للصواريخ، وعدد ١ مخزن للقنابل، وعدد ١ مستودع لوقود الطائرات، وكلها تحت سطح الأرض ومخفاة عن النظر أو التصوير الجوي. كما أقيم سور من السلك الشائك وأعمدة مراقبة للحراسة حول كل مطار أو قاعدة. أما وقاية القاذفات الثقيلة والخفيفة فقد اكتُفي بعمل دراوي أسمنت مسلح أو شكاير رمل بدون غطاء، واتخذت وسائل الإخفاء والتمويه سواء كانت في منطقة صحراوية أو منطقة زراعية.

ونصت الخطة على إنشاء ممرين جديدين على الأقل في كل مطار، وألا يقل طول الممر عن ٣.٥ كيلومتر وعرضه عن ١٥ مترًا. بالإضافة إلى نظام الإنارة ومياه وتصريف المياه ومواصلات داخلية وشبكة إنذار داخلي - وكان اللواء الجوي يخصص له ٣ مطارات.

٢ - إنشاءات قوات الدفاع الجوي

استحوذ إعداد مسرح عمليات الدفاع الجوي والإنشاءات المطلوبة في الخطة على جهد أكبر من جهد الإعداد للقوات الجوية. ولم تكن الصعوبة في حجم الإنشاءات فقط، ولكن كان العامل الزمني في إنشائها هو المؤثر وبسببه ارتفعت طاقة العمل والتنفيذ لجميع الأجهزة والأفراد بدرجة لم تحدث في تاريخنا المعاصر.

كان علينا أن نجهز مواقع الصواريخ وأجهزتها الدفاعية والإنشاءات الوقائية اللازمة خلال شهر واحد بداية من يوم اعتماد مجلس الوزراء لميزانية الطوارئ يوم ٢٥/١/١٩٧٠ إلى حين وصول الصواريخ ومعداتها إلى الإسكندرية يوم ٢٥/٢/١٩٧٠.

كان من الضروري خلال هذا الشهر حشد كل أجهزة وشركات البناء والتشييد ووضع كل الخامات للبناء تحت تصرف وزير الحربية. وتخصص ٣ دورات عمل للعمال والمهندسين في اليوم الواحد مع إضاءة موقع العمل ليلًا، وتم استيراد كمية هائلة من شكاير الرمل من الهند وباكستان والصومال في وقت واحد، مع قبول مبدأ التضحيات القليلة في العمال نتيجة للغارات الإسرائيلية.

وكان تصميم دشمة كتيبة صواريخ وأجهزة التوجيه والإدارة يلزمه عدد ثلاثة ملاجئ أسمنت مسلح لماكينات ديزل، خمسة ملاجئ لإيواء الأفراد والإعاشة، وثلاث دراوي لقواذف الصواريخ. وكان عدد الكتائب في ذلك الوقت ٣٠ كتيبة، فتكون جملة الملاجئ الأسمنتية ٣٠٠ ملجأ، ١٥٠ دروة للمواقع الأصلية، ومثل هذا العدد للمواقع التبادلية وأخرى للمواقع الاحتياطية والأخيرة جهزت لتكون هيكلية في نفس الوقت. بالإضافة إلى إنشاء مركز عمليات لكل لواء صواريخ ومركز عمليات كبير يضم التجميع الرئيسي لشبكة الدفاع الجوي كلها. وكان دعم وصيانة وتأمين كل هذه المنشآت يقع على المهندسين العسكريين ووحداتهم والتي دخلت في صلب تنظيم قيادة الدفاع الجوي وتشكيلاتها.

واحتفظت كل كتيبة صواريخ باحتياطي كبير من الهوائيات، كما وضع مدفع ٢٣ مم رباعي موجه بالرادار ووحدة صواريخ سام ٧ لحماية كل كتيبة ضد طيران العدو الواطي، كما أضيف عدد ٢ مدفع مضاد للدبابات ٨٥ مم للدفاع الأرضي لكل كتيبة صواريخ.

٣ - إنشاءات لإعداد جبهة القناة

شملت أعمالًا إنشائية وقائية لضمان وصول المياه العذبة إلى جبهة القتال وبالذات منطقة بورسعيد وبورفؤاد، بسبب تعرض مصدر المياه لهما - ترعة بورسعيد - للقطع إذ إنها موازية لخط النار. وعلى ذلك تم إنشاء خط مواسير مياه بين دمياط

وبورسعيد بطول ٧٠ كم بالإضافة إلى خزانات المياه الاحتياطية تحت سطح الأرض كما خصصت عدد ٢ ناقلة مياه بحرية مملوءة بصفة دائمة تمركزت في دمياط تحت طلب محافظ بورسعيد.

أما بالنسبة لمنطقة الجيش الثالث الميداني فقد تم تحويل خطي مواسير البترول إلى دفع مياه عذبة بعد تنظيفها من القاهرة إلى منطقة السويس بطول ١٢٠ كم مع تشغيل خط سكة حديد القاهرة-عتاقة بواسطة هيئة الإمدادات والتموين لصالح قوات الجيش الثالث الميداني، وكانت خطوط السكك الحديدية إلى مدن القناة قد توقفت خلال حرب الاستنزاف. كما تم تحصين ووقاية ١١ مصرفًا للمياه شمال الدلتا ضد أعمال العدو الأرضية والجوية.

وقامت إدارة المهندسين العسكريين بالتعاون مع هيئة الإمدادات والتموين بإنشاء مخازن للذخيرة والوقود والمياه على مستوى الجيوش الميدانية، وإعداد مناطق الشؤون الإدارية والمستودعات وورش الإصلاح في نهاية رؤوس الإمدادات لكل جيش ميداني، وساعد المهندسون العسكريون قوات الجبهة في رفع السواتر الترابية على الجبهة وإنشاء المخاضات الكثيرة على ترعة الإسماعيلية وفروعها المائية، مع إنشاء جسور كبيرة عليها لتسهيل عمليات الهجوم المضاد بالدبابات والعربات المدرعة من عمق الجبهة إلى النسق الأول على امتداد قناة السويس.

وقد تأثر المزارعون في المناطق الزراعية، خاصة في منطقة الجيش الثاني الميداني، نتيجة لإقامة هذه المنشآت والطرق والمدقات العسكرية، الأمر الذي استدعى دفع تعويضات مالية لهم خلال حرب الاستنزاف فورًا.

٤ - إنشاءات للسيطرة وتبادل المعلومات

تم رفع مستوى وطاقة الخطوط التلفونية في منطقة قناة السويس باستخدام الكابل المحوري من القاهرة إلى أبي صوير حيث تمركزت قيادة القوات الجوية ومركز عمليات الدفاع الجوي الأمامي وامتدت منه فروع إلى القيادات الميدانية، إضافة إلى إمداد أجهزة البرق الكاتب إلى جميع القيادات في القاهرة وقوات الجبهة حتى مستوى قيادة الفرق. وبهذا تعززت وسائل الاتصال الداخلي من مركز القيادة العامة للقوات المسلحة إلى جبهة قناة السويس لضمان السيطرة وتبادل المعلومات. وكان مركز قيادة القوات المسلحة المتقدم في وادي القمر لا يزال تحت الإنشاء.

٥ - الإنشاءات الهندسية الخاصة بالعبور

تولت مسؤولياتها وإعدادها إدارة المهندسين العسكريين ووحداتها التي زاد حجمها بمقدار سبعة أضعاف عما كانت عليه عام ١٩٦٧، خاصة فيما يتعلق بتكوين وإنشاء وتنظيم وإعداد لواءات العبور - ٨٠ وحدة جديدة - شملت كتائب العبور لتعدد نوعيات ومطالب وسائل العبور المختلفة، مثل الكباري الثقيلة، والكباري المحمولة على عربات، المعديات للأسلحة وللأفراد، مشايات العبور.

وتمت عملية الإعداد والتدريب وتطوير معدات العبور في المنطقة المركزية على شاطئ النيل في حلوان أو الأميرية أو برقاش وفي منطقة بنها والتل الكبير.

وكانت عملية نقل مثل هذه المعدات والكباري والمعديات المستوردة من الاتحاد السوفيتي أو المصنعة محليًّا في ورش المهندسين إلى مناطق تجميع خلف الجبهة بالتدريج ليلًا، تمثل مشكلة كبيرة، ولكن تم التغلب عليها بفضل سيطرة وتدريب وحدات المهندسين وما بذلوه من جهد، وقد وصل إنجاز وحدات المهندسين العسكريين في إتمام العمليات إلى أرقام زمنية قياسية، وكان افتراض الخطأ أو التهاون في التركيب محظورًا.

كانت مشكلة عبور قناة السويس من الناحية الفنية قد تحملت مسؤولياتها إدارة المهندسين العسكريين كما تحملت مسؤولية توفير المنازل والمطالع الجوية الرأسية على شاطئ القناة وإيجاد الطريقة السريعة المؤثرة لفتح الثغرات في الساتر الترابي الجيري أو الرملي في جميع نقط العبور التي تحدد عددها في خطة تحرير سيناء. وقامت إدارة المهندسين العسكريين بتجارب عملية كثيرة لفتح الثغرات، منها استخدام البنجالور بكثافة كبيرة، ومنها استخدام دفعات المدفعية الثقيلة، وتمكنت إدارة المهندسين من إيجاد مضخات دفع مياه بالخراطيم تشبه تلك التي استخدمت في تجريف الرمال عند إنشاء السد العالي، وكانت آراء ونصيحة المهندس صدقي سليمان في هذا الشأن قيمة للغاية. ولما كان عرض قناة السويس ٢٠٠ متر أصبح لزامًا أن تستخدم مضخات ذات محركات أقوى وأن توضع على قوارب في منتصف القناة أو بالقرب من الشاطئ الشرقي لتعطي قوة دفع مياه مؤثرة على رمال الساتر، وقد تم شراء المحركات المطلوبة من الخارج، وجرت عدة تجارب عملية حضرتها بنفسي، وأمرت بزيادة التجارب في مناطق مختلفة، وبذا توافرت لدينا وسيلة فعالة لفتح الثغرات في الساتر الترابي.

وكانت مخابراتنا وعناصر استطلاع الجبهة قد اكتشفت تخطيط العدو لإشعال سطح مياه القناة في عدة نقاط بواسطة أنابيب تم مدها وإخفاؤها عبر الساتر تحمل مواد مشتعلة بهدف منع قواتنا من العبور شرقًا. فكلفت إدارة المهندسين وقادة الجيوش ووحدات الصاعقة والضفادع البشرية لوضع خطة للتعامل مع هذه الأنابيب وإبطال مفعولها واعتبارها جزءًا من ترتيبات العبور.

٦ - إنشاءات وإعداد على مستوى القيادة العامة

اقتصرت إنشاءات القيادة العامة والأفرع الرئيسية لها على إنشاء مراكز القيادة والسيطرة الأصلية والتبادلية لها. فتم إنشاء المركز ١٠ بالقرب من القاهرة تحت سطح الأرض في أواخر عام ١٩٦٩، وهو يتسع لعدد ١٥٠ قائدًا وضابطًا وتم تركيب المواصلات الداخلية تلفونية ولاسلكية ومتعددة القنوات وبرق كاتب إلى المركز التبادلي للقيادة العامة الذي أعد إعدادًا ميدانيًّا فقط في وادي القمر.

كما أنشئ مركز قيادة أصلي للقوات الجوية يسع أكثر من ٦٠ قائدًا وضابطًا تحت سطح الأرض، وكان المركز التبادلي له في المقطم.

أما قيادة الدفاع الجوي فقد تم توسيع وتطوير مركز المقطم ليكون مركز قيادة أصليًّا مع جعل قيادة الفرقة الخامسة دفاع جوي في المنطقة المركزية مركزًا تبادليًّا لها.

كما تحدد للقوات البحرية مركز قيادة أصلي في الإسكندرية، ولكن حتى عام ١٩٧١ لم نكن قد انتهينا من إنشائه، وكان المركز التبادلي له في منطقة محطة الرمل.

كما تم إنشاء مركز قيادة أصلي للرئيس جمال عبد الناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة بجوار منزله في منشية البكري، وكان المركز التبادلي له هو الدور الأرضي لقصر الطاهرة حيث جهز من ناحية الوقاية والأمن بطريقة ميدانية، ووضعت له كل وسائل الاتصالات.

وفي بداية عام ١٩٧٠ كانت خطط إعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات قد تم تنفيذها، وكان موقف الشعب وأجهزة الحكم ومسرح العمليات في الجبهة قد استكمل بفضل الإحساس والشعور بالمسؤولية لدى أفراد الشعب أولًا، وكان لمبادئ وأساليب ومساعدات التوجيه المعنوي الحديث في القوات المسلحة وانعكاسها على كل بيت في قرى مصر أثرها في إنجاز مشروعات إعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات للمعركة.

٧ - خطة انتشار مراكز التجمع البشري

في منتصف عام ١٩٦٩ بدأت ملامح التطور في الصراع مع إسرائيل تأخذ اتجاهات متغيرة لصالحنا، فقد مضت على القوات الإسرائيلية في خنادقها في حالة دفاع سلبي شرق القناة مدة سنتين، وأصاب الملل غالبية الجنود بالرغم من استمرار غيارهم كل ثلاثة شهور، وفي أوائل عام ١٩٧٠ اختصرت فترة الاستبدال إلى شهر بالإضافة إلى الخسائر الضخمة التي كانت تلاحقهم يوميًّا. في الوقت الذي كان ضغط الجيوش الميدانية على العدو يؤثر عليه ليلًا ونهارًا.

وبدأت قواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوي وجماعات الاستطلاع خلف خطوط العدو تنمو وتزداد قدراتها.

وحدث تغيير سياسي لصالحنا بعد نجاح ثورة السودان في ٢٥/٥/١٩٦٩ وثورة ليبيا في ١/٩/١٩٦٩ والثورتان عززتا الموقف العربي حيث تضامنت قيادة الثورتين مع الثورة المصرية وسياستها ضد إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وأضافت السودان وليبيا عمقًا استراتيجيًّا جديدًا لمصر بالإضافة إلى تعاطف الشعوب العربية كلها مع الصمود المصري وشجاعة الجنود والضباط في الجبهة.

كان هذا الموقف يشجع على تنفيذ خطة الانتشار التي كنا نأملها بعد تدخل الطيران الإسرائيلي في العمق. فعلاوة على محافظات الصعيد التي استوعبت مراكز التدريب والأساسات والمدارس التعليمية والمهنية ومراكز تدريب السائقين وأخيرًا الورش بالقاعدة وبعض المستشفيات ومراكز الإخلاء، فقد تم نقل الكلية الحربية من القاهرة إلى منطقة الخزان قرب الخرطوم، وتم نقل كلية ضباط الاحتياط إلى منطقة إسنا والكلية البحرية إلى طبرق في ليبيا وإحدى مدارس الطيران التخصصي إلى مطار العظم، الذي أطلق عليه اسم جمال عبد الناصر، علاوة على انتشار وتوزيع القطع البحرية غير المطلوبة في القتال في بعض موانئ ليبيا في بنغازي وسرت ومراسي في البحر الأحمر وفي سفاجا والقصير ورأس بناس علاوة على

بورسودان أما مناطق الشؤون الإدارية والمخازن والذخيرة والوقود فقد انتشرت في محافظات الوجه البحري والصعيد.

رابعًا: إعداد قوات الجيش الشعبي

جاء في خطة إعداد الدولة للحرب الاهتمام بإعداد الجيش الشعبي من القوات الاحتياطية المعبأة لأغراض المعركة بهدف الدفاع المحلي وحماية عدد ٤٠٠٠ هدف حيوي موزعة داخل محافظات الجمهورية، وبعيدة عن نطاقات الدفاعات المحلية الثابتة.

ولما كان وعاء التعبئة من أفراد الاحتياطي قد حجز لإنشاء وحدات جديدة سبق إدراجها في خطة إعادة بناء القوات المسلحة فقد أصدرتُ تعليماتي لتجميع قوات الجيش الشعبي ليكون من أفراد الشعب - عمالًا وفلاحين ومهنيين من نفس منطقة الهدف المطلوب الدفاع عنه. وبدأت قيادة قوات الدفاع الشعبي التي تولى قيادتها اللواء أحمد فتحي عبد الغني في تحضيرات تنظيمية للدفاع المحلي عن ٤٠٠٠ هدف داخل محافظات الجمهورية كالآتي:

- تعيين قيادة في كل محافظة من الضباط الاحتياطيين.

- تخصيص مجموعات دفاع عن الأهداف الحيوية لكل محافظة.

كل مجموعة مكونة من ضابط صف احتياطي رتبة عريف أو رقيب ومعه ثلاثون فردًا يتم استدعاؤهم من الفلاحين والعمال والمهنيين الموجودين بجوار الهدف. وتم توزيع الأسلحة الصغيرة والذخيرة عليهم - على أن تتم الخدمة المحلية عن الهدف مساء فقط وطول الليل، ويعودون إلى أعمالهم في الصباح. وهكذا تم الدفاع عن الهدف بمعرفة أهله من الشعب، وكانت مهمة ضابط الصف الاحتياطي هي تدريب الأفراد المسلحين بالأسلحة الصغيرة على التعمير والتفريغ والضرب فقط، ولم يكن مطلوبًا منهم كفاءة أكثر من ذلك سوى الإنذار عن اقتراب هدف معادٍ.

وكان نجاح هذا العمل البدائي واضحًا عندما حاول العدو تدمير محطة ضخ وقود عند الكيلو ٣٥ طريق السويس الصحراوي بأن نزلت هليوكوبتر معادية، وبها طاقم مسلح بمدفع مضاد للدبابات، وعند اقتراب الطاقم من الهدف الحيوي - محطة الضخ - قامت الجماعة المحلية للدفاع بتعمير وضرب البنادق الموجودة في أيديهم دون تنشين، فكان لهذا تأثيره الفعال لإزعاج الطاقم المعتدي، واعتقد أن الهدف الحيوي المستهدف تدميره مدافع عنه دفاعًا قويًّا فولى هاربًا من حيث أتى.

وهكذا نجحت قوات الدفاع الشعبي في حماية والدفاع عن ٤٠٠٠ هدف حيوي في مصر ضد هجمات العدو المحتملة جوًّا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الرابع

رفع القدرة والكفاءة القتالية

القتال هو المهنة الدائمة لجميع أفراد القوات المسلحة، وتحقيق الكفاءة القتالية بالمستوى المطلوب يشمل كلًّا من الفرد والمُعدَّة وتتدرج الكفاءة على مختلف المستويات بدءًا من الجندي، وحتى مستوى الجيش، وحتى تصل إلى المستوى المنشود، فقد تم التركيز على ثلاثة محاور أساسية تتعلق بالاختيار والتدريب والإعداد المعنوي والنفسي.

الاختيار والتجنيد

من أبرز الدروس التي تم استخلاصها من معركة يونيو ١٩٦٧ افتقاد الجنود للتأهيل العلمي اللازم لتمكينهم من التعامل مع الأسلحة الجديدة المعقدة. ولقد اتجهتُ على الفور لتعديل نظام التجنيد في القوات المسلحة بما يسمح بتنظيم التشكيلات القتالية في كل أفرع القوات المسلحة بأكبر عدد من خريجي الجامعات المؤهلين بدلًا من الجنود الأميين، وقد استدعى ذلك التجاوز عن العديد من الاشتراطات الصحية، ومن ثم فقد وجهت بقبول كل الخريجين وفقًا لمبدأ «من لا يضر نفسه أو يضر الآخرين صحيًّا» ونتيجة لذلك بلغت نسبة المقبولين منهم حوالي ٩٧٪، بينما لم تكن تتعدى ٣٪ فقط قبل ذلك، وأصبحوا يشكلون ما بين ٦٥ و٧٠٪ من إجمالي حجم القوات المسلحة.

كما وجهت بقصر إلحاق هؤلاء المتعلمين على التشكيلات الميدانية فقط ولا يسمح لأي منهم بممارسة وظائف إدارية أو كتابية، وقد ساهم ذلك في رفع الكفاءة القتالية للقوات، وأبدى العديد من هؤلاء المؤهلين قدرة متميزة على الابتكار والمبادرة في التعامل مع الأجهزة الفنية المعقدة أو مع التشكيلات الصعبة التي تظهر أثناء التدريبات أو الاشتباكات.

التدريب

أولًا: مبادئ التدريب

تأتي مرحلة التدريب العملي الشاق والمستمر بعد الانتقاء السليم للجندي. ولما كان الزمن المحدد لإعداد القوات المسلحة لمعركة التحرير محدودًا، كما أن العدو الإسرائيلي لن يقف صامتًا خلال فترة الإعداد هذه، بل يرجح تدخله لعرقلة أي مجهود يبذل في إعداد الفرد أو التشكيل أو مسرح العمليات، فقد كان من الضروري استحداث أساليب غير تقليدية لتدريب الوحدات والتشكيلات الميدانية على واجبات العمليات المحتملة بكل الجدية والسرعة، وعلى ذلك وجهتُ القادة المشرفين على عمليات التدريب لمراعاة مجموعة الاعتبارات التالية:

١ - يحتل تنفيذ واجبات التدريب للوحدة أو التشكيل أولوية قصوى فوق باقي الواجبات ويعتبر القائد العام هو المسؤول الأول عن رفع الكفاءة القتالية عن طريق التدريب.

٢ - يتم الإشراف الشخصي على التدريب على مستويين دون مستوى المشرف على التدريب، بمعنى أن قائد الجيش يتحتم حضوره شخصيًّا تدريب الفرق وتدريب اللواءات.

وإن تدريب اللواءات والكتائب يتم تحت إشراف قائد الفرقة شخصيًّا، وإذا طُلب المشرف على التدريب في مهمة خارج هذا الواجب يكون له الحق في التصريح: «أنا مشغول في تدريب اللواء كذا، وبعد الانتهاء من هذا الواجب يمكن أن أقابل الوزير» مثلًا.

٣ - أن جميع مراحل التدريب - الفردي، الجماعي، ضرب النار - تتم في نطاق الجبهة حتى يتعود المقاتل منذ البداية على جو المعركة.

٤ - أن تعرض نتائج ضرب النار على مستوى اللواءات على وزير الحربية أو نائبه.

٥ - أن إعداد مسرح العمليات الأصلي والتبادلي والاحتياطي من مسؤولية قائد الوحدة أو التشكيل.

٦ - أن يؤخذ في الاعتبار دائمًا تفوق العدو في الطيران، وما يستتبع ذلك من إجراءات وقائية نهارًا وليلًا. يعتبر استخدام الأرض خير وسيلة وقائية ضد طيران العدو.

٧ - أن صفة التعاون المتبادل تدخل في صميم التدريبات المشتركة على الأسلحة المختلفة، كذا بين الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة.

٨ - أن التعاون المشترك بين الطيران وبين التشكيلات الميدانية في الجيوش وفي البحرية وفي الدفاع الجوي أمر حيوي جدًّا، وأن يقتصر في الوقت الحاضر إلى أن يستكمل إعداد الأسراب في الطيران حتى مستوى الفرقة المشاة والميكانيكية والمدرعة وأي تشكيل بحري مهما قلت وحداته كما يتم التأكد من وسائل الاتصال بينهما.

٩ - أن أهم واجبات المستشارين العسكريين السوفييت هو المساهمة المفيدة لإعطاء خبرتهم القتالية لقائد الوحدة، كذا التشكيل طوال مراحل التدريب، وأن تكون تقاريرهم على أداء هذا الواجب منفصلة عن تقارير قيادة هذه التشكيلات حتى يتم التوازن - بعد الاطلاع عليها - في تطوير وسائل التدريب.

١٠ - لا يقتصر التدريب المشترك مع الأسلحة المشتركة على رفع الكفاءة القتالية الدفاعية فقط، بل يجب أن يشمل هذا التدريب كل أنواع العمليات الهجومية والتعرضية والانسحاب أيضًا.

١١ - تأخذ الوحدات الخاصة شكلًا آخر في أنواع تدريبها التي تتصف بالجدية والعنف بعد حصولهم على كافة المعلومات عن العدو وعن الأرض التي يمارسون فيها عملياتهم القتالية. وأن وحدات الضفادع البشرية تحت سيطرة قيادة البحرية تدخل في مصاف هذا النوع من التدريب الشاق المتواصل العنيف.

١٢ - رفع كفاءة المقاتل رأسيًّا أفضل بكثير من الاتساع الأفقي للتشكيلات الميدانية دون كفاءة قتالية.

١٣ - تدون نتائج التدريب على استخدام الذخيرة الحية بحيث تكون واقعية بحضور القائد ومستشاره، وتسجل ويتم مقارنتها مع نتائج سابقة، ويرفع تقرير عنها.

١٤ - على جميع الوحدات في التشكيلات الميدانية - في القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي وفرق المشاة والمدرعات ولواءات المدفعية والدبابات، إلخ - أن تستهلك مرتبات الذخيرة والصواريخ والمفرقعات والقنابل والوقود المخصصة للتدريب والتي ارتفعت عما يزيد على عشرين ضعفًا. كما زادت معدلات ساعات الطيران لكل طيار إلى ثلاثة أضعاف وأيضًا ساعات الإبحار لكل قطعة بحرية، وذلك لرفع الكفاءة القتالية للفرد وللتشكيل.

وكان تطبيق هذه القواعد والإشراف على العملية التدريبية ككل بواسطة عناصر من هيئة التدريب تحت إشراف مساعدي الفريق صلاح محسن ومراقبين من هيئة التفتيش والقادة بمثابة العامل الأهم والمؤثر في تحقيق العديد من الإنجازات في مجال التدريب المشترك، وعلى المستويين الإداري والفني بما يمكن بلورته على النحو التالي:

ثانيًا: التدريب على واجبات العمليات

قامت هيئة العمليات بالتعاون مع هيئة التدريب وقادة الجيوش والمناطق العسكرية بوضع مشروعات تدريب للتشكيلات والوحدات الميدانية على مستوى الفرق المشاة والميكانيكية والمدرعة والوحدات الخاصة وبإشراك أفرع القوات المسلحة الرئيسية - بحرية، جوية، دفاع جوي - للتدريب على واجبات العمليات المقبلة لكل تشكيلات القوات المسلحة والتي تحددها هيئة العمليات لتكون مماثلة للواجب ومدى العمل والقدرة القتالية في خطة العمليات المنتظرة في عبور قناة السويس والاندفاع شرقًا إلى المضايق الاستراتيجية واحتلالها وتأمينها كمرحلة أولى من خطة التحرير.

احتاج هذا النوع من التدريب إلى مناطق شاسعة تماثل في معالمها منطقة قناة السويس والمنطقة شرقها إلى المضايق. فكان تخصيص منطقة برقاش غرب القاهرة والتي يخترقها الرياح البحيري لتشابه عرضه وقوة تيار المياه مع منطقة قناة السويس. كما أقيم ساتر ترابي شرق الرياح لتكون أقرب ما يكون للواقع، كذا تخصيص منطقة تدريب شرق فرع دمياط غرب مدينة بنها، ومنطقة أخرى في التل الكبير، ومثلها على فرع قناة السويس الداخلي في البلاح علاوة على مناطق صحراوية أخرى خلف مناطق الجيشين الثاني والثالث.

ولما كان عبور قناة السويس هو بداية معركة التحرير أصبح التدريب لجميع وحدات القوات المسلحة على العبور أمرًا ملزمًا - على أن يتكرر هذا النوع من التدريب لجميع الوحدات نهارًا وليلًا - الأمر الذي جعل الجنود يطلقون على هذا النوع من التدريب اسم «طابور العبور»، وجاء هذا التشبيه نتيجة للتكرار ضمانًا لإتقان الأداء حتى وصلت إلى مرحلة عبور الأفراد بمعداتهم ودباباتهم نهارًا وهم معصوبو الأعين تدليلًا على كفاءتهم في أداء واجب العبور.

وشمل هذا التدريب على واجبات العمليات التشكيلات الموجودة في الجبهة وتستبدل مكانها بتشكيلات أخرى طوال فترة التدريب. وتوالت المشروعات التعبوية على مستوى جميع الفرق بما فيها فرق المواجهة على الجبهة غرب القناة، وكان معدل المشروعات العملية بجنود على مستوى الفرقة قد وصل عددها إلى ٤٠٠ مشروع سنويًّا، بينما كانت المشروعات حتى مستوى الكتيبة في الدفاع فقط لا تتعدى ٨٠ مشروعًا في العام، سنوات ما قبل ١٩٦٧.

وكان الدليل على جدية التدريب في القوات الجوية مثلًا أننا خسرنا ٨٣ طائرة أثناء التدريب الشاق المتواصل خلال السنوات الثلاث بينما كانت خسائرنا في العمليات مع العدو في نفس الفترة لا تتعدى ٢٣ طائرة.

وكنت أحضر بنفسي مشروعات التدريب على واجبات العمليات المشتركة على مستوى الفرقة والتي كانت تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام متصلة بحيث يكون الأداء والمعايشة أقرب ما يكون إلى أداء المعركة.

وكان المستشارون السوفييت يشاركون قادة الوحدات القائمة بالتدريب في هذه المشروعات، يعملون بجانب هيئة التفتيش كحكام يراقبون سير العمل.

وكان الرئيس عبد الناصر يحضر لمتابعة سير المشروعات، ويستمع إلى تعليقات القادة والمستشارين للاطمئنان بنفسه على مقدرة التشكيل القتالية.

ثالثًا: القوات الجوية

كان التركيز على أساليب التدريب المشترك بين لواءات وأسراب القوات الجوية مع فرق المشاة أو فرق المدرعات أو الاثنين معًا لإتقان أسلوب التعارف، وتقديم المعونة الأرضية لهذه التشكيلات أثناء المشروع، مع تأكد الحكام من مستوى المعاونة بالنيران والقنابل والصواريخ في منطقة مجاورة قريبة من أرض المشروع بحيث تكون على مرأى ومسمع من قوات الفرقة التي تعاونها. ومن جانب آخر، استهدفت الخطة التدريبية للقوات الجوية توفير معدل ١.٥ طيار لكل طائرة على أن يكونوا من ذوي الكفاءة العالية، وكان معنى ذلك ضرورة إعداد أكثر من ٨٠٠ طيار مقاتل خلال ثلاث سنوات فقط، بينما كان هذا المعدل لا يزيد على خمسين طيارًا فقط في السنة الواحدة قبل عام ١٩٦٧، يقابله عدد مماثل من الطيارين المستهلكين (تقاعد، حوادث، عجز، أو التحول إلى طيار نقل ومواصلات). ومن ثم كان لا بد من البحث في حلول جذرية لإمكان تدبير العدد المطلوب من الطيارين في الزمن المحدد.

وفي هذا المجال، فقد قمت بفتح باب القبول لجميع العسكريين في الخدمة المؤهلين طبيًّا وعلميًّا ولديهم الرغبة في الالتحاق بالقوات الجوية، كما فتحت أربعة معاهد ومركز تدريب للطيارين علاوة على كلية الطيران في بلبيس، حتى أصبح معدل تخريج الطيارين ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ طيار سنويًّا، وتم إرسال سرب مقاتل من الطيارين والموجهين والفنيين إلى الاتحاد السوفيتي لرفع الكفاءة القتالية والتخصصية كل ثلاثة شهور، وبهذه الطريقة أمكن تحقيق نسبة ٧٥٪ من العدد المستهدف من الطيارين في أوائل ١٩٧٠. وعملت القيادة السياسية - بناء على تقدير

موقف رفعته للرئيس جمال عبد الناصر - على استكمال العدد المطلوب من بين الطيارين السوفييت الذين وصلوا فعلًا في مارس ١٩٧٠ للمشاركة في الدفاع عن العمق المصري. وهكذا انتظم الجدول الزمني في إعداد الطيارين بوصفهم عنق الزجاجة كما قال الرئيس جمال عبد الناصر في ١١/٦/١٩٦٧.

رابعًا: الدفاع الجوي

كان تدريب طواقم صواريخ سام ٣ بالعدد المطلوب لتشغيل واستخدام العدد الكبير من كتائب الصواريخ سام ٣ وأخواتها والتي أضيفت إلى تسليح قوات الدفاع الجوي بما يساوي أربعة أضعاف ما كان مخططًا له في أواخر عام ١٩٦٧ بالرغم من إنشاء مركزين إضافيين للتدريب وتوفير مدربين لهم من الضباط الفنيين ومدربين من المستشارين السوفييت ومترجمين وإرسال أفراد لواء صواريخ كامل - قادة وضباطًا وجنود مؤهلات عليا، ومعهم ٣٠٠ جندي مؤهلات خريجي كلية الآداب، قسم اللغة الروسية ليكونوا مترجمين - إلى الاتحاد السوفيتي لحضور دورة تعليمية كل ثلاثة شهور. وهنا أدركت بعمق قيمة التحاق المؤهلات العليا كجنود في القوات المسلحة.

خامسًا: تدريب القوات البحرية

شمل التدريب التعبوي على واجبات العمليات البحرية - كي ينطبق على واقع المعاونة البحرية للجيوش الميدانية في الجبهة - مساندة الجانب الأيسر لقواتنا على الشاطئ الشمالي لسيناء أمام تدريب الوحدات البحرية في عرض البحر الأبيض المتوسط، وقد حرصت على زيادة عدد المشروعات التعبوية البحرية.

واتفقت مع الاتحاد السوفيتي على التدريب المشترك بين أسطولنا ووحدات البحرية السوفيتية الخامسة الموجودة في البحر الأبيض المتوسط، وخططنا معًا للقيام بتدريبات مشتركة وفنية وانضم إليهما لواء من القاذفات الخفيفة ال-٢٨ المصرية مع أسراب الاستطلاع البحرية السوفيتية.

وأجريت مشروعات تدريب إنزال بحري مشتركة سوفيتية - مصرية على سواحلنا الشمالية، اشتركت فيها بالإضافة إلى معظم القطع البحرية المصرية مجموعة الإنزال البحري السوفيتي التي كانت متمركزة في بورسعيد. كما تعاونت معها المدفعية الساحلية المصرية ولواء مشاة مدعم من قوة المنطقة الشمالية العسكرية.

وكانت قمة مشروعات التدريب على واجبات العمليات البحرية المشتركة هي المشروع الذي تم في ٢/٩/١٩٦٩، واستغرق أربعة أيام متصلة في عرض البحر الأبيض واشتراك ثلاث قوى بحرية - هي البحرية السورية والبحرية المصرية وبحرية المجموعة الخامسة السوفيتية - ولواء جوي قاذفات خفيفة ال-٢٨ وسرب استطلاع جوي سوفيتي. وقد حضرت بنفسي هذا المشروع واكتشفت وقتئذ وجود أجهزة رادارية على سطح سفينة القيادة السوفيتية تعمل على اكتشاف الأهداف الجوية المعادية على المستوى المنخفض جدًّا، ولم نعلم عن وجودها في الاتحاد السوفيتي قبل ذلك، فقمت عقب الانتهاء من المشروع بطلب أربعة أجهزة منها طراز ب١٥، واستجاب الاتحاد السوفيتي لطلبي، وتم توريدها إلى قواتنا. وبهذا

كانت هذه المشروعات عاملاً مهمًّا في رفع الكفاءة القتالية والفنية لقواتنا البحرية وقوات الدفاع الجوي.

وكانت المشروعات التدريبية لغواصاتنا جريئة حيث استطاعت من خلال أجهزة تجميع المعلومات التعبوية والاستراتيجية في قيادة القوات البحرية أن تحصل على كم هائل من هذه المعلومات.

نفذت الغواصات السبع على التوالي جدولًا زمنيًّا بالقيام برحلات تعبوية إلى موانئ إسرائيل الجنوبية في البحر الأبيض المتوسط، وكانت الرحلة تستغرق بين ١٤ و٢٠ يومًا في المياه الإسرائيلية دون أن تكتشف السلطات الإسرائيلية وجودها. وتقوم كل غواصة بجمع المعلومات عن التحركات في الميناء المعادي، وتتعرف على عدد الأجهزة الإنذارية والرادارية وترددتها، وتقيس درجة استعداد العدو وأسلوب الدفاع الأرضي والبحري والنشاط البحري لدوريات العدو، الأمر الذي يساعد كثيرًا أية قطعة بحرية من قواتنا في نجاح عملياتها البحرية عندما يتقرر ذلك.

هكذا تم رفع الكفاءة القتالية لقواتنا البحرية خلال ثلاث سنوات بالإضافة إلى تدريب وإعداد وحدات الضفادع البشرية لقواتنا البحرية إعدادًا رفيع المستوى، الأمر الذي يمكنني من الاعتماد على قواتنا البحرية في إنجاز الكثير من العمليات المؤثرة الشاملة على العدو الإسرائيلي عند قيام قواتنا المسلحة بتحرير الأرض بالقوة.

الإعداد المعنوي والسياسي

كانت صدمة هزيمة ١٩٦٧ وجدار الرعب الذي صنعته إسرائيل والفوارق الاجتماعية والنفسية بين الضباط والجنود من أهم السلبيات التي وجب عليَّ معالجتها في إطار خطة الإعداد المعنوي للقوات المسلحة.

فلقد مارست إسرائيل - بما تملكه من قدرات فنية عالية - حربًا نفسية شرسة بهدف بناء جدار من الرعب لدى المقاتل والمواطن المصري. كانت تركز على قدرتها لإحراز النصر على العرب دون أن تستهلك كل ما تملكه من إمكانيات، وكانت تعمل على غرس هذا المفهوم في أذهان الأسرى خلال حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧.

وقد أمكن امتصاص تأثيرات هذه الحرب بواسطة عدة وسائل، فقد أصدرت تعليماتي منذ أغسطس ١٩٦٧ بهدف إعادة الثقة والاطمئنان إلى نفوس القادة والضباط والجنود بأسلوب علمي وعملي استنادًا إلى معطيات واقعية يدعمها الحماس الوطني، وكان عبور الجماعات والأفراد إلى شرق قناة السويس ومهاجمة العدو المتخندق وقتله تأكيدًا لجدية المجهود العسكري الذي يبذل وتعميقًا للاقتناع بالقدرة الذاتية على تحقيق النصر، وقد ساعد على تنمية هذا الشعور وتحطيم جدار الرعب، الاشتباكات المستمرة بالمدفعية ونشاط القناصة والدوريات خلف خطوط العدو والتجهيزات الهندسية التي تكفل إعداد المواقع والتحصينات واستخدام أسلوب السد الناري ضد الطيران المنخفض.

كذلك كان لزيارات الرئيس جمال عبد الناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة للجبهة في مارس ١٩٦٨، ونوفمبر ١٩٦٨، وقضاء يومي عيد الأضحى في مارس ١٩٦٩

بالإضافة إلى زيارة ميدانية للجيشين الثاني والثالث في يونيو ١٩٧٠، ولقائه بالقادة والجنود والاستماع إلى مشاكلهم العامة والخاصة، أكبر الأثر في تنمية الوعي والحماس لدى المقاتلين، وتنمية عقيدة القتال التي تأكدت كرسالة حتمية بين كل القوات، حيث أكد لهم الرئيس عبد الناصر أنه «لا مفر من خوض الحرب وعبور القناة مهما كانت التضحيات»، وطلب تكوين لجنة للحرب النفسية مهمتها إعداد خطة للحرب النفسية المضادة ردًّا على الحملة الإسرائيلية لتدمير معنويات العدو، كما ركز على أهمية الضبط والربط، وطالب بتشكيل مجالس حرب في كل جيش تطبيقًا للقانون الجديد رقم ٤ لسنة ١٩٦٨ الخاص بالقيادة والسيطرة.

ومن جهة أخرى كان عليَّ أن أستبعد مفاهيم البيروقراطية العسكرية الجامدة في معالجة العديد من المواقف العصبية للأفراد، وأستبدلها بوسائل الإقناع وتنمية الوعي الوطني على المستويين العسكري والسياسي للقضية التي يحارب من أجلها المقاتل، وليس بأساليب الطاعة العمياء. ومع تقديري أن أساليب معاملة الضباط للجنود والفوارق في الوجبات الغذائية كانت تسبب مشكلات كبيرة في طرق العلاج المعنوي، فقد صدرت تعليمات التوجيه المعنوي لإرغام الضباط على الجلوس مع الجنود، وتبادل الآراء معهم، وحل مشاكلهم الإدارية والشخصية كلما أمكن بحيث تنمو روح الأخوة والأبوة بين الضباط والجنود.

كما ركزت هذه التوجيهات على خلق نموذج القائد القدوة الذي يتقدم جنوده ويحظى بثقتهم، ولا يسارع باللجوء للقانون وأساليب القيادة الفظة وفقًا لمفهوم «ليست هناك وحدات سيئة بل يوجد قادة سيئون»، مع تعميق روح الإيمان بالعمل في نفوس الجميع باعتباره أكبر الأسس الدافعة للصمود وتحقيق النصر، وبما يساعد في النهاية على بلورة وحدة فكرية بين جميع أفراد القوات المسلحة. وقد أصبحت جلسات «المصطبة» التي بدأها القائد العام داخل التشكيلات الميدانية في مستوى الفصيلة هي الوسيلة العملية لتقريب المسافات بين القادة والجنود.

إن العامل البشري يمثل أهم المقومات في تحقيق النصر، ويجب أن يحظى بالاهتمام الأكبر على كل المستويات، وعملًا على تحقيق الأهداف السابقة فقد ركزت في مجال الإعداد المعنوي على العناصر التالية:

١ - إصدار منشورات توعية معنوية وسياسية بصفة أسبوعية على مستوى القوات المسلحة باسم «نشرة الحقائق»، علاوة على نشرة أسبوعية خاصة تصدر عن إدارة التوجيه المعنوي.

٢ - تعيين مساعد للقائد في كل وحدة أو تشكيل يكون متخصصًا في الشؤون المعنوية. كما استُحدث نظام لقياس الحالة المعنوية للجنود وردود أفعالهم تجاه كل قرار يصدر من القائد. وتم تطعيم برامج التثقيف بمواد التربية الوطنية والقومية والدينية على أن يكون إعدادها من مسؤولية فرع الشؤون المعنوية.

٣ - زيادة معدلات الترقية والمكافآت والحوافز للأفراد بهدف رفع الروح المعنوية وتنمية روح المبادرة والقتال.

وقد أفرزت هذه الجهود نتائج طيبة اعترف بها العدو الإسرائيلي والتي أكدت نجاح الضباط والجنود في اجتياز اختبارات الممر المعنوي، واكتسابهم قدرًا عاليًا من الصلابة وقوة التحمل والإخلاص للواجب الوطني.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس

مراحل العمليات الحربية

ارتكزت استراتيجية الرئيس جمال عبد الناصر في تحقيق إزالة آثار العدوان على مبدأ أساسي أعلنه في مرحلة مبكرة بعد وقوع النكسة مباشرة، وهو «إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة»، على أن قيمة تنفيذ هذا المبدأ تتأكد في إطار الأمن الجماعي العربي الذي يوجب مشاركة الدول العربية في المواجهة من جانب، وعدم إقدام أي طرف على الحلول المنفردة من جانب آخر.

الشهور الأولى

أولًا: الصمود السياسي العربي

وقد كان من أهم العوامل الدافعة لنجاح هذه الاستراتيجية الصمود المصري والعربي على المستويين السياسي والعسكري في مواجهة الضغوط الأمريكية والإسرائيلية التي انطلقت في أعقاب المعركة مباشرة، تستهدف ضرب الروح المعنوية للشعب والقوات المسلحة، وبث روح اليأس وفقدان الثقة في الزعامة المصرية، وإحلال التفاوض المباشر والحلول المنفردة باعتبارها الطريق الوحيد للخروج من الأزمة.

وجاءت أول شواهد هذا الصمود ورفض الأمر الواقع الذي خلفته معركة يونيو في عديد من التحركات العربية، بدأت بزيارة وزير خارجية الجزائر عبد العزيز بوتفليقة للقاهرة في ٧/٦/١٩٦٧ حيث طلب إيفاد طيارين مصريين لقيادة عدد من طائرات الميج ١٧ الجزائرية لتعويض جانب من خسائر الطيران، وتم بالفعل تقديم ٤٠ طائرة من هذا الطراز في الأيام الأولى التي أعقبت المعركة.

وفي القاهرة عقد مجلس جامعة الدول العربية اجتماعًا على مستوى وزراء الخارجية في ١٨/٦/١٩٦٧ لوضع خطة التحرك في الأمم المتحدة، وكيفية توظيف سلاح البترول، كما قام الملك حسين بزيارة مصر في ٧/٧/١٩٦٧، حيث أكد له الرئيس جمال عبد الناصر أهمية الاستعداد العسكري لإزالة آثار العدوان، وعدم الرضوخ للمطالب الإسرائيلية، كما فوض الملك حسين في التحدث في الولايات المتحدة نيابة عن مصر بشرط عدم توقيع اتفاقية صلح منفردة مع إسرائيل.

وجاءت الخطوة التالية في مؤتمر الصمود الذي عقد في القاهرة في ١٣/٧/١٩٦٧، وضم رؤساء مصر وسوريا والجزائر والعراق والسودان، وقرر إيفاد رئيسي الجزائر والعراق إلى موسكو لبحث الاحتياجات العسكرية لدول المواجهة. ثم جاءت القمة العربية في الخرطوم تتويجًا لكل هذه التحركات، وتأكيدًا لرفض العرب جميعًا لنتائج معركة يونيو والإصرار على تعديلها.

ثانيًا: «معارك رفع المعنويات»

أما على الصعيد العسكري فقد بدأت الاشتباكات على الجبهة المصرية منذ ليلة ١١ يونيو ١٩٦٧، وبالرغم من أنها كانت بداية فردية، فإنه جرى تنظيمها بعد ذلك

بتعليمات سواء من القيادة العامة أو القيادة المحلية في الجبهة، وامتدت على طول المواجهة بحوالي ١٧٠ كم من بورفؤاد شمالًا حتى بورتوفيق في الجنوب، ثم إلى منطقة خليج السويس حتى ميناء الأدبية، ثم امتدت فيما بعد إلى غرب خليج السويس.

وطوال الشهور الأولى وخلال فترة الإعداد لبناء خط الدفاع الأول غرب القناة وقعت عدة معارك يمكن أن نطلق عليها «معارك رفع المعنويات»، فبالرغم من أن المبادرة كانت لا تزال في جانب العدو الإسرائيلي، فإن صمود قواتنا ونجاحها في إحباط الأهداف الإسرائيلية في مسرح العمليات كانت له تأثيرات إيجابية داخل نفوس كل أفراد القوات المسلحة وتمثلت هذه المعارك في الآتي:

١ - معركة رأس العش

حاول العدو في أول يوليو ١٩٦٧ الاستيلاء على مدينة بورفؤاد بواسطة عمليات هجومية شنها في اتجاه رأس العش وبقوة سرية دبابات وسرية مشاة ميكانيكية مدعمة بقوة جوية، لكن قواتنا تصدت لها بتشكيل من سرية صاعقة من الكتيبة ٤٣ مدعمة، ومنعته من التقدم إلى المدينة، وخسر العدو في المعركة ثلاث دبابات وثلاث عربات نصف جنزير وعربة نقل كان بها أربعة أفراد، بينما خسرت قواتنا ١٥ فردًا ما بين شهيد وجريح.

وكانت هذه أول معركة تقع بالمواجهة مع العدو بعد عشرين يومًا فقط من معركة يونيو، وبالرغم من أن ظروف القتال لم تكن قد تغيرت فإن إرادة القتال التي بعثت في الجنود أكسبت القوات قوة إضافية أقنعتها بإمكانية التغلب على العدو وكسر غروره.

وقد تعمقت هذه الروح في ٤/٧/١٩٦٧ عندما نفذت قواتنا هجومًا على مخازن الذخيرة جنوب شرق البحيرات بهدف تدميرها ومنع العدو من الاستفادة منها، وأسفر بالفعل عن تفجير حوالي ١٤ ألف طن من الذخيرة، وكانت باكورة لسلسلة من العمليات التي تم تنفيذها خلف خطوط العدو لأغراض الاستطلاع في العمق التكتيكي شرق القناة.

٢ - معركة الطيران

حاول العدو على طول المواجهة - يومي ١٤ و١٥/٧/١٩٦٧ - إنزال لنشات وقوارب مطاطية في مواقع القنطرة والشط وكبريت وبورتوفيق مع محاولة قطع الطريق إلى بورسعيد، وفشل في أول محاولة بفضل تصدي قواتنا، فعمد إلى تكرار العملية في اليوم التالي مع استخدام الطيران لكن طائراتنا أجبرته على العودة دون تحقيق أهدافه.

وكان استخدام طائرات الميج ١٧ لأول مرة بنجاح ضد العدو الذي سعى في الوقت نفسه لاختبار قدرة قواتنا غرب القناة وقياس درجة استعدادها على طول المواجهة. وكان لتدخل طيراننا في المعركة أثره المعنوي العميق لدى الطيارين بعد نجاح أول اشتباك جوي بعد الخامس من يونيو.

٣ - تدمير المدمرة «إيلات»

اقتربت المدمرة الإسرائيلية «إيلات» من المياه الإقليمية المصرية شمال شرق بورسعيد يوم ٢١/١٠/١٩٦٧ في تحرك يعكس الاستهانة بقدراتنا البحرية، وعملًا على ضرب معنويات القوات المسلحة، فصدر الأمر للتعامل معها، وتم تدميرها بالفعل بواسطة ٢ زورق صواريخ سطح-سطح يحمل كل منهما ٢ صاروخ طراز كومار سوفيتي، وكان على متنها ٢٥٠ من أفراد البحرية الإسرائيلية، وقد أحدثت هذه العملية صداها المعنوي الكبير ليس فقط داخل القوات المسلحة وإنما على المستوى الشعبي وبخاصة بين أهالي بورسعيد.

مراحل العمليات على الجبهة المصرية

كان التخطيط للعمليات الحربية عقب المعركة وخلال فترة إعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة التي تحدد لها ثلاث سنوات بهدف تحقيق الخطة ٢٠٠ الدفاعية، كمرحلة يعقبها التحول إلى عمليات هجومية لتحرير الأرض، فقد اعتمد العمل على فكرة التدرج حيث يمكن رصد أربع مراحل رئيسية وفقًا لنمو حجم القوات المسلحة واستكمال التشكيلات المطلوبة وتنمية الكفاءة القتالية.

ولأن الاشتباكات التي بدأت في ١١/٦/١٩٦٧ قد تواصلت حتى وقف إطلاق النار المؤقت في ٨/٨/١٩٧٠ دون انقطاع، فقد أصبح من العسير تحديد تاريخ معين يفصل بين كل مرحلة وأخرى، وكان الأقرب للواقع أن تكون الوقائع الكبرى التي ميزت كل فترة هي مؤشر الانتقال بين مرحلة وأخرى، وعلى سبيل المثال كان استكمال خط الدفاع الأول غرب القناة في نوفمبر ١٩٦٧ نقطة انتقال من الصمود إلى الدفاع الإيجابي. وكان خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في ٢٢/٧/١٩٧٠ بمثابة توجيه للقوات المسلحة للانتقال إلى مرحلة الاستعداد القتالي للعمليات الهجومية لتحرير سيناء، أي تطبيق العملية جرانيت الهجومية. وقد تمثلت هذه المراحل، كما سبق وذكرت، في الآتي:

- المرحلة الأولى: مرحلة الصمود على الجبهات العربية

- المرحلة الثانية: مرحلة المواجهة والتي تشمل الدفاع السلبي ثم الإيجابي ثم الدفاع النشط

- المرحلة الثالثة: مرحلة التحدي والردع

- المرحلة الرابعة: مرحلة الاستعداد القتالي للعمليات الهجومية

وقد واجهت إسرائيل خلال هذه المراحل المختلفة موقفًا عسكريًّا غير تقليدي سواء في ضوء امتداد خطوط المواجهة أو نتيجة لطول الفترة الزمنية للاشتباكات مما اضطرها للقبول بنسبة خسائر يومية أثرت على معدل أدائها طوال هذه الفترة. ولو فرضنا أن متوسط الخسائر كان خمسة أفراد يوميًّا فستصبح المحصلة النهائية على مدى ٣٨ شهرًا ٥٧٠٠ فرد علاوة على خسائر المعدات والطائرات. وفي تقديري فإن هذا الرقم هو الذي دفع إسرائيل لحث الإدارة الأمريكية على التوسط لوقف

إطلاق النار وإنهاء حرب الاستنزاف خلافًا للتصور الذي ساد الفكر الإسرائيلي في أعقاب المعركة مباشرة.

وإزاء توالي الاشتباكات على مدى السنوات الثلاث وعدم توفر وسيلة لتسجيلها فلم أجد أفضل من الرجوع إلى يوميات الحرب للتشكيلات الميدانية في أفرع القوات المسلحة الرئيسية لتسجيل أحداث هذه الاشتباكات.

ولما كانت مدفعية الميدان هي السلاح القوي الذي شغل الفراغ منذ البداية، فلا بد من إعطائها الأولوية المتقدمة في هذا العرض حيث بدأت عملياتها كسلاح رئيسي امتدت تأثيراته الفعالة على مدى مراحل العمليات الأربع؛ الصمود والمواجهة والردع ثم في مرحلة الاستعداد للعمليات الهجومية.

أولًا: أعمال قتال مدفعية الميدان

مع بداية إنشاء وتكوين وحدات النسق الأول الدفاعي غرب قناة السويس واستكمال هذه الوحدات إلى تشكيلات ميدانية أكبر، زادت الأنساق الدفاعية، وتكونت نطاقات متماسكة على طول مواجهة قناة السويس، وترابطت مع بعضها، مكونة عمقًا دفاعيًّا دخلت فيها الأسلحة المعاونة من مدفعية الميدان والهاونات بعياراتها المختلفة، وتكون احتياطي الجبهة من وحدات مدرعة وخفيفة الحركة. وبدأت جميع الوحدات في تجهيز المواقع الميدانية الأصلية والهيكلية والتبادلية والاحتياطية للأسلحة والمعدات مستخدمة الأرض والموانع الصناعية أحسن استخدام.

وبعد تمركز القيادات المحلية في كل قطاع من الجبهة كان أول عمل ميداني تقوم به القيادة الميدانية هو وضع وتنسيق خطط نيران التشكيلات والوحدات في كل قطاع من المواجهة.

وتحتاج خطط النيران إلى استطلاع ومعرفة أوضاع العدو وأوضاع قواتنا وضمان وسائل الاتصال بين كل وحدة نيران وقيادتها حتى تصل المعلومات إلى القيادة الميدانية الأعلى، وتقاس قدرة الموقع أو القطاع الدفاعي بكفاءة خطط نيرانه الدفاعية وخطط القصف المضاد لنيران العدو - وقد وضع كل قطاع دفاعي أكثر من خطة نيران لمقابلة أي احتمالات في تغيير اتجاهات العدو أو تغيير مواقع تجمعاته، وعملًا على تجميع نيران أكبر عدد من القطاعات على هدف واحد أو عدة أهداف في وقت واحد.

وكانت خطط نيران تشكيلات الجبهة تعتمد أساسًا على مدفعية الميدان بأنواعها الكثيرة والهاون بعياراته المختلفة. وكانت أسلحة مدفعية الميدان بأنواعها المختلفة تتدفق على مصر عبر الجسر الجوي والبحري السوفيتي بعد معركة يونيو ١٩٦٧ بأولوية إمداد قصوى بعد الطائرات المقاتلة مباشرة، إذ إنها تعتبر عنصر الردع القوي داخل تنظيم التشكيلات البرية المحتلة للجبهة من تشكيل اللواء والفرقة بالإضافة إلى لواءات مدفعية الميدان التي تعاون الجيوش الميدانية.

ومن هنا تجمعت نيران هذه التنظيمات النوعية على المواجهة بالنسبة لمواقع العدو أو تجمعاته أو منشآته إلى هدف مدفعية لواء، أو هدف مدفعية فرقة، أو هدف مدفعية

جيش، وذلك طبقًا لقدرة تجميع نيران وحدات مدفعية الميدان أو المرونة في توزيعها على عدة أهداف. وبهذه الطريقة احتفظت مدفعية الميدان في قواتنا المسلحة بالبطولات الميدانية دائمًا.

وكانت بداية الاستخدام للضرب المباشر على أهداف العدو على الساتر الرملي ثم تدرجت إلى استخدام نيران سرية مدفعية، ثم نيران كتيبة غير مباشرة على أهداف العدو في العمق التكتيكي. وكانت أفضل النتائج عند استخدام الضرب المباشر على مزاغل الدشم الأسمنتية بعد إنشاء العدو للمواقع الحصينة شرق قناة السويس.

وكان استطلاع مدفعية الميدان مستمرًّا نهارًا وليلًا. وكانت كتائبها تسارع إلى تغيير مواقعها بعد كل اشتباك مع العدو حتى لا يتمكن من تسجيل نقاط فتح النيران. كما جرى تبادل النيران في كل قطاع بين مدفعيتنا ومدفعية العدو حتى شملت كل قطاعات المواجهة، وهو ما أكد كفاءة مدفعيتنا في دقة الإصابة، وفي كثافة النيران، حيث كان ميزان القوى في مدفعية الميدان في صالحنا طوال الوقت.

انتقلت مدفعية الميدان بعد ذلك إلى معاونة دورياتنا المقاتلة معاونة مباشرة عند مهاجمة الدشم أو مواقع العدو في عمق سيناء إما باستخدام الضرب المباشر أو غير المباشر أو بستائر من الدخان سترًا لاقتراب قوة الدورية من هدفها المعادي.

وكان التحذير الموجه مني لمدفعية الجبهة ألا تفتح نيرانها جميعًا في وقت واحد حتى لا تُكشف خطة نيران مدفعية الجبهة كلها في اشتباك واحد.

وكانت تحركات العدو وإمداداته وأرتاله المتحركة من عربات ودبابات، على طريق الإمداد الموجود شرق قناة السويس بحوالي ٣ كم تمتد من القنطرة حتى مدينة السويس، واقعة تحت نيران مدفعيتنا، الأمر الذي أجبر العدو - بعد أن تكبد خسائر كبيرة في آلياته - أن يبتعد إلى الطريق الوعر غير الممهد شرق القناة بأكثر من خمسة كيلومترات وأن يقتصر على التحركات ليلًا وبدون إنارة حتى لا تكشفه مدفعيتنا.

وشكلت منشآت العدو البعيدة، خاصة على المحاور الرئيسية في سيناء، أهدافًا جيدة لمدفعية الميدان طويلة المدى، حيث كانت دقة النيران وتجميعها أمرًا عاديًّا لإصابة هذه الأهداف الثمينة، وتظل النيران مشتعلة فيها لمدة يومين من إصابتها بتدمير كامل من مدفعيتنا.

ومثلًا كان تجميع نيران مدفعية اللواء وتأثيرها على هدف واحد ولمدة ثلاث دقائق فقط تعطي نتائج ملموسة من التدمير. إذ إن تجميع نيران ستة وثلاثين مدفعًا لمدة ثلاث دقائق × عشر طلقات كل دقيقة لكل مدفع تعطي كمًّا من القذائف وزنه خمسة أطنان من المفرقعات شديدة الانفجار، على أساس أن كل طلقة وزنها خمسة كيلو جرامات.

وإذا تعمقنا أكثر في دراسة طبيعة الأرض شرق القناة نجدها أرضًا صحراوية مكشوفة حتى ٢٠ كم عمقًا، وبالتالي يمكن تصور مدى التأثير الذي أدى إلى شلل تحركات العدو، وعدم تمكينه من التجميع سواء للأفراد أو المعدات خوفًا من تأثير

نيران مدفعية الميدان المصرية، والتي وصل عدد قطعها من مختلف الأنواع إلى ٢٠٠٠ قطعة انتشرت في شكل وحدات على طول المواجهة وفي العمق حتى ٣٠ كم في أواخر عام ١٩٦٩.

ومن هنا فقد أجبر العدو - حتى يتمكن من البقاء حيًّا في هذه المنطقة شرق القناة - على إنشاء مواقع حصينة من الأسمنت المسلح والحديد الصلب بلغ عددها ٣٧ موقعًا حصينًا يفصل بين كل موقع وآخر أكثر من عشرة كيلو مترات بالتوازي مع الشاطئ الشرقي لقناة السويس، وهو ما أسماه العدو «خط بارليف»، وأعطاه من الشهرة الإعلامية أكثر من حقيقته الدفاعية، ولكنه نجح في حماية الأفراد بداخله أطول وقت ممكن، وفي نفس الوقت اعتقد أن هذه النقاط القوية بالإضافة إلى المانع الطبيعي - قناة السويس بعرض ١٨٠ مترًا - تشكل بالنسبة للمصريين عائقًا مانعًا يصعب عبوره، بدليل أنه أمكن احتلاله بلواء مشاة واحد فقط أي أن كل نقطة حصينة كان بها من ١٥ إلى ٢٠ فردًا فقط دون عمق دفاعي. لكن أمكن التغلب على هذه التحصينات من خلال تطوير نيران المدفعية المصرية بإضافة نيران المدفعية الثقيلة عيار ١٥٥ مم وعيار ١٣٠ مم وقواذف صاروخية مؤثرة جدًّا على العدو، خاصة في العمق، بمساعدة طائرات الهليكوبتر المصرية التي كانت تستخدم كنقاط ملاحظة وضبط نيران المدفعية، كذا باستخدام أسلوب الضرب الحسابي بمساعدة الصور الجوية التي كان يمدنا بها الاتحاد السوفيتي عن مواقع العدو في العمق التكتيكي والتعبوي.

وهنا أذكر مثالين اثنين فقط في هذا المجال لأبيِّن تأثير مدفعيتنا الميدانية على العدو، فمثلًا في ٨/٩/١٩٦٨ فتحت مدفعية الجيش الثاني ومحطة بورسعيد في توقيت واحد نيران مدفعيتها على طول القناة من بورسعيد حتى القنطرة. فقتل ١٠ جنود إسرائيليين وجرح ١٨، وكانت تلك خسارة بشرية كبيرة بالمعايير الإسرائيلية. وفي ٢٦/١٠/١٩٦٨ أطلقت مدفعية الجيشين الثاني والثالث نيران مدفعيتها معًا ولمدة ٩ ساعات على أهداف بشرية سبق رصدها، منها مباراة كرة قدم، فتمت مفاجأة العدو، مما أحدث خسائر تقدر ب- ١٥ قتيلًا وجرح ٣٤ فردًا. وكانت حصيلة الإصابات التي لحقت بالقوات الإسرائيلية من تأثير دقة وكثافة مدفعيتنا خلال عام ١٩٦٨ حوالي ١٢٠٠ إصابة.

ثانيًا: استشهاد البطل

بينما كان الفريق عبد المنعم رياض رئيس الأركان وقائد الجيش الثاني الميداني ومستشاراهما يتفقدون مواقع القوات من بورسعيد إلى الإسماعيلية متخذين طريق القناة، قام العدو برصد تحركات رتل من عربات ركوب القادة - أربعة أبواب - وتتبعه حتى وصل إلى كوبري الفردان شمال الإسماعيلية ثم إلى موقع رقم ٦ حيث أطلق العدو دفعات من مدفعيته الثقيلة عيار ١٥٥ مم على هذا الموقع، فاستشهد البطل الفريق عبد المنعم رياض، وجرح قائد الجيش الثاني المرافق له، وبذلك فقدت نائبي وزميلي وصديقي الشهيد البطل الفريق أول عبد المنعم رياض يوم ٩/٣/١٩٦٩ في الخندق الأول للموقع الأول في النسق الأول لقوات الجيش الثاني الميداني شمال الإسماعيلية. وتحولت جنازته العسكرية الشعبية، من ميدان التحرير

وسط القاهرة إلى جامع الكخيا بميدان الأوبرا، والتي ترأسها الزعيم القائد جمال عبد الناصر، إلى ملحمة وطنية. وكان غضب الشعب ومطالبته بالثأر وقودًا حافزًا لمقاتلي الجبهة للقيام بالعمليات الهجومية الجريئة اعتبارًا من اليوم التالي مباشرة، فأحدثت تطورًا إيجابيًا لصالح مصر انتقامًا لاستشهاد البطل. ومن ثم كان استشهاده قوة دافعة لكل الوحدات المقاتلة على الجبهة ودفعها إلى تصعيد عملياتها التعرضية.

وكان انتقام مدفعية الفرقة الثانية المشاة «قطاع الإسماعيلية» لاستشهاد البطل سريعًا، حيث نجحت في قصف وتدمير مجموعة قيادة العميد الإسرائيلي «إشعياهو» وهو يتفقد قواته على الجانب الشرقي للقناة، حيث وقع معه ٢٥ قتيلًا إسرائيليًّا و٣٠٠ جريح، بالإضافة إلى تدمير تسع دبابات إسرائيلية، ٢ عربة جيب لاسلكي وعربة صواريخ.

وكانت حصيلة ونتائج ضرب مدفعية الميدان بتأثير وتركيز عاملًا مهمًّا في رفع معنويات الجنود، وكانت فرحة للقوات المصرية جميعًا عندما نشرت الصحف المصرية والأجنبية نتائج معارك المدفعية الناجحة وأعلنت خسائر الجانب الإسرائيلي فيها، ولم تحدث أية خسائر في هذه المعركة بين قواتنا.

وبذلك كانت مدفعية الميدان هي الدرع الواقية لقواتنا المسلحة في مراحل الصمود والمواجهة، بل برهنت على ثبات رجالها وشجاعتهم ودقة نيرانهم وأنها الرادع القوي لقواتنا المسلحة في الوقت الذي كانت قوات الدفاع الجوي والقوات الجوية لا زالت تنمو وتقوى حتى تملأ ساحة القتال وتنافس العدو الذي ملأ الدنيا غرورًا بدعايته الفارغة.

ثالثًا: يوميات حرب الاستنزاف للمراحل الثلاث الأولى

١ - عمليات مرحلة الصمود على الجبهة

أ) ١٩٦٧-١٩٦٨

- ١/ ٧/ ١٩٦٧: معركة رأس العش نجحت في إيقاف تقدم العدو إلى بورفؤاد، وانسحب من المعركة تاركًا دباباته وعرباته المدمرة.

- ٤/ ٧/ ١٩٦٧: إغارة من القوات الخاصة دمرت مخزن ذخيرة لقواتنا تُرك شرق القناة.

- ١٤/ ٧/ ١٩٦٧: معارك جوية لحرمان العدو الجوي من الاستطلاع فوق قواتنا غرب القناة.

- ٣/ ٩/ ١٩٦٧: صدر قرار إخلاء المواطنين والمصانع والمخازن من منطقة القناة إلى محافظات الدقهلية والشرقية والغربية وبني سويف والقاهرة.

- ٤/ ٩/ ١٩٦٧: حاول العدو دفع لنشات وناقلة بحرية شمال خليج السويس تحت ستار نيران كثيفة ضد الجباسات والجزيرة الخضراء ومدينة السويس وبورتوفيق. تصدت له قواتنا ومنعته من الاقتراب إلى هذه الأهداف، وخسر العدو ناقلة بحرية، ثلاث دبابات، وعربة مدرعة وإصابات كثيرة في منطقة الشؤون الإدارية

والمعسكرات، بينما خسرت قواتنا ٣٠ فردًا بين شهيد وجريح، ومن المدنيين ٥١ شهيدًا وجريحًا مع تدمير ٢ لنش طوربيد وذلك في قطاع الجيش الثالث.

- ١٥/ ٩/ ١٩٦٧: هجوم جوي وقصف مدفعي معادٍ على القنطرة غرب ودعم ٢٠ طائرة نتج عن ذلك عشرة جرحى من العسكريين والمدنيين، بينما خسر العدو خمس عربات مدرعة وانفجار مخزن ذخيرة في القنطرة شرق وذلك في قطاع الجيش الثاني.

- ٢١/ ٩/ ١٩٦٧: قصف مدفعي معادٍ من القنطرة شرق تمكنت قواتنا من إسكاته بواسطة قصف مضاد في مدفعية الميدان نتج عنه استشهاد ٣ عسكريين، بينما خسر العدو ٨ دبابات وعربة مدرعة، ٦٠ فردًا بين قتيل وجريح في قطاع الجيش الثاني.

- ٢٧/ ٩/ ١٩٦٧: قصف مدفعي معادٍ في الإسماعيلية والقنطرة أسكتته قواتنا ونتج عن الاشتباك ٧ شهداء عسكريين، ٥٦ شهيدًا مدنيًّا، ومن العدو إصابة ١٥ دبابة، ١٦ عربة مدرعة وإشعال حرائق في المستودعات وذلك في قطاع الجيش الثاني.

- ٢١/ ١٠/ ١٩٦٧: معركة بحرية شمال شرق بورسعيد داخل حدود المياه الإقليمية المصرية، حيث تم إطلاق ٢ صاروخ بحري طراز كومار من لنشات الصواريخ المصرية أدى إلى إصابة المدمرة «إيلات» الإسرائيلية وإغراقها. واستجابت مصر لنداء الاستغاثة، وسمحت للجانب الإسرائيلي بإتمام عمليات الإنقاذ لطاقم المدمرة الأحياء يوم ٢٢/١٠/١٩٦٧.

- ٢٤/١٠/١٩٦٧: قام العدو بضرب مدفعية ميدان ثقيلة ومدفعية دبابات على مصانع الزيتية والسماد ومدينة السويس - ردًّا على إغراق المدمرة «إيلات» - وردت مدفعيتنا على نيرانه لإسكاتها وخسرنا ثلاثة شهداء، وخمسة جرحى ومن المدنيين شهيد واحد، وتسعة جرحى وخسائر في المنشآت البترولية، بينما خسر العدو عشر دبابات، وأربع عربات مدرعة وإصابات وحرائق في منطقة التكديسات والشؤون الإدارية.

- ١٣/١١/١٩٦٧: إغارة لجماعة من قواتنا عبر قناة السويس شمال الإسماعيلية لإحضار ثلاث عينات من البازوكا ٧٣ ذات إطلاق كهربائي. ونجحت الغارة واستولت على البازوكا وسلمتها لقواتنا وذلك في قطاع الجيش الثاني.

- ٢٢/١١/١٩٦٧: انتهى إنشاء وتجميع أول خط دفاعي غرب القناة - مكون من ٥ لواءات مشاة، ٢ لواء مدرع، ٥ كتائب صاعقة - مدعم بوحدات الدفاع الجوي من المواسير والصواريخ كذا بأسراب الطائرة المقاتلة التي تجمعت حتى ذلك الوقت.

وتزامن هذا التاريخ مع صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢/١٩٦٧. وكانت ديباجة القرار التي تنص على «عدم جواز احتلال أراضي الغير بالقوة»، سندًا دوليًّا للقوات المسلحة لكي تقوم بعملياتها الهجومية لإعادة الأرض العربية المغتصبة في يونيو ١٩٦٧ بالقوة المسلحة.

- ٣/١/١٩٦٨: قصف ميداني من مدفعيتنا على طول المواجهة، ورد عليه العدو وخسرنا ١ شهيد، ٣ جرحى مدنيين، ٢ دبابة، بينما خسر العدو ٩ دبابات مع تدمير

وحرائق في منشآته الإدارية.

- ٢٥/١/١٩٦٨: نصر بحري بإغراق الغواصة «داكار» للعدو أمام شواطئ البرلس وغرق طاقمها المكون من ٦٩ بحارًا إسرائيليًّا. ولم يكن في الإمكان الإعلان عن هذا النصر، إذ إننا لم نعثر بعد محاولات بحث دقيقة في نفس الليلة والأيام التالية على أي أثر مادي يدلل على غرق هذه الغواصة. وكانت تعليمات الرئيس عبد الناصر عقب نكسة ٥ يونيو بضرورة إثبات الواقعة أو الغرق لأي هدف عدواني إما بصورة واقعية واضحة أو بجزء من أجزاء الغواصة أو الطائرة مثلًا. وبما أننا لم نعثر على أي دليل فلم أستطع التبليغ عن هذا الحدث الكبير إلا بعد أن اعترف العدو الإسرائيلي نفسه وأخذ يبحث عن هذه الغواصة، وانتشل جثث طاقمها بمساعدة الوحدات البحرية والجوية الأمريكية.

- ١٨/٦/١٩٦٨: كمين لقواتنا أمام نقطة شرق بورفؤاد تصدى له العدو، وخسرت قواتنا أربعة شهداء ومفقودًا واحدًا من قوات محطة بورسعيد العسكرية.

- ٢١/٦/١٩٦٨: قصف مدفعي على طول المواجهة.

- ٢٣/٦/١٩٦٨: قصف مدفعي ليلي على طول المواجهة، ورد العدو بقصف مدينة الإسماعيلية. بلغت خسائرنا ٧ جرحى، وخسائر العدو بلغت ست دبابات وأربعة مدافع، وتدمير دشم مركز قيادة.

- ٢٤/٦/١٩٦٨: قصف مدفعي على طول المواجهة.

- ٨/٧/١٩٦٨: قصف مدفعي متبادل في منطقة السويس والمصانع نتج عنه جرح ٤ من العسكريين، ١١ شهيدًا مدنيًّا وحرائق بمدينة السويس، بينما خسر العدو خمس دبابات وحرائق في منشآته الإدارية ومخازنه.

- ١/٨/١٩٦٨: قرار جمهوري بإنشاء قيادة الدفاع الجوي بعد فصلها عن القوات الجوية وجعلها القوة الرابعة الرئيسية.

- ١/٨/١٩٦٨: تعليمات تنظيمية بإنشاء جيشين ميدانيين على امتداد الجبهة الطويلة وتقسيم المواجهة بينهما.

- ٢٦/٨/١٩٦٨: كمين لقواتنا الخاصة من الجيش الثاني الميداني شرق جبل مريم ضد دورية إسرائيلية فوجئت به، وخسر العدو أول أسير واسمه «دان أفيدان شمعون» وكان بطلًا في المصارعة. وتمت هذه العملية انتقامًا لاستشهاد الجندي توفيق الشافعي من نفس الوحدة الليلة السابقة نتيجة قصف عشوائي على الموقع، والذي توفي عقب وصوله إلى مستشفى الإسماعيلية.

- ٨/٩/١٩٦٨: قصف مدفعي مدبر على مواجهة الجيشين الثاني والثالث وبعمق ٢٠ كم شرق القناة دلل على تفوق مدفعية الميدان على العدو سواء في القوة أو الدقة.

- ليلة ٨-٩/٩/١٩٦٨: كمين لقوات من الجيش الثالث الميداني في منطقة الشط بغرض رص ألغام واصطدم بها رتل دبابات للعدو في نفس الليلة نتج عنه تدمير ١ عربة مدرعة، ٣ دبابات، وسقوط أفراد قتلى وجرحى كثيرين.

دفعت قواتنا ٢ دورية قتال من الجيش الثاني شمال القنطرة وشرق طوسن لبث ألغام في ثماني مناطق مختلفة.

- ٢٢/٩/١٩٦٨: دورية استطلاع قواتنا من الجيش الثالث، بين الشط وجنوب البحيرات، تمكنت من نصب كمين لدورية إسرائيلية ونجحت في تدميرها. خسائر العدو إصابة عربة نصف جنزير، ثلاثة قتلى وجريح واحد.

- ليلة ٢٥-٢٦/٩/١٩٦٨: دوريات قتال على مستوى كل لواء في الجيش الثالث في منطقتي الشط وكبريت أزعجت ودمرت دوريات العدو في هذه المناطق.

- ٩/١٠/١٩٦٨: منحت الولايات المتحدة أول صفقة فانتوم لإسرائيل كعربون لتقديم «دين راسك» مشروعه إلى مصر من أجل التسوية الشاملة. ورفضت مصر المشروع.

- ٢٦/١٠/١٩٦٨: قصف مدفعي مدبر من قواتنا لتدمير صواريخ أرض-أرض العدو على طول المواجهة، مع دفع دوريات قتال بث ألغام والتعرض لدوريات العدو.

- ٣١/١٠/١٩٦٨: غارة جوية معادية باستخدام طائرات هليكوبتر لنقل قوة صاعقة والتسلل الجوي إلى نجع حمادي بهدف تهديد مصادر المياه والكهرباء في المنطقة وجذب اهتمام قواتنا بعيدًا عن جبهة قناة السويس. وكانت نتائج الغارة نفسية أكثر منها عسكرية ولفتت نظر قواتنا إلى:

١ - تعزيز نطاق الإنذار بالنظر على حدود مصر خاصة الشرقية.

٢ - التفكير في إنشاء الجيش الشعبي واستغلاله في حماية عدد ٤٠٠٠ هدف حيوي في عمق مصر.

ب) عملية اقتحام نقطة العدو القوية في الدفرسوار

في أكتوبر ١٩٦٨ تطورت عمليات المواجهة على الجبهة من أعمال قناصة ودوريات استطلاع وقصف مدفعية إلى عبور قوات من سرية مشاة مدعمة في عمليات إغارة ليلية عبر مواقع العدو لاختبار قدرة الدفاعات الإسرائيلية وكشف خطط نيرانها، كذا اختبار عمليات المساندة في القيام بهجمات مضادة على قواتنا ومدى قدراتها وتوقيتات وصولها وإمكانياتها.

تم تدريب السرايا المدعمة على هذه الغارات خلف الخطوط تدريبًا عمليًّا على هياكل قوية أولًا، ثم الانتقال إلى مهاجمة النقطة القوية في الدفرسوار على الساتر الترابي حتى يمكن التعامل بالنيران والقوات مع قوات العدو في منطقة تل سلام. وقد كلف قائد التشكيل من الجيش الثاني بإتمام العملية ليلًا. وفي هجوم صامت عبرت القوة من اتجاهين ونجحت في الوصول إلى الهدف، وفوجئ العدو الإسرائيلي بجنودنا داخل خنادق مواصلاته، وحدث اشتباك دام حوالي عشر دقائق، ثم عادت القوة بقواربها إلى الضفة الغربية. وفقدنا في العملية ثمانية شهداء، ولكن

العدو أصابه الذعر والارتباك من نجاح وجرأة قواتنا في الوصول إلى خنادقه ومواقعه.

٢ - مرحلة المواجهة المباشرة

أ) الكمائن ودوريات القتال

اتسمت هذه المرحلة والتي بدأت بعمليات دفاعية سلبية، ثم تطورت إلى عمليات دفاعية إيجابية، ثم إلى عمليات دفاعية نشطة بأعمال جريئة من قواتنا على الجبهة ضد العدو الإسرائيلي على الجبهة الشرقية من القناة. وتمثلت أغلب العمليات الجريئة في أعمال الكمائن من قواتنا ضد قولات التموين التي كانت تمر على طريق القناة القريب حاملة المياه والغذاء والذخيرة للنقط القوية شرق القناة، كما تمثلت في أعمال الدوريات خلف خطوط العدو وأعمال دوريات القتال التي بدأت تسبب الرعب والخوف في قلوب الإسرائيليين في خنادقهم شرق القناة، وكان أبرز العمليات الجريئة ضد العدو تلك التي صاحبت الهجمات على العدو والحصول على أسرى أحياء أو قتلى، والفائدة الكبيرة في الحصول على معلومات صحيحة منهم.

وكان نشاط دوريات القتال الجريئة يتمشى مع التطورات التي حدثت في الجبهة من ناحية التخطيط السليم للعمليات الميدانية التي اعتمدت على زيادة حجم وفاعلية الجبهة والتي تكونت من جيشين ميدانيين هما الثاني والثالث بالإضافة إلى زيادة قوات الاحتياطي والتدريب على العمليات المضادة.

وقد وصلت معدلات الأداء والاشتباكات خلال هذه المرحلة إلى إتمام:

- من ١ إلى ٢ قصفة مدفعية بأكثر من خمس كتائب لكل قصفة في اليوم الواحد.

- تراشقات ضرب مباشر بالأسلحة الصغيرة والقناصة تراوحت بين ١٠ و٢٠ اشتباكًا يوميًّا.

- دفع بين ٢ و٤ دوريات قتال-استطلاع يوميًّا على طول الجبهة.

- تنفيذ من ١ إلى ٢ عمل قتالي تعرضي أسبوعيًّا على مستوى كل لواء مشاة.

وتركز العمل في هذه المرحلة على تدمير وشلِّ نظام العدو الدفاعي على الضفة الشرقية، وشلِّ فاعلية خط بارليف وإحداث أكبر خسائر في الأفراد والمعدات وتهيئة الظروف المناسبة لشن أعمال قتال تعرضية بعد أن فقد خط بارليف نسبة مؤثرة من تحصيناته.

كما اتسع نطاق الدوريات عبر القناة على مجموعات الصاعقة وعناصر الاستطلاع لحين استكمال وحدات المشاة صقلها وتدريبها على مثل هذه الأعمال.

ب) إشراك طيران العدو في المعارك

في هذه المرحلة - مرحلة المواجهة المباشرة - تحول الموقف الإسرائيلي من الهجوم إلى الدفاع، والتزمت القوات البرية الإسرائيلية بتحصين أفرادها ومعداتها داخل مخابئ وملاجئ النقاط القوية شرق قناة السويس، والتي كونت في مجموعها

خط بارليف الدفاعي، وذلك خوفًا من كثرة الإصابات والقتلى الناشئة من عنف الهجمات المصرية الليلية ودقة إصابة مدفعية الميدان المصرية.

واضطرت إسرائيل في نفس الوقت إلى إشراك سلاحها الجوي في المعركة في ٢٠/٧/١٩٦٩، إذ إن أسلحتها البرية التقليدية لم تتمكن من وقف القتال أو إخماد حماس وقدرة المصريين غرب القناة، وكانت خطة القوات الجوية الإسرائيلية تعتمد على استمرار قصف أهدافنا لمدة عشرة أيام بمعدل ٥٠٠ طلعة طائرة واستهلاك ٢٥٠٠ قنبلة طيران وزن ٢/١ طن تستهدف مواقع الدفاع الجوي ومدفعية الميدان في جبهة القتال. وكان رد قواتنا الجوية - التي وصلت قدراتها في أعمال القتال الجوي حدًّا مقبولًا من وجهة النظر الدفاعية - بالقيام بتبادل الطلعات ضد العمق التكتيكي لمواقع العدو شرق قناة السويس، وبضرب أهداف ميدانية واضحة مثل منشآت إدارية ومواقع القيادات الميدانية بالإضافة إلى الاشتباك الجوي الذي نجحت فيه طائرتان ميج ٢١ معدلة من إسقاط طائرتي ميراج للعدو.

ج) عمليات تعرضية صغرى

- استمرار قصف نيران مدفعية الميدان المدبرة ضد مواقع العدو على طول المواجهة، كذا النيران المباشرة من الدبابات ضد مزاغل الدشم طوال مرحلة الدفاع النشط، الأمر الذي سبب خسائر في معدات العدو وأسلحته ودشمه، وقلل كثيرًا من فاعلية خط بارليف.

- ٩/٣/١٩٦٩: استشهاد الفريق عبد المنعم رياض.

- ١١/٣/١٩٦٩: دوريات استطلاعية في نطاق الجيش الثاني للتخصيص لعمليات انتقامية لاستشهاد الفريق.

- في ليلة ١٣-١٤/٣/١٩٦٩: إغارة عناصر من الكتيبة ٣٣ صاعقة قطاع الجيش الثالث ضد مواقع العدو في جنوب البحيرات أدت إلى تدمير مواقعه وإصابة ٢ دبابة وخطف أسير وإحضار عينة من ألغام العدو.

- تنفيذ الخطة هدير في ١٧/٤/١٩٦٩ بقصف مباشر من الدبابات الثقيلة ضد مزاغل الدشم لتفجيرها من الداخل. ونجحت الخطة في تدمير ٥٠٪ من الدشم على طول مواجهة الجيش الثالث الميداني.

- ليلة ٢١-٢٢/٤/١٩٦٩: إغارة بقوة من أفراد الصاعقة - ٣ ضباط، ٣٠ فردًا - ضد نقطة حصينة جنوب البحيرات قطاع الجيش الثالث ثم نسفها، وحصلت القوة على أسير إسرائيلي.

- ٢٢/٤/١٩٦٩: قصف جوي من طائرات العدو ضد وحدة رادار مصرية متمركزة في الأردن، ونجح العدو في تدميرها ولكن العدو فقد طائرتين مقاتلتين.

- ٢٩/٤/١٩٦٩: نجح العدو في تسلل طائرة «هل» إلى نجع حمادي حيث أسقط ٤ عبوات ناسفة قرب إدفو، ونسف ٢ عمود كهرباء ضغط عالي - وألقى ٦ عبوات ناسفة زمنية قرب نجع حمادي.

د) دعم سوفيتي للعمليات

في مرحلة الدفاع النشط قامت وحدات الاستطلاع الاستراتيجي والتعبوي السوفيتي بإمداد قواتنا بمعلومات قيِّمة عن أوضاع العدو في عمق سيناء بواسطة القمر الصناعي الروسي. وعندما اكتشفتُ قيمة هذه المعلومات طلبت زيادتها بمعلومات عن خليج السويس ومنطقة «إيلات» والمطار الموجود بها وتجاوب الاتحاد السوفيتي، وقدم بالفعل صورًا واضحة جدًّا تبين عدد الطائرات المقاتلة-القاذفة الإسرائيلية وطريقة إيوائها في الدشم وطريقة حراستها. وكان هذا الطلب نتيجة توقعي الشخصي بأن إسرائيل تحاول دفع مجهودها الجوي نحو الجنوب بما فيه الصعيد مستخدمة مطار رأس نصراني.

- ليلة ١٧-١٨/٥/١٩٦٩: دفعت قواتنا كمينًا في منطقة جنوب البحيرات قطاع الجيش الثالث نجح في تدمير عربة ٢/١ جنزير بأفرادها.

- ١٩/٥/١٩٦٩: قامت قواتنا الخاصة بإغارة ضد مصنع فوسفات وكيماويات جنوب مستعمرة «أشَليم» في النقب الإسرائيلي وأصابت المصنع إصابات تعجزه عن الإنتاج.

هـ) عملية لسان بورتوفيق الأولى

- ليلة ٩-١٠/٦/١٩٦٩ قامت عناصر من الكتيبة ٤٣ صاعقة بإغارة ضد قوات العدو في لسان بورتوفيق، ونجحت في تدمير العدو والاستيلاء على اللسان. وفقد العدو ٤ ملاجئ ودشمة وثلاثين فردًا بين قتيل وجريح ووقع أسير إسرائيلي في يد قواتنا، وكان لهذه العملية رد فعل عنيف ومخزٍ لدى القيادة الإسرائيلية التي صممت على استرداد الجزء الذي استولت عليه قواتنا.

- ليلة ٢٣-٢٤/٩/١٩٦٩ قامت عناصر من الكتيبة ٣٥ من اللواء ١١ مشاة الفرقة ٧ مشاة قطاع الجيش الثالث بإغارة على نقاط العدو القوية في منطقة كيلو ١٤٦ ودمرت جزءًا منها وشغلت المواجهة كلها بالنيران وعادت القوة إلى قواعدها سالمة.

- في الليلة نفسها نفذ لواء ٣ مشاة عملية إغارة بقوة سرية شمال البلاح قطاع الجيش الثاني وتمكن من تنفيذ المهمة بنجاح.

- ليلة ٧-٨/٦/١٩٦٩ قامت مجموعة خاصة من الصاعقة - ٧ ضباط، ٦٤ من الرتب الأخرى - بإغارة على لسان التمساح قطاع الجيش الثاني. نفذت مهمتها وكبدت العدو خسائر ٣٠ فردًا بين قتيل وجريح وتدمير ٤ دشم، ودبابتين بينما فقدت قواتنا تسعة شهداء.

و) عملية لسان بورتوفيق الثانية

- ليلة ١٠-١١/٧/١٩٦٩: إغارة صامتة من كتيبة ٤٣ صاعقة ضد نقاط العدو الباقية في لسان بورتوفيق، ونجحت في تنفيذ مهامها، وكانت خسائرنا خمسة جرحى وخسائر العدو ٣٥ بين قتيل وجريح وأسر فرد من العدو.

- ليلة ١٤-١٥/٧/١٩٦٩: إغارة لنش بحري معادٍ في منطقة أبو مندور (خالية من القوات) لاستطلاع وجود ألغام بمنطقة موقع رادار لقواتنا.

ز) عملية الجزيرة الخضراء

ليلة ١٩-٢٠/٧/١٩٦٩ حاولت قوة إنزال بحري معادٍ من الضفادع البشرية، مدعمة بطائرات هليكوبتر، الاستيلاء على الجزيرة الخضراء بهدف طرد قوة سرية مدعمة من قواتنا كانت تسيطر على الجزيرة. ونجحت قوة العدو في النزول في الجزء الشمالي الخالي الصخري، ولكن تصدت لها قواتنا بمعاونة مدفعية الجيش الثالث مجمعة، والتي فتحت نيرانها على كل الجزيرة بما فيها قواتنا التي كانت مخندقة في خنادق معدة من قبل داخل صخور الجزيرة. وفوجئ العدو بكثافة نيران مدفعية الجيش، وهو غير مخندق ومعرض في العراء على سطح الجزيرة الصخرية، فاضطر إلى الانسحاب من الموقع بخسائر فادحة في الأفراد وفي اللنشات والمعدات.

وكان العدو قد نجح في قطع الكابل البحري للمواصلات بين الجزيرة وبين الجيش الثالث، الأمر الذي جعل تحديد مواقع قواتنا وقوات العدو مستحيلًا، ومن هنا جاء قرار قائد الجيش الثالث جريئًا باستخدام نيران مدفعية الجيش كلها على الجزيرة بما فيها قواتنا المخندقة. وقدرت خسائر العدو ب- ٣٠ فردًا بين قتيل وجريح، بينما كانت خسائر قواتنا ١٥ فردًا جريحًا.

واضطر العدو بعد نجاح قواتنا في هذه المعارك أن يقحم طيرانه ضد قواتنا في الجبهة نهارًا وليلًا اعتبارًا من ٢٠/٧/١٩٦٩.

- ليلة ١٠-١١/٨/١٩٦٩: عدد ٢ غارة من قواتنا، الأولى في اتجاه الدفرسوار بقوة ٦٩ فردًا، والثانية في اتجاه الفردان بقوة ٨٣ فردًا. والغارتان ضد النقاط القوية في خط بارليف في مواجهة الجيش الثاني، تم تدمير ٥٠٪ منها - ست دشم بأفرادها - وكانت خسائر قواتنا ثمانية جرحى.

- ٢/٩/١٩٦٩: مناورة بحرية مشتركة، مصرية-سورية-سوفيتية، لأكثر من ٨٠ قطعة بحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط بهدف رفع قدرة القوات البحرية المصرية والسورية للقتال البحري الحديث.

- ليلة ٨-٩/٩/١٩٦٩ قام العدو - بريًّا وبحريًّا وجويًّا - بشن عمليات شاملة:

١ - هجوم خداعي في اتجاه مرسى السادات، تمكن من إصابة ٢ لنش طوربيد لقواتنا.

٢ - هجوم خداعي ضد جزيرة شدوان لجذب الأنظار ولكن الهجوم فشل.

٣ - عملية رئيسية ضد الزعفرانة - محطة رادار ب ١٢ - بتغطية ٥٨ طلعة طائرة. قام بإبرار سرية دبابات منقولة بحرًا على ثلاث سفن إنزال في منطقة أبو الدرج، واتجهت جنوبًا إلى الزعفرانة حيث هاجمت الطريق الأسفلتي إلى مدن البحر الأحمر، كذا نقطة الرادار، وخلالها تم تصوير هذه العملية تلفزيونيًّا وأذيعت في

جميع أنحاء العالم. وكان هدفها التأثير النفسي أكثر منها عملية عسكرية. ومكثت القوة حوالي الساعة ثم انسحبت، ولكنها ملأت إذاعات العالم لإبراز قوة إسرائيل وسيطرتها في المنطقة الخالية. ونتج عن هذا الحدث إحالة رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة إلى التقاعد بسبب تقاعسه في اتخاذ الإجراءات الوقائية بعد إنذار رئيس الجمهورية له شخصيًّا.

- في ١١/٩/١٩٦٩ قامت ١٠٠ طائرة ميج ١٧ وميج ٢١ في تشكيل أسراب متتالية طول اليوم لقصف أهداف العدو على المحور الشمالي والمحور الجنوبي داخل سيناء.

- ليلة ١-٢/١٠/١٩٦٩: إنزال بحري لدورية قتال من الوحدات الخاصة للساحل الشرقي لخليج السويس بين رأس ملعب ورأس مكارمة ردًّا على عملية الزعفرانة. تمت العملية بنجاح ونسف الطريق وتدمير المنشآت الإدارية.

- ١٢/٩/١٩٦٩: قامت سرية مشاة مدعمة من الجيش الثاني بتدمير قول عربات بأفراده من العدو جنوب البلاح، واحتلت موقعًا حصينًا خاليًا من العدو وطلبت البقاء شرق القناة بعد أن رفعت العلم المصري، ولكنني رفضت استمرارها في الموقع.

- ليلة ٣-٤/١٠/١٩٦٩: إغارة بعناصر من كتيبة مشاة من الفرقة ١٨ ضد النقطة القوية بالدفرسوار قطاع الجيش الثاني، حيث دمرت حوالي ٦٠٪ منها. خسر العدو ٢ دبابة، ٤ دشم بأفرادها وأسلحتها بينما خسرت قواتنا ٤ شهداء.

- ليلة ٢٠-٢١/١٠/١٩٦٩ دفعت الفرقة ٢ دورية قتال مدعمة في اتجاه شرق الفردان قطاع الجيش الثاني، ونجحت في تدمير منطقة شؤون إدارية للعدو وأحدثت بها حرائق وانفجارات.

- ليلة ٤-٥/١١/١٩٦٩ دفعت قواتنا في قطاع الجيش الثاني مجموعة صاعقة لتدمير دورية للعدو، ونجحت المهمة في تدمير ٢ عربة ٢/١ جنزير بجميع أفرادها وقتل وجرح ٨ أفراد من العدو وأسر جندي توفي بالضفة الغربية.

- ليلة ٥-٦/١١/١٩٦٩ دفعت قواتنا كمينًا بقوة ٤٦ فرد صاعقة على طريق الشط الجباسات قطاع الجيش الثالث تمكن من تدمير دبابة للعدو وقتل وجرح عشرة أفراد من العدو. وفي الليلة نفسها دفعت الفرقة ١٦ مشاة قطاع الجيش الثاني وحدة استطلاع تمكنت من تدمير دبابة، ٢ عربة ٢/١ جنزير، ١٨ فردًا بين قتيل وجريح، واستشهد من قواتنا جنديان.

ح) أعمال قتال قواتنا البحرية

- ليلة ٨-٩/١١/١٩٦٩ قامت قواتنا البحرية بقوة ٢ مدمرة مسلحة بمدافع ١٣٠ مم بعملية قصف بالنيران الثقيلة على مواقع العدو في رمانة وبالوظة وشرق بورفؤاد وأحدثت بها خسائر جسيمة، وانسحبت تحت ضغط طيران العدو، وعادت وحداتنا البحرية إلى قواعدها بسلام.

- ليلة ١٥-١٦/١١/١٩٦٩ قامت قوة صاعقة بحرية وضفادع بشرية بالعمل ضد ناقلات البترول والإنزال الإسرائيلية في مدخل ميناء «إيلات» بهدف الاستطلاع الميداني لأهداف الميناء.

ط) زيادة حجم وقوة الكمائن لقواتنا

- ليلة ٢٧-٢٨/١١/١٩٦٩ قامت مجموعة خاصة من قواتنا منقولة بالهليكوبتر عبر خليج السويس بتلغيم ونسف طريق الطور-شرم الشيخ ونفذت مهمتها بنجاح.

- ليلة ٢٩-٣٠/١١/١٩٦٩ أغارت قواتنا بقوة ٨٦ فردًا ضد موقع حصين شمال الشط قطاع الجيش الثالث، وأدت مهمتها بنجاح بعد إصابة ٧٠ فردًا من العدو، ٣ دبابات، ٢ مدفع داخل الدشم.

ي) عملية شمال وجنوب جزيرة البلاح

- يوما ٦ و٧/١٢/١٩٦٩: إغارة مشتركة بعناصر من كتيبة من الفرقة ١٦ شمال البلاح وعناصر من كتيبة جنوب البلاح قطاع الجيش الثاني بدأت الهجوم سعت ٩١٥ يوم ٦/١٢ واحتلت مواقعها على الضفة الشرقية للقناة ودمرت النقاط القوية ونسفت منطقة شؤون إدارية للعدو وعادت سعت ١٨٠٠ يوم ٧/١٢، وطلب مني قائد الجيش الإبقاء على القوة شرق القناة ولكنني رفضت بقاءها.

ك) عملية رادار خليج السويس

ليلة ٢٣-٢٤/١٢/١٩٦٩ هاجمت قوة سرية مظلات محمولة في هليكوبتر للعدو محطة رادار ب ١٢، ودمرت جميع أفرادها، وتمكنت من نقل باقي الجهاز بواسطة طائرتي هليكوبتر إلى قاعدتها في إسرائيل.

وكانت مرحلة المواجهة بمراحلها الثلاث كلها عدا ما ذكر من اشتباكات ودوريات قتال وقصف مدفعي وكمائن من قواتنا ضد مواقع العدو قد تمت تغطيتها باشتباكات بالأسلحة الصغيرة ومدفعية الميدان ومدفعية الدبابات للدرجة التي أرهقت العدو شرق القناة وجعلته يعيد تحصين النقاط القوية في خط بارليف مرتين خلال هذه المرحلة.

كذلك فقد اضطر العدو تحت ضغط الرأي العام الإسرائيلي وخسائر الأفراد والمعدات أن يقصر مدة الخدمة على الخط الأمامي لدفاعاته بجعلها شهرًا واحدًا بدلًا من ثلاثة أشهر، وأن يغطي العجز الناشئ من المواجهة الشرسة للمصريين المقاتلين بما أسماه العمل الجوي في السماء المفتوحة، أي ضد أهداف حيوية اقتصادية في العمق المصري باستخدام سلاحه الجوي تعويضًا عن عجز الأسلحة الأرضية في مواجهة القوات المصرية التي تجرأت ونجحت في العبور بقوات وصلت إلى حجم سرية بهدف قتل الإسرائيليين أينما وجدوا شرق القناة. ونتج عن ذلك أن شعرت إسرائيل أن مصر نجحت في تصدير الخوف إلى قلوب جنودها، واقتنع كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بأن الجندي المصري في جبهة القتال قادر على تعديل موازين القوة وتحرير الأرض بالقوة.

٣ - عمليات مرحلة التحدي والردع

بدأت هذه المرحلة بتصعيد الغارات الإسرائيلية داخل العمق المصري بضرب الأهداف الاقتصادية والمدنية عملًا على تحقيق هدفين، يتمثل أولهما في إحداث أكبر تأثير نفسي ممكن على القيادة السياسية وإجبارها على وقف حرب الاستنزاف. أما الهدف الثاني فكان يتمثل في محاولة التعرف على مفردات وتفاصيل الدعم السوفيتي الجديد لمصر. وتنفيذًا لهذا الهدف الأخير قامت إسرائيل بإرسال طائرة استطلاع إلكتروني على متنها اثنا عشر خبيرًا وفنيًّا في التصوير الإلكتروني للقيام بمسح معدات وتجهيزات قناة السويس، لكن وسائل الدفاع الجوي اليقظة تمكنت من إسقاطها يوم ٣٠/١/١٩٧٠. أما بالنسبة لاستهداف العمق والذي بدأ يوم ٧/١/١٩٧٠ واستمر على مدى مائة يوم فقد توقف يوم ١٨/٤/١٩٧٠ بعد أن شعرت إسرائيل بالتواجد السوفيتي الكثيف في مسرح العمليات.

وكانت نتائج هذه الغارات على غير ما توقعت إسرائيل والولايات المتحدة حيث أظهر الشعب المصري قدرًا أكبر من الصمود والاستعداد للبذل والتضحية كما زاد من التفافه حول قيادته السياسية في تصميم على ضرورة طرد الإسرائيليين بالقوة، وزادت كراهيته للأمريكيين وأسلحتهم الجديدة التي تستخدمها إسرائيل لضرب المدنيين في مصر، ومن ثم فقد أدركت واشنطن أن الخطوة التالية لا بد أن تكون تحرك الشعوب العربية للإضرار بالمصالح الأمريكية في المنطقة.

أما في الجبهة فقد ركزت الطائرات الإسرائيلية على ضرب مواقع الصواريخ تحت الإنشاء بهدف إفشال خطة التمركز والانتشار لشبكة الدفاع الجوي غرب القناة.

أ) معركة شدوان

في ٢٢/١/١٩٧٠ هاجم العدو بقوة كتيبة صاعقة محمولة بطائرات هليكوبتر جزيرة شدوان، وكانت محتلة بقوة سرية مدعمة، ولكن مدفعية منطقة البحر الأحمر جميعها تصدت لها وأجبرتها على العودة حاملة جرحاها وقتلاها، ولو أنها أخذت ٦ أسرى من قواتنا ودمرت بالطائرات لنشين طوربيد. وفشل العدو في احتلال جزيرة شدوان. واعتبرت محافظة البحر الأحمر هذا التاريخ عيدًا لها تحتفل به سنويًّا.

- ٢٤/١/١٩٧٠: هجوم جوي لقواتنا الجوية بعدد ٢ طائرة على معسكر العدو بالعريش ردًّا على عملية شدوان.

- ٢٧/١/١٩٧٠: كمين من الكتيبة ١٨ ميكانيكي/ الفرقة ٢١ مدرعة، تمكن من تدمير عربة لوري للعدو بها ٦ أفراد قتلوا جميعًا.

- ٢/٢/١٩٧٠: إبرار بحري لقوة من الصاعقة الخاصة ضد مطار الطور، وتمكنت من بث ألغام زمنية على طريق الطور-رأس محمد.

- ٥/٢/١٩٧٠: دفعت الكتيبة ٨٣ صاعقة بمنطقة التينة بكمين إلى شرق القناة تمكن من تدمير رتل مكون من دبابة، ٢ عربة ٢/١ جنزير وعربة جيب، وقتل جميع أفرادها.

ب) العملية شعير (نسبة إلى اسم قائد اللواء)

في ليلة ٦/٢/١٩٧٠ جرت أولى العمليات الليلية الناجحة في مرحلة تصاعد العمليات الحربية على موقع العدو الحصين شمال جزيرة البلاح المحاط بالأسلاك الشائكة والألغام. انسحب العدو من الموقع لعدم تحمله قصف الهاونات والمدفعية المساندة لقوة السرية المهاجمة. وقام فردان من القوة بإلقاء جسميهما على السلك الشائك والألغام الأرضية لفتح الطريق لباقي القوة لاقتحام الموقع. وبشرت هذه العملية الليلية بإمكانية اقتحام باقي المواقع المحصنة للعدو.

ج) عملية ضفادع بشرية ضد ميناء «إيلات»

- في ٦/٢/١٩٧٠ قامت مجموعتا عمليات بحرية من الضفادع البشرية بعملية هجومية جريئة ضد السفينة الإسرائيلية «بات يام» وسفينة الإنزال البحري «بيت شيفع» وتمكنت قواتنا من تدمير الأولى وإغراقها وأصابت الثانية إصابة قاتلة، ولكن قائدها أمكنه شحطها على البر قبل أن تغرق. وقد أزعجت نتائجها المادية والمعنوية المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي قامت بعزل قائد الميناء وتغيير أفراد الحراسة.

- ١١/٢/١٩٧٠: تم دفع كمين لقواتنا في اتجاه منطقة شمال وشرق الشط بقوة ٣٠ فردًا تمكنوا من تدمير دبابة، و٣ عربات وقتل وإصابة ١٨ فردًا وأسرت فردين. حاول احتياطي العدو التدخل فقامت مدفعية الفرقة ١٩ مشاة بتأمين ارتداد قوة الكمين سالمة إلى قواعدها.

- ٨/٣/١٩٧٠: قامت قوة من الوحدات الخاصة البحرية بعملية جريئة ضد الحفار «كينتنج» الإسرائيلي في ساحل العاج كان مؤجرًا لإسرائيل للقيام بأعمال حفر لاستخراج البترول من حقول أبو رديس على الساحل الشرقي لخليج السويس. دمرت القوة الحفار وعادت بسلام إلى الوطن، وقد تم تنسيق العملية مع إدارة المخابرات العامة.

- يوم ٢٥/٣/١٩٧٠ قامت قواتنا بدفع كمين شمال شرق الدفرسوار من اللواء ١١٧ مشاة واشتبك مع دورية للعدو وأحدث خسائر بها. ثم قامت مدفعيتنا بالميدان بالضرب المباشر لمنع العدو من نجدة الدورية، في تعاون مشترك بين المدفعية والمشاة.

- ٨/٤/١٩٧٠ هاجم طيران العدو مدرسة بحر البقر بالشرقية حيث استشهد ٣٠ طفلًا وطفلة فيها.

- ٢٣/٤/١٩٧٠: قامت طائراتنا القاذفة-المقاتلة بهجوم على مستعمرة «ناحال يام» شمال سيناء على بعد ١٠٠ كيلو من قناة السويس.

- ٢٥/٤/١٩٧٠: هاجمت طائراتنا القاذفة أهدافًا في عمق سيناء.

- ٢٦/٤/١٩٧٠: نفذت الكتيبة ١١٣ صاعقة كمينًا نهاريًّا بمنطقة كم ١٦ جنوب بورفؤاد، واشتبكت مع دورية للعدو وأصابت ثلاث دبابات وعربتين ٢/١ جنزير،

وقضت على ٢٦ فردًا بين قتيل وجريح.

- ٢٨/٤/١٩٧٠: استكمال تنفيذ الخطة هدير بالضرب المباشر بواسطة مدافع الدبابات ١٢٢ مم على طول المواجهة. ونجحت الخطة في تدمير ٦٠٪ من دشم العدو على طول المواجهة.

- ٢٨/٤/١٩٧٠: أغارت الطائرات المصرية ودمرت المواقع الإسرائيلية في منطقة سيناء في سادس هجوم جوي كبير يقوم به سلاح الجو المصري خلال ١١ يومًا.

- ٢٩/٤/١٩٧٠: قام اللواء الخامس مشاة بتنفيذ كمين نهاري بقوة مجموعة فصيلة مدعمة في منطقة شمال الشط تعاونه مدفعية فرقة ١٩، كما اشتبك مع دورية معادية دمر منها ثلاث عربات مدرعة وعربة لوري، ٢٠ فردًا بين قتيل وجريح.

- ٢٩/٤/١٩٧٠: إغارة لقواتنا بقوة سرية من لواء ١٣٤ مشاة شمال شرق البلاح قطاع الجيش الثاني أسفرت عن تدمير دبابة للعدو وعربة مدرعة.

- ١/٥/١٩٧٠: نجح لنش صواريخ من البحرية المصرية في تدمير سفينة أبحاث إسرائيلية في عرض البحر الأبيض المتوسط.

- ليلة ٣٠/٤-١/٥/١٩٧٠ قام اللواء ١١٧ مشاة بدفع سرية مدعمة شرق منطقة الإسماعيلية، حنيدق، وتمكنت من تدمير دبابة وعربة ٢/١ جنزير للعدو. وأسرت الضابط الإسرائيلي «دان أفيدان» بعد إصابته، ونجحت في نقله إلى الضفة الغربية حيث سلمته إلى المخابرات الحربية.

- ٢/٥/١٩٧٠: قامت مجموعة قتال من قواتنا الخاصة بالتعاون مع القوات البحرية بإبرار طاقم صواريخ مضادة للدبابات وقصفت مطار الطور من خلال عملية إبرار بحري ناجحة على الشاطئ الشرقي لخليج السويس.

- ١٤/٥/١٩٧٠: نجحت قوة ضفادع بشرية من البحرية المصرية في تدمير ميناء «إيلات» الإسرائيلي.

- ١٨-١٩/٥/١٩٧٠: تمكن اللواء الخامس مشاة من الفرقة ١٩ من دفع كمين بقوة سرية مدعمة شرق كم ١٣٩ ترقيم قناة ونجح في تدمير ثلاث دبابات وثلاث عربات مدرعة و ٢/١ جنزير للعدو، بالإضافة إلى قتل وجرح عشرة أفراد من العدو.

د) السبت الحزين

في ٣٠/٥/١٩٧٠ اشتركت مجموعة قتال من اللواء ١٣٥ مشاة في رأس العش ومجموعة قتال من الكتيبة ٨٣ صاعقة في جسر الحرش في تمركز عدد ٢ كمين مدعم بمدافع مضادة للدبابات وأيدتا عمليات الكمائن من الضفة الغربية، وانتظرتا عودة رتل من عربات تموين العدو، حيث اشتبكت معها المجموعة الأولى ودمرت الجزء الأكبر منها. وعند محاولة إنقاذها قابلتها بالكمين الثاني الذي تمكن من تدمير ثلاث دبابات وعربتين ٢/١ جنزير و٣٥ فردًا قتلى من العدو. وقد أطلق العدو على هذا اليوم اسم «السبت الحزين»، وكانت قواتنا قد جهزت هذه العملية الجريئة وتم

استطلاع حركات العدو شرق القناة لمدة شهر، ولهذا كان نجاح العملية ١٠٠٪، وخلالها تم أسر عدد ٣ من أفراد مظلات العدو استسلم الأول والثاني لقواتنا وتسلمته القيادة المصرية، أما الأسير الثالث فقد مات متأثرًا بجراحه.

ومنذ أول ضوء يوم أول يونيو ١٩٧٠ حولت القوات الجوية الإسرائيلية المنطقة من بورسعيد إلى القنطرة إلى جحيم من النيران والقنابل ألف رطل والحارقة في إغارات مستمرة نهارًا وليلًا لم نشهد مثلها من قبل. امتد القصف الجوي إلى مواقع الجيوش الميدانية لأكثر من ٢٠٠ طلعة طائرة قاذفة وقاذفة-مقاتلة في اليوم الواحد. وقد تعرض موقع للمدفعية المضادة للطائرات عيار ١٠٠ مم في القنطرة غرب لقصف جوي مركز: ألقيت عليه ٨٠ قنبلة ما بين ألف رطل وخمسمائة رطل. وكانت خسائرنا قتيلًا واحدًا فقط كان يسير على الأسفلت ليلحق بسيارة لنقله إلى قطار الإجازات في الصالحية.

وفي الليلة التالية ولمدة ٤ ساعات متواصلة تعرضت جزيرة البلاح لقصف جوي من ١٢ قاذفة قنابل استخدمت قنابل ١٠٠٠ رطل وقنابل مسامير تنفجر في الجو وقنابل نابالم وكانت خسائرنا حرق يد جندي واحد فقط حاول إطفاء النيران المشتعلة في شبكة دبابته. (نشرت جريدة «الأهرام» في يونيو ١٩٧٠ أن مراسلها شاهد منطقة القصف الجوي ووصف الموقف بقوله كأنه سطح القمر المملوء بالعديد من حفر القنابل متعددة الأنواع ومنها ما فجر ينابيع مياه جوفية).

- ١١/٦/١٩٧٠: قام العدو بإغارة في منطقة جنوب التينة بقوة حوالي ١٠٠ فرد تحت ستر طلعات طيران معادٍ ونيران مدفعية. ونجحت بعض عناصره في الوصول إلى الضفة الغربية، حيث وقع قتال متلاحم مع قواتنا خسر العدو فيها جميع من وصل إلى الضفة الغربية بالإضافة إلى تدمير ٢ عربة ٢/١ جنزير بأفرادها وانسحبت قوة الإغارة قبل أول ضوء.

- ٣٠/٦/١٩٧٠: بدء أسبوع تساقط الطائرات المعادية بواسطة شبكة الدفاع الجوي غرب القناة وتفصيلاته مدونة في فصل الدفاع الجوي.

هـ) حصر الخسائر

بعد أن تم وقف إطلاق النار المؤقت في ٨/٨/١٩٧٠ أمكنني حصر خسائر قواتنا وقوات العدو خلال مراحل حرب الاستنزاف التي استغرقت ثلاث سنوات متصلة كما أمكنني تجميع مناسبات وأعداد أسرى العدو الناشئة عن قتال قوات الجيشين الثاني والثالث والوحدات الخاصة الملحقة بهما لتكون طبقًا للبيان التالي:

١ - بيان أسرى الجيوش الميدانية

بالرغم من أن العمليات الهجومية لتشكيلات الجيشين الثاني والثالث على مواجهة قناة السويس اقتصرت على أعمال الكمائن ودوريات القتال ودوريات الاستطلاع والعمل خلف خطوط العدو فإن قواتنا وهي في مواقعها الدفاعية تمكنت من قتال العدو في معارك ثابتة، ولكنها شرسة كان الغرض منها إقناعه بأن بقاءه في سيناء لن يكون سهلًا.

٢ - أسرى الجيش الثاني الميداني

- في ٢٦/٨/١٩٦٨ نجحت مجموعة من قوات الصاعقة الملحقة على الجيش الثاني في الحصول على أسير إسرائيلي خلال عملية ناجحة في شرق جبل مريم، قطاع الإسماعيلية، نقلته إلى الإسماعيلية حيث توفي في مستشفاها.

- في ١/٥/١٩٧٠، يوم عيد العمال، تمكن كمين من سرية استطلاع لواء ١١٧ مشاة، مكون من اثنين ضباط وثلاثة صف ضباط، من وضع ألغام على الطريق في الجانب الشرقي للقناة. اصطدمت به عربة قيادة إسرائيلية بها ضابط اسمه «دان أفيدان»، وقد أصيب في فخذه وعند أسره قال «أنا ضابط إداري وماليش دعوة بالقتال» وتمكنت القوة من نقله إلى الضفة الغربية، وتم تسليمه إلى إدارة المخابرات الحربية.

- في ليلة ٢٩-٣٠/٥/١٩٧٠، «يوم السبت الحزين في إسرائيل»، تمكنت عناصر من اللواء ١٣٥ مشاة وعناصر من الكتيبة ٨٣ صاعقة من عمل كمائن في الجانب الشرقي للقناة في منطقة رقبة الوزة، حيث اشتبكت الأولى مع فريق تموين إسرائيلي، واشتبكت الثانية مع قوة إنقاذ إسرائيلية حضرت لإنقاذ الأولى، وتم أسر عدد ٢ رقيب مظلات تمت إعادتهما إلى الضفة الغربية وتسليمهما إلى قيادة الجيش الثاني الميداني.

٣ - الجيش الثالث الميداني

- في ٤/٧/١٩٦٧ دفع الجيش الثالث قوة تدمير من أفراد الصاعقة إلى مكان مخزن وتشوين ذخيرة القوات المصرية التي تركت مكدسة شرق قناة السويس، منطقة الكرنتينا - نجحت القوة في تدمير ١٤ ألف طن ذخيرة وتمكنت من أسر جندي إسرائيلي توفي إثر إصابته.

- ١٣-١٤/٣/١٩٦٩: كمين من عناصر الكتيبة ٣٣ صاعقة الملحقة على الجيش الثالث، واعترضت خط سير رتل من عربات العدو جنوب البحيرات وتمكنت من أسر جندي إسرائيلي توفي بعد نقله إلى الضفة الغربية.

- في ليلة ٢١-٢٢/٤/١٩٦٩ تمكن كمين من قوة الصاعقة مكون من ٣ ضباط و ٣٠ فردًا من القضاء على دشمة للعدو جنوب البحيرات على الشاطئ الشرقي للقناة، وأسر جنديًّا إسرائيليًّا.

- ليلة ٩-١٠/٦/١٩٦٩ تمكنت قوة من الكتيبة ٤٣ صاعقة من الحصول على أسير إسرائيلي في عملية لسان بورتوفيق الأولى بالإضافة إلى قتل وجرح ٣٠ فردًا من العدو.

- ليلة ١٠-١١/٧/١٩٦٩ تمكنت الكتيبة ٤٣ صاعقة من الحصول على أسير من العدو في عملية لسان بورتوفيق الثانية بعد أن قتلت وجرحت ٣٥ فردًا من العدو.

- ليلة ٤-٥/١١/١٩٦٩ نجحت عناصر من قوة الصاعقة قطاع اللواء الخامس مشاة في عمل كمين قوي ضد عربات العدو شرق قناة السويس، قطاع الشط، وتمكنت

من أسر جندي إسرائيلي بعد أن قتل وأصاب عددًا من أفراده.

- ١١/٢/١٩٧٠: كمين نهاري بعدد ٣٠ فردًا تمكن من إيقاع رتل من عربات العدو، وقتل وأصاب ١٨ فردًا إضافة إلى أسر عدد ٢ من أفراد العدو.

رابعًا: مرحلة الاستعداد القتالي للعمليات الهجومية: مشروع العملية جرانيت

١ - الإمدادات السوفيتية

سافر الرئيس عبد الناصر يوم ٢٩/٦/١٩٧٠ في رحلته الأخيرة إلى موسكو يرافقه السادة علي صبري ومحمود رياض والفريق أول محمد فوزي، بهدف استكمال نظام الدفاع الجوي بشبكة أجهزة إلكترونية وأجهزة التوجيه والتنسيق بين لواءات الصواريخ سام، عملًا على رفع كفاءتها القتالية وموازنة امتلاك العدو لهذه الأنظمة. واستجاب الاتحاد السوفيتي ووصلت وحدات كاملة من الأجهزة المطلوبة ومعها أطقم سوفيتية تمركزت حول القاهرة. وبدأ تدريب عناصرنا من أفراد الدفاع الجوي عليها، ثم جرى نقلها بعد ذلك مع أطقم مصرية إلى منطقة القناة. وأنشئت أول غرفة عمليات لهذه الشبكة الإلكترونية في أبي صوير واستفادت منها قوات الفرقة الثانية دفاع جوي، وتشكيلات القوات الجوية في القواعد الأمامية، ووحدات الاستطلاع الجوي والبحري، وقد شعر العدو بها نتيجة الإعاقة في مواصلاته اللاسلكية ورادراته.

وبعد نقل هذه الشبكة إلى منطقة القناة قام الاتحاد السوفيتي بتوريد شبكة أخرى للمنطقة المركزية (القاهرة)، كما وافق الاتحاد السوفيتي خلال الزيارة المشار إليها على تلبية احتياجات القوات المسلحة التي سبق أن أعددتُها مع هيئة العمليات والأفرع الرئيسية في إطار الاستعداد للعمليات الهجومية وكانت تشمل ما يلي:

١ - معدات العبور والكباري (تقرر أن تصل إلى مصر في غضون شهر).

٢ - توريد الكميات المطلوبة من الذخيرة بأنواعها المختلفة وخاصة الصواريخ المضادة للطائرات والمضادة للدبابات.

٣ - نظم استخدام الطائرة UT16S في العمليات الحربية والتي صدَّق الكرملين على التنسيق بيني وبين المارشال «جريشكو» على انتقاء الأهداف الحيوية المناسبة لهذه الطائرة في إسرائيل حيث كانت مزودة بصاروخ يشبه في وزنه وشكله الطائرة الميج ١٥. واشترطت القيادة السوفيتية تجهيز مطار لإيواء هذا اللواء الجوي الاستراتيجي ليكون بعيدًا عن متناول الطيران المعادي، فتم تجهيز مطار وادي سيدنا، شمال الخرطوم بحوالي ٣٧ كم، بعد الاتفاق مع زميلي وزير الدفاع السوداني، وتجهيز مطار أسوان كمركز لعمليات اللواء مع استخدام مطار دراو كبديل لمطار أسوان.

٤ - صدَّق الكرملين على القيام بواجب الاستطلاع التعبوي والاستراتيجي لقواتنا المسلحة، وذلك بإمدادنا بعدد ٢ لواء استطلاع جوي يضم طائرات ت ي ١٦ مزودة بكاميرات وأجهزة استطلاع إلكتروني، وقد تمركز أحدهما في مرسى مطروح

والآخر في مطار أسوان، إضافة إلى سرب ميج ٢٩ للاستطلاع التعبوي والاستراتيجي من ارتفاعات شاهقة تمركز في مطار غرب القاهرة.

وكان إلقاء مهمة الاستطلاع التعبوي والاستراتيجي على الاتحاد السوفيتي خطوة مهمة جدًّا حيث أصبح في الإمكان استلام صور فوتوغرافية من هذين اللواءين بصفة دائمة عن مسرح العمليات في البحر الأبيض والبحر الأحمر، وقام اللواء ميج ٢٩ بإمدادنا بالصور الجوية لسيناء وعمق إسرائيل.

٥ - إمدادنا بلواء سام ٦ بأطقمه وأجهزته السوفيتية للدفاع ضد الطيران المنخفض عن السد العالي وخزان أسوان.

وبإتمام هذه الصفقة، التي صدقت القيادة السوفيتية على اعتبارها بمثابة إعارة على سبيل الأمانة تفاديًا لتحمل تكاليفها المالية، أصبح التسليح والمعدات والتجهيزات العسكرية كاملة طبقًا للتخطيط الاستراتيجي المصدق عليه منذ ١٩٦٧ بشأن إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة، كما اكتمل أيضًا إنجاز المهمة الثانية المتعلقة بإعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات للحرب. أما استكمال المهمة الثالثة الخاصة برفع الكفاءة القتالية لتشكيلات القوات الجوية والانتقال بها من مرحلة المواجهة إلى مرحلة الاستعداد للعمليات الهجومية فقد بدأت بعد عودة الرئيس جمال عبد الناصر من موسكو ووصول المعدات التي تم طلبها.

٢ - الإعداد السياسي للمعركة

عاد الوفد المصري برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر إلى القاهرة يوم ٤/٧/١٩٧٠ حاملًا معه موافقة الكرملين على المشروع الأمريكي الخاص بوقف إطلاق النار، وعلى جميع مطالب القوات المسلحة في كافة الأفرع. وبدأ الرئيس فور وصوله في سلسلة من الاجتماعات استهدفت إشراك المؤسسات الدستورية والشعبية في قرار الحرب والسلام. فاجتمع باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربي (التنظيم السياسي الوحيد)، وأحاطهم بنتائج زيارته للاتحاد السوفيتي، كما أعلن في المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي، الذي عقد اجتماعه السنوي في ١٩/٧/١٩٧٠، قبول مصر للمبادرة الأمريكية من أجل اعتبارات عسكرية، وباعتبار فترة وقف إطلاق النار المؤقت - وهي ٩٠ يومًا - هي فترة الإعداد النهائي لمعركة تحرير الأرض. وفتح باب المناقشة أمام جميع المشاركين، ثم ألقى خطابًا في ٢٢/٧/١٩٧٠ شرح فيه رؤيته للموقف السياسي والموقف العسكري ذكر فيه ما يلي:

لقد أصبح واضحًا أمامنا الآن جميعًا وبغير استثناء ومهما كان من أمر تنوع اجتهاداتنا السابقة، أنه لم يعد هناك بديل عن خوض المعركة. لقد تركنا الأبواب مفتوحة لكل محاولات الحل السلمي ولم نضع غير الشروط التي تضعها حقوق الكرامة الوطنية بل وحقوق الأمن الوطني والقومي في أبسط صورهما. ولكن ذلك كله وحتى هذه اللحظة كان جهدًا ضائعًا، والنتيجة المحققة التي يجب أن نستخلصها بأنفسنا من ذلك أنه لم يعد هناك طريق للخروج مما نحن فيه الآن إلا أن نشق طريقنا نحو ما نريده عنوة وبالقوة فوق بحر من الدم وتحت أفق مشتعل من النار. ومهما

بدت هذه النتيجة قاسية بما تحمله معها من تكاليف وتضحيات، فإننا لا نجد أمامنا غير ذلك بديلًا لنصون الشرف والحياة والمستقبل جميعًا. إن كل الذين كانوا يعتقدون في إمكانية حل سلمي لم يعد أمامهم الآن ما يقولونه غير إعادة تكرار وجهة النظر الأخرى القائلة منذ البداية [إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة].

وكان رأي الرئيس عبد الناصر وهو يوافق على مبادرة «روجرز» في أغسطس ١٩٧٠ أن الأمل في استجابة إسرائيل للحل السلمي الذي كانت تعنيه هذه المبادرة هي ٢/١٪ فقط. وكان توقيت معركة التحرير الذي قدره عبد الناصر هو ربيع عام ١٩٧١ حيث سيكون ميزان القوى بين القوات المصرية والسورية المتحالفة معنا في صالحنا حتى أواخر عام ١٩٧١، أما تأجيل المعركة عن هذا التاريخ فقد يواجه بانقلاب في ميزان القوى ليصبح في صالح إسرائيل.

ولم يكن هناك وضوح في الرؤية السياسية والعسكرية أكثر مما أوضحه خطاب الرئيس عبد الناصر أمام المؤتمر العام الاشتراكي يوم ٢٢/٧/١٩٧٠ والذي دلل على ما يلي:

أ) التصميم على بلوغ الهدف السياسي والقومي في تحرير الأراضي العربية بالقوة. وتحولت هذه الرؤية السياسية إلى توجيه للقوات المسلحة المصرية والسورية للتخطيط الجدي للقيام بعمليات هجومية ضد إسرائيل، وبدأت أستخرج الأهداف التعبوية والتكتيكية من جوهر العملية جرانيت الهجومية بعد هذا التاريخ، وتكثيف التدريب العملي على تحقيقها بالتعاون مع القوات السورية.

ب) إن القوات المسلحة المصرية قد اكتمل تسليحها وانتهت من إعداد تشكيلاتها، كما أتمت الدولة والشعب ومسرح العمليات ما هو مطلوب في خطة الإعداد، وارتفعت الكفاءة والقدرة القتالية للتشكيلات الميدانية في جميع أفرع القوات المسلحة الرئيسية والإدارية والفنية. ولم يبق أمام الرئيس بعد هذا الخطاب سوى إصدار قرار الاستعداد للمعركة وإتمامها في التوقيت السابق تخطيطه وهو ربيع عام ١٩٧١.

ج) رفض عبد الناصر للمناورات الإسرائيلية-الأمريكية التي اتهمت مصر بخرق وقف إطلاق النار الذي بدأ في ٨/٨/١٩٧٠، واتخاذها مبررًا لتقديم دفعة جديدة من طائرات الفانتوم الأمريكية لتعويض الخسائر الإسرائيلية، مما دعا الرئيس جمال عبد الناصر إلى الموافقة على دفع باقي شبكة الصواريخ سام ٣ (حوالي ١٨ كتيبة) إلى الشاطئ الغربي لقناة السويس، وأسفر ذلك عن استكمال الشبكة بالكامل ووفر الحماية المطلوبة للهجوم البري المنتظر.

وكان الرئيس عبد الناصر قد طلب استعراضًا أخيرًا للمخطط أثناء إجازة قصيرة قضاها في مرسى مطروح في منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠، وقد رافقتُه ومعي خرائط وقرارات الخطة الهجومية جرانيت، وبعد مناقشة قصيرة شملت استعراضًا للموقفين السياسي والعسكري صدَّق الرئيس جمال عبد الناصر على الاستعداد لتنفيذ المرحلة الأولى من الخطة مؤقتًا، وهي المرحلة التي تشمل عبور القوات لقناة السويس، وتأمين العبور ثم الاندفاع فورًا نحو المضايق الاستراتيجية في اليوم

التالي لنجاح العبور ثم تأمين المضايق تأمينًا كاملًا. وبعد عودتنا للقاهرة قاطعًا إجازته - بسبب أحداث أيلول الأسود بين المقاومة الفلسطينية والأردن - أخطر الرئيس عبد الناصر الزميل محمود رياض بشأن هذا التصديق النهائي لمعركة التحرير.

٣ - الاستعداد للتدريب على الخطة الهجومية جرانيت

كان خطاب الرئيس عبد الناصر في ٢٢/٧/١٩٧٠ أمام المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكي علامة مضيئة لي كي أبدأ الاستعداد لتنفيذ مشروع الخطة الهجومية جرانيت. وكان الرئيس قد وافق على اتفاقية وقف إطلاق النار المؤقت لمدة ٩٠ يومًا، وكان الخطاب رؤية واضحة لحتمية القتال ضد إسرائيل بعد أن استنفد كل وسائل الحلول السلمية. كما كانت رؤيته لمشروع «روجرز» لوقف إطلاق النار تقيده مرحليًّا، وبالرغم من أن المشروع أصلًا هو مبادرة من الولايات المتحدة بهدف الوصول إلى حل سلمي، فإن ثقة الرئيس في أمريكا كانت معروفة، وإن الموافقة على المشروع كانت أسلوبًا تكتيكيًّا بهدف منح القوات المسلحة المصرية الفرصة في الإعداد للمعركة الهجومية الشاملة وإتمام التنسيق الأخير مع سوريا، وأخيرًا لإعطاء الفرصة لضبط شبكة الدفاع الجوي الصاروخي غرب القناة مباشرة. وكانت هذه الشبكة قد زحفت إلى الشرق على ثلاث وثبات لتكون ملاصقة للشاطئ الغربي لقناة السويس.

وبدأ التدريب على تطبيق جوهر الخطة جرانيت دون أن أكشف اسمها أو توقيتها للقوات، كذا لم أبلغ هيئة العمليات بها حتى إتمام التدريب العملي التعبوي والاستراتيجي عليها كاختبار عملي لصحة تطبيقها.

وبدأ التدريب بعد إذاعة خطاب الرئيس مباشرة على مستوى اللواءات ثم الفرق ثم الجيوش، تمهيدًا لعمل تدريب مشترك بالأسلحة المشتركة مع إشراك القوات الجوية والدفاع الجوي والبحرية والوحدات الخاصة في هذا المشروع.

وكانت إدارة المخابرات الحربية والمستشارون السوفييت حكامًا على القيادة في جميع المشروعات.

ولما كان آخر قرار للرئيس عبد الناصر هو تنفيذ المرحلة الأولى في الخطة جرانيت أولًا، والذي أصدره لي في مرسى مطروح وهو يستعرض آخر موقف سياسي وعسكري في منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠، ركزت اهتمامي ومباشرتي لهذه التدريبات على المستوى التعبوي والاستراتيجي. وكان اقتناعي كاملًا أن وصول قواتنا إلى المضايق الاستراتيجية والتمسك بها وتأمينها ينهي الصراع العربي-الإسرائيلي كلية، إذ إن إسرائيل لا يمكنها أن تقاتل المصريين على جبهة طولها ١٧٠ كم دون أن يكون هناك مانع طبيعي يفصل بين القوتين. إن قدرات إسرائيل العسكرية لا يمكنها مواجهة مثل هذا الموقف خاصة لو صممت على استمرار القتال وقواتنا مرتكزة على هذه المضايق الاستراتيجية في سيناء، بينما القوات الإسرائيلية مكشوفة وليس لها قواعد ثابتة خلف قواتها وخطوط مواصلاتها لقاعدتها في إسرائيل طويلة ومكشوفة.

وكان توقيت ٧/١١/١٩٧٠ هو المستهدف لاستعداد قواتنا المسلحة لإتمام معركة تحرير الأرض، وهو توقيت انتهاء فترة وقف إطلاق النار المؤقت. ولكن قدر الشعب المصري وقواته المسلحة لم يمكنهما من تحقيق هذا الأمل الكبير، إذ إن هذا التوقيت بالذات كان هو ذكرى الأربعين لرحيل القائد والزعيم جمال عبد الناصر.

وفي الملحق ٣ المرفق العملية جرانيت وتعليق إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع عليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السادس

اجتماعات القائد الأعلى بقادة القوات المسلحة

أهداف ومضمون الاجتماعات

كانت اجتماعات الرئيس عبد الناصر بالقادة أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة تعقد شهريًّا، تنفيذًا للقانون رقم ٤ لسنة ١٩٦٨، ويحضرها وزير الحربية، ورئيس الأركان، وقادة الأفرع الرئيسية، وقادة الجيوش الميدانية، ورؤساء الهيئات والمديرون في القيادة العامة للقوات المسلحة. واعتبرت هذه الاجتماعات تقليدًا جديدًا استحدث لأول مرة بعد معركة يونيو ١٩٦٧، وقد وسع الرئيس المشاركة فيها حتى مستوى قادة الكتائب، وخاصة كتائب الصواريخ والأسراب المقاتلة. وبلغت هذه الاجتماعات ١٦ اجتماعًا في الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠، فإذا أضيف إليها اللقاءات العامة التي عقدها الرئيس مع الضباط والجنود والزيارات الميدانية للجبهة وحضور المشروعات التعبوية للتشكيلات الميدانية - مشاة، ميكانيكي، مدرعات - فيمكن القول إنها قد حققت المهمة القيادية السياسية والعسكرية المنوطة بالقائد الأعلى للقوات المسلحة.

ويمكن تقسيم اجتماعات الرئيس بالقادة والمختصين إلى ثلاثة أقسام رئيسية.

في القسم الأول كان المحور الرئيسي الذي شغل اهتمام الرئيس، وحرص على توصيله لكل القادة والمسؤولين على المستويات المختلفة في القوات المسلحة، يتمثل في ضرورة معرفة العدو وأهدافه ونواياه العدوانية التي تتركز على احتواء العالم العربي كله اعتمادًا على المساندة الأمريكية الكاملة، وما يجب على هؤلاء القادة الإلمام به من معلومات تقتضيها المواجهة الحتمية لإسرائيل.

وكان أمن القوات وانتشارها وتعميق فاعليتها واستعدادها للعمل ضد العدو، وتصدير الخوف إلى جنوده ورفع القدرات العسكرية للمقاتل المصري من خلال المواجهة المباشرة، أحد الأمور الحيوية التي جرى التركيز عليها والعمل الدؤوب والمكثف ليل نهار لتنفيذه سواء بالنسبة للقناصة أو دوريات الاستطلاع خلف خطوط العدو أو دوريات القتال الجريئة التي تصل إلى خنادقه ودشمه المحصنة والحصول على أسرى أحياء أو قتلى لإرهابه وإشعاره بأن بقاءه في سيناء سوف يفرض عليه دفع الثمن في شكل استنزاف مستمر لأفراده ومعداته.

أما القسم الثاني والذي استغرق عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠، فقد كان يركز على رفع القدرة القتالية للمقاتلات القاذفة وضرورة تطويرها في المدى التكتيكي، وفي التسليح، وفي المناورة، حتى تكتسب القدرة على التنافس مع الطائرات المقاتلة-القاذفة الأمريكية التي تستخدمها إسرائيل.

وفي هذا المجال حرص الرئيس على استدعاء كبار مصممي طائرات الميج وطائرات السوخوي إلى مصر للالتقاء مع لجنة تطوير الطائرات المصرية، وقادة الطيران في مصر حيث جرت هذه الاجتماعات بصورة مكثفة في كل من القاهرة

والمعمورة، كما شارك فيها بالإضافة إلى الجانب الفني السفير السوفيتي بالقاهرة والخبراء السوفييت، وتشعبت المناقشات لتشمل الجوانب السياسية والعسكرية والفنية والتصنيع ثم التجارب العملية في مسرح عملياتنا، ولم يترك الرئيس هذا الموضوع إلا بعد أن تأكد بنفسه من واقع إقرارات قادة لواءات الميج وقادة لواءات السوخوي أن التطوير قد أنجز بالفعل، وحقق الهدف منه وتغيرت مهام الطائرات في ضوء قدراتها الجديدة.

كما كشف الرئيس عن التقدم السياسي الذي حققه في مجال التعاون والتنسيق مع الحليفة سوريا بإبرام اتفاقية تتمكن الطائرات المصرية بموجبها من ضرب أهداف العمق في إسرائيل والهبوط في مطارات سوريا، ومعها غطاء جوي للحماية الجوية فوق الأهداف.

وفي القسم الثالث، استهدفت الاجتماعات التأكيد على حتمية العمليات الهجومية ضد العدو لتحقيق الهدف السياسي والتركيز على مطلب رفع كفاءة كل من القوات الجوية والدفاع الجوي اللذين حظيا بنصيب الأسد من جهد الرئيس عبد الناصر سواء في التطور أو زيادة الحجم، أو فيما يتعلق برفع كفاءة الأطقم والطيارين وبحيث يمكن إنجاز المرحلة الأولى من خطة التحرير، وهي عبور قناة السويس والوصول إلى المضايق الاستراتيجية شرق القناة وتأمينها.

ويكفيني القول إن اجتماعات الرئيس عبد الناصر مع القادة والضباط والمتخصصين في الموضوعات المشار إليها كانت بالنسبة للقوات المسلحة وقودًا ملهبًا لإشعال صفات الجدية والحماس، بل الثأر من إسرائيل واحتواء تأثيرات نكسة يونيو ١٩٦٧.

وكانت موضوعات اللقاءات والاجتماعات والزيارات للجبهة، وحضور المشروعات التعبوية بالجنود، تهدف جميعًا إلى توعية القادة والضباط والجنود بالتخطيط الاستراتيجي العسكري الذي وضعته القيادة العامة عقب النكسة مباشرة، وصدَّق عليه الرئيس، وكان يتابع تطوره ونموه وقدرات وكفاءة القوات المسلحة كل ثلاثة شهور. وكانت نتائج هذا الجهد أن توحدت المفاهيم والتحمت الإرادة، وترسخ الهدف السياسي والعسكري بين القائد والزعيم وبين القادة والجنود.

اجتماعات الرئيس عبد الناصر بالقادة بشأن حتمية مواجهة العدو أولًا: يوم ٢٦/١١/١٩٦٧

اجتمع الرئيس عبد الناصر بقادة القوات المسلحة وعلى رأسهم القائد العام ورئيس الأركان وقادة الأفرع الرئيسية ورؤساء الهيئات. وكان الموقف العسكري قد استقر نسبيًّا بإنشاء أول خط دفاعي غرب القناة، كما كان الموقف السياسي يبشر باستعداد عربي قوي أكده مؤتمر الخرطوم لدعم موقف الدول المتضررة من العدوان، واستعداد سوفيتي مماثل لتوفير الدعم العسكري المطلوب. يضاف إلى ذلك كله ما تولد لدى الجنود والضباط من إرادة القتال واستعداد لبذل أقصى الجهد لصالح المعركة.

١ - المضمون

وقد ركز الرئيس في حديثه خلال هذا الاجتماع على ما يلي:

- إن تسخين جبهة القتال ضرورة حتى لا يتصور أحد وبالذات إسرائيل أن خطوط وقف إطلاق النار قد تجمدت لتصبح خطوط هدنة جديدة.

- إن تنشيط العمل العسكري ضرورة لإقناع العالم أن أزمة الشرق الأوسط أزمة ساخنة لا تستطيع أن تنتظر المناورات الدولية.

- إن ذلك التنشيط للجبهة سوف يشحذ مشاعر الشعوب العربية، ومنها الشعب المصري، ويستقطبها إلى جبهة القتال ليرسم في ذاكرته باستمرار أن المعركة مستمرة.

- إن العمل العسكري سوف يكون بمثابة تطعيم جيد بالنار للقوات المصرية، ويكسر حاجز الرهبة لديها بعد تجربة يونيو المريرة.

- إن ذلك من شأنه في النهاية إعادة بناء صورة الجيش المصري أمام الأمة العربية والعالم، وقد كان تشويه صورة الجيش من أهم أغراض السياسة الأمريكية والعسكرية الإسرائيلية، وبالتالي فإن صورة الجيش المقاتل يجب أن تحل في الأذهان محل صورة الجيش المنسحب.

٢ - النتائج

وبعد هذا اللقاء أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة توجيهات عمليات عسكرية بهدف تنشيط العمل العسكري على الجبهة طبقًا للاعتبارات التالية:

- حجم المهام: أن تكون محدودة ومتدرجة.

- مسرح العمليات: يقتصر تنشيط العمل العسكري في المراحل الأولى على مسرح العمليات البري بقدر الإمكان نظرًا لتفوق الطيران الإسرائيلي.

- تأمين الشعب من الداخل والحفاظ على الأهداف الحيوية والاقتصادية سليمة: لذلك صدرت تعليمات تنظيم بإنشاء الجيش الشعبي ومهامه وانتشاره ومسؤولياته، مع التأكيد على تنفيذ توجيهات القائد رقم ٤/٦٨ بشأن إعداد الدولة للحرب.

ثانيًا: يوم ٥/٧/١٩٦٩

١ - الحاضرون

اجتماع مع قادة الفرق الميدانية، وحضره كل من: لواء سعد مأمون/ قائد فر ٢١ م؛ عميد علي الشيخ/ قائد فر ٢ مش؛ عميد سعيد إبراهيم/ قائد فر ١٦ مش؛ عميد مصطفى شاهين/ قائد فر ١٨ مش؛ لواء سعد عبد الكريم/ قائد فر ١٩ مش؛ لواء عبد المنعم واصل/ قائد فر ٤ م؛ عميد تيسير العقاد/ قائد فر ٧ مش؛ عميد حسين عبد اللطيف/ قائد فر ٢٣ ميكا؛ عميد عبد الغفار حجازي/ قائد فر ٣ مش؛ عميد خيري حسين/ قائد فر ٣ فر ميكانيكا.

٢ - المضمون

وتطرق الحديث والمناقشة إلى عدة موضوعات منها:

- تغيير ميكنة الفرقتين المشاة الميكانيكية ٣ و٢٣ من عربات مدرعة.B.T.R إلى عربات توباز، وهي عربة مدرعة بجنزير صناعة تشيكوسلوفاكيا وليست متوفرة في الاتحاد السوفيتي، وهي تعمل على مختلف الأراضي كما أنها برمائية ودروعها ضد الإشعاعات الذرية ومسلحة تسليحًا جيدًا.

- انتشار التجميع البشري الذي كان يضم قادة وضباط وجنود وآليات الفرقتين المشاة الميكانيكية ٣ و٢٣ من وصلة هايكستب إلى أماكن إيواء أوسع جهة الشمال الشرقي حيث تتواجد مناطق صحراوية صالحة للتدريب والإيواء بشكل أكثر انتشارًا.

اجتماعات الرئيس بشأن مضاعفة القدرة القتالية للطائرات المقاتلة-القاذفة

كانت القيادتان السياسية والعسكرية تدركان بعد معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ أن قدرة القوات الجوية هي المحور الأساسي الذي يرتكز عليه تفوق قدراتنا العسكرية عامة، ولم يكن لدى الاتحاد السوفيتي - المصدر الوحيد لإمدادنا بالسلاح - سوى الميج ١٧ والميج ٢١ والسوخوي ٧، وقد أدرك الطيارون والفنيون المصريون حقيقة كفاءة وقدرة هذه الطائرات من خلال المعارك السابقة. وتولد لديهم اقتناع بأن مدى العمل التكتيكي للطائرات الروسية كان محدودًا.

وفي أول لقاء قمة في موسكو في يوليو ١٩٦٨ عرض الرئيس عبد الناصر موقف القوات الجوية المصرية وقدراتها القتالية والفنية، وخاصة في المدى وفي التسليح والقدرة على المناورة. وقد وافق قادة الكرملين على عرض الرئيس وأيدوا وجهة نظره خاصة بعد أن وصلتهم تقارير عن أداء الطيران الروسي في حرب فيتنام، وأوضحوا بأنه يجري تصنيع طائرة مقاتلة-قاذفة ذات محركين تحقق أهداف العمل الجوي في منطقة الشرق الأوسط، الذي يختلف تمام الاختلاف عن طبيعة عمل الطائرة المقاتلة الروسية في الأجواء الأوروبية.

وفي بداية عام ١٩٦٩ استعجلت مصر الاتحاد السوفيتي في الحصول على الطائرة الجديدة، ولكن السوفييت لم يستجيبوا للطلب، وأكدوا أن الطائرة ما زالت في التصنيع، ولم تجرب ميدانيًّا.

وفي منتصف ١٩٦٩ تقدم الجانب المصري - المجموعة الفنية لشؤون الطيران، التي كان قد صدر بتشكيلها أمر قيادة برئاسة لواء مهندس طيار أحمد نوح وعضوية لواء مهندس طيار سمير راقم ولواء مهندس محمد فهيم الريان - بطلب تعديلات فنية مركزة على إضافات ومساعدات وتطوير في التصميم للطائرات الروسية من أجل زيادة المدى وزيادة التسليح (مدافع وقنابل وصواريخ) دون التأثير على قدرة الطائرات في السرعة أو في المناورة، وكانت هذه التعديلات وليدة الخبرة المصرية في العمليات الجوية غير أنها تلاقت مع خلاصة الخبرة السوفيتية التي حصل عليها مصممو الطائرات السوفيتية في حرب فيتنام.

وخلال اللقاءات والتحضير لتنفيذ هذه التعديلات تبادلت المجموعة الفنية المصرية الآراء والخبرات مع مجموعة مصممي الطائرات السوفيتية حيث انتهت بنجاح عمليات تطوير وتغيير قدرات الطائرات القاذفة-المقاتلة السوفيتية إلى مضاعفة القدرات القتالية لها سواء في الدفاع أو في العمليات الهجومية، خاصة في مدى عمل الطائرات أو التسليح، وكانت هذه اللقاءات تتم على أعلى مستوى سياسي وعسكري في كل من مصر والاتحاد السوفيتي كما سيرد فيما بعد.

أولًا: اجتماعات تمهيدية لوزير الحربية مع الجانب السوفيتي

١ - يوم ١٨/٣/١٩٦٩

اجتمع وزير الحربية فريق أول محمد فوزي مع السفير السوفيتي، الذي أكد حرص القيادة السياسية السوفيتية على إجابة طلب المجموعة الفنية المصرية لتعديل الطائرات الروسية، ومعرفة موقف وسائل العبور وإصرار الجانب العسكري السوفيتي على ضرورة عبور القناة وإقامة رؤوس كباري على الضفة الشرقية في أقرب فرصة.

٢ - يوم ٢٠/٣/١٩٦٩

اجتماع وزير الحربية فريق أول محمد فوزي والسفير السوفيتي والجنرال «كاتشكين» كبير المستشارين لتوضيح مدى تجاوب السوفييت في سرعة تزويدنا بالأسلحة والمعدات العسكرية الحديثة، وخص بالذكر الطائرة الميج ٢١ المعدلة والتي تم تصنيع موتور جديد لها لزيادة قدراتها القتالية تحت اسم R 511، واستعداد الاتحاد السوفيتي لتزويد جميع الطائرات الميج ٢١ الموجودة لدينا بهذا الموتور الجديد. كما طلب الجانب السوفيتي الإذن بالإبقاء على خمس طائرات من الصفقة الجديدة في الاتحاد السوفيتي لتدريب الطيارين المصريين عليها في موسكو.

٣ - يوم ٢٣/٦/١٩٦٩

اجتماع وزير الحربية فريق أول محمد فوزي مع كبير المستشارين السوفييت، وكان يحمل رسالة من المارشال «جريشكو»، وزير الدفاع، تتضمن استجابة لطلب وزير الحربية محمد فوزي بإمدادنا بمعلومات عن مسرح عمليات إسرائيل. وقدم المستشار صورًا من الأقمار الصناعية السوفيتية شملت:

- خريطة جوية عن الموقف العسكري بمنطقة قناة السويس التقطت يوم ٣٠ مايو ١٩٦٩.

- خريطة جوية عن تنظيم العمليات الدفاعية لإسرائيل في سيناء موضحًا عليها مواقع المخازن والشؤون الإدارية والمواقع الدفاعية بالتفصيل.

- مذكرة معلومات ميدانية عن القوات الإسرائيلية في سيناء.

كما تضمنت طلب المارشال «جريشكو» زيادة الطيارين والفنيين والملاحين في عمليات الاستطلاع الاستراتيجي في المنطقة، وكان أحد عشر طيارًا وملاحًا مصريًّا قد اشتركوا في عمليات استطلاع استراتيجي سابقة بلغت ٢٩ مرة،

استغرقت ٢٨٠ ساعة طيران مع الأطقم السوفيتية على طائرات ت ي ١٦ الاستطلاعية.

وطلب وزير الحربية فريق أول محمد فوزي من المارشال «جريشكو» إدخال منطقة عمليات البحر الأحمر ضمن المناطق المطلوب استطلاعها استراتيجيًّا.

وبعد مرور ٧٢ ساعة من هذا اللقاء وصلت لوزير الحربية مجموعة صور جوية من القمر الصناعي السوفيتي على هذه المنطقة، بالإضافة إلى صور جوية أخرى.

ثانيًا: اجتماع الرئيس عبد الناصر مع قادة القوات الجوية وقادة تشكيلات القوات الجوية

١ - يوم ١٢/٧/١٩٦٩

كان الهدف من هذا الاجتماع معرفة ردود فعل الطيارين على التعديلات التي تمت على الطائرات المقاتلة-القاذفة، وحضر هذا الاجتماع قادة اللواءات الجوية الآتية أسماؤهم: مقدم ط ممدوح طلبية/ قائد لواء أنشاص؛ مقدم ط علي زين/ قائد لواء ميج ٢١؛ مقدم ط كمال درويش/ قائد لواء ت ي ١٦؛ مقدم ط علاء بركات/ قائد لواء جناكليس؛ مقدم ط سمير أبو غرارة/ قائد لواء ميج ١٧؛ مقدم ط حسن أبو عجوة/ قائد لواء سوخوي ٧ بلبيس؛ مقدم ط أبو طالب/ قائد لواء مواصلات؛ مقدم ط فؤاد حسني/ مدير استطلاع قيادة جوية؛ عقيد ط يوسف بصري/ قائد لواء مواصلات؛ مقدم ط نبيل كامل/ قائد لواء هليوكوبتر؛ عقيد ط حسام البشاري/ قائد قاعدة غرب القاهرة؛ عقيد ط وفيق رشدي/ قائد قاعدة جوية؛ عقيد طيار نجيب يوسف/ قائد لواء مواصلات؛ عميد ط عبد المنعم شاكر/ قائد الكلية الجوية.

وخلال المناقشة طلب مقدم طيار حسن أبو عجوة قائد لواء سوخوي ٧ تسليح الطائرات السوخوي بصواريخ جو-جو، ثم تكلم عن أسلوب تكوين احتياطي من الطيارين المدنيين.

٢ - يوم ١٥/٧/١٩٦٩ في استراحة المعمورة

اجتماع الرئيس عبد الناصر مع وزير الحربية، وقائد القوات الجوية، وقائد قوات الدفاع الجوي، وسفير الاتحاد السوفيتي، وخبراء ومصممي الطائرات الميج السوفيتية، وكبير المستشارين السوفييت، ورئيس المجموعة الفنية المصرية. ودار البحث والمناقشة حول التعديلات الجديدة التي أدخلت على الميج ٢١ المعدلة.

بدأ الرئيس الاجتماع بالإعراب عن تقديره للخبراء السوفييت مصممي الطائرات الميج ومدربي الطيران بقوله:

- في أية معركة ندخلها مع إسرائيل نضع سمعة الاتحاد السوفيتي في الاعتبار لسببين: أن السلاح المستخدم بواسطة قواتنا هو سلاح سوفيتي الصنع؛ أن الخبراء والمدربين والمستشارين للطيران هم سوفييت أيضًا.

واستمر الحوار بعد ذلك على النحو التالي:

السوفييت:

- الطائرة الميج ٢١ المعدلة بعد تعديلها زاد مداها في الجو كذا في تسليحها، وبذلك أصبحت طائرة مقاتلة-قاذفة متعددة المهام، بمعنى أنه يمكن استخدامها في ضرب أهداف أرضية تكتيكية وتعبوية في العمق الاستراتيجي للعدو عند قيامها بمهمة هجومية. أما عن تسليحها فقد تم زيادة صواريخها وأصبحت بها أربع حمالات لتعليق صواريخ، أي أن كفاءتها القتالية عند استخدام الصواريخ قد زادت مرتين. كما سلحت الطائرة الميج ٢١ م بمدفع ٣٥٠٠ طلقة/دقيقة أي ٥٠-٦٠ طلقة/ثانية، وهو معدل عالٍ في توزيع الطلقات على مساحة كبيرة، تسمح بإصابة الهدف مع الاحتفاظ بسرعتها ومرونتها في نفس الوقت. وقد أتاح التسليح الجديد بالمدفع للطائرة الدخول في قتال متلاحم عن قرب مع الميراج. فضلًا عن خاصيتها الأساسية في القتال الجوي على بعد أكثر من كيلو متر واحد نتيجة لتسليحها بالصواريخ جو-جو. أما في الهجوم على أهداف أرضية فيمكن تحميل نقاط التعليق الأربع بالقنابل أو الصواريخ أو كليهما معًا طبقًا للمهمة التي يكلف بها قائد الطائرة.

وزير الحربية الفريق فوزي:

- إن مدى عمل الميج ٢١ م قد تحقق بعد تجارب عملية قامت بها القوات الجوية من قاعدة غرب القاهرة بحضور مجموعة الوزير، فبدلًا من مدى ٥٥٠ كم على ارتفاع منخفض أصبحت ١١٠٠ كم، وذلك بعد تركيب ثلاثة خزانات وقود احتياطية.

السوفييت:

- يمكن في هذه الحالة الوصول بالطائرة إلى التجمعات الرئيسية لطائرات العدو في عمق إسرائيل بحيث يكون التشكيل الجوي المهاجم مكونًا من طائرات ميج ٢١ م محملة بالخزانات الاحتياطية بالإضافة إلى صاروخين والمدفع للحماية الجوية. كما يمكن كأسلوب آخر تحميل الطائرات للهجوم الأرضي بقنابل وصواريخ دون الوقود الاحتياطي وإتمام القذف الجوي على أهداف العمق في إسرائيل، ثم الهبوط في المطارات السورية الحليفة، وهذا يحتاج إلى تنسيق بين إدارة العمليات وبين القيادة السورية.

الرئيس عبد الناصر أوضح أن المعلومات التي قالها مساعد مصمم الطائرة والمهندس «بليكاودين» والجنرال «كريلين» يوم ١٤/٨/١٩٦٨ في «تسخالطبو» أن تحميل الطائرة الميج ٢١ م بصاروخين وثلاثة خزانات وقود احتياطية تعطي مسافة ٢٢٠٠ كم على الارتفاعات العالية ولمسافة ٩٥٠ كم على الارتفاعات المنخفضة ومدى عمل طيران ٥٥٠ كم.

السوفييت أيدوا الرئيس في هذه المعلومات، وذكروا أن المواصفات المكتوبة مدونة بحرص في نوتة الاستخدام للطائرة ميج ٢١ وهما ١٧٥٠ كم على ارتفاع ١٠ كم، ٩٨٠ كم على ارتفاع ٥٠٠ متر.

خبراء الطيران السوفييت أوضحوا أن الضرب الأرضي بزاوية ٣٠-٤٠ درجة تكون أنسب في مسرح عمليات الشرق الأوسط عن زاوية الانقضاض التي

تستخدمها في أوروبا الغربية وهي ١٠ درجات، حيث إن ظروف الرؤية عندكم أفضل لإصابة أدق. كما أوضح الخبراء النتائج التي اكتسبوها في حرب فيتنام ومدى الخسائر التي تحدث للطائرات من وسائل الدفاع الجوي على الارتفاعات المختلفة.

أما بالنسبة لتجمعات العدو الجوية في مطارات سيناء فالمهمة سهلة للغاية، إذ إن هذه التجمعات ليست في مخابئ خرسانية مثل الموجودة في مطارات العمق الإسرائيلي. وجميع أنواع الطائرات السوفيتية السوخوي ٧ والميج ٢١ والميج ١٧ يمكنها دخول سيناء وتنفيذ مهمتها القتالية الدفاعية والهجومية بسهولة، وأصبحت بعد إضافة التعديلات أفضل بكثير.

٢ - يوم ٥/٨/١٩٦٩ في استراحة المعمورة

اجتماع الرئيس عبد الناصر في استراحة المعمورة ضم وزير الحربية وقائدي القوات الجوية والدفاع الجوي، ومن الجانب السوفيتي: السفير، وكبير المستشارين، وجنرالات سوفييت، وخبراء في القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي السوفيتي.

الرئيس ذكر واقعة نجاح الميج ٢١ في إسقاط طائرتي ميراج يوم ٢٠/٧/١٩٦٩ واعتراف إسرائيل بذلك وأن هذه الواقعة رفعت معنويات طيارينا.

السوفييت:

- إن موقف القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي على ضوء ما رأيناه هو فارق السماء من الأرض عما رأيناه عام ١٩٦٧.

الرئيس:

- أريد أن نتكلم كعسكريين وليس كدبلوماسيين، وأعلن أمام السفير السوفيتي أنه لا يوجد حل سلمي. ليس لأننا لا نريد الحل السلمي، ففي نفس الوقت لا نريد الحرب للحرب ولا قتل أولادنا، ولكن عدونا أمريكا يريد القضاء علينا، كما أن إسرائيل، وهي رأس جسر لأمريكا في المنطقة، تريد أن تحقق أهدافها. نحن لا نستطيع قبول حل سلمي نتنازل فيه عن شبر واحد من أراضينا. إننا قد وصلنا إلى موافقات كثيرة بالنسبة لحق إسرائيل في الحياة، هذا الكلام قلته عام ١٩٦٧، وبرغم قبولنا القرار الأمريكي-السوفيتي الأول (يقصد المشروع الأول للقرار ٢٤٢/٦٧)، برغم رفض العرب له، فإن الأمريكان تراجعوا وقدموا قرارًا أسوأ، وقد قبلناه أيضًا ولم تقبله إسرائيل. الحل السلمي الأمريكي هو استسلام. ولا يمكن وقف إطلاق النيران مع إسرائيل إزاء هذا الوضع، هم يعلنون استعدادهم لإعادة سيناء إلينا بشرط ألا نتدخل في استعادة الأراضي العربية الأخرى، وهذا يعني انتهاءنا عربيًّا، ولذلك رفضنا الاقتراح من جانبنا. ولن نستطيع التفريط في القدس أو أية أرض عربية.

ثم انتقل الرئيس إلى مناقشة قدرة القوات الجوية والدفاع الجوي، وقال:

- يجب أن نصل إلى تفوق جوي ولو محليًّا.

وركز على استغلال قدرة الطائرة الميج المعدلة بالنسبة لمداها الجديد.

أما عن إمكانية التعاون والتنسيق مع سوريا فقال الرئيس:

- اتفقنا على قيادة موحدة وعمل مشترك مع سوريا.

(وتم توقيع اتفاقية يوم ٧/٨/١٩٦٩ تحقق توحيد الجهود العسكرية للقوات الجوية والدفاع الجوي في كلا البلدين، للعمل تحت قيادة واحدة تسمح للطائرات المصرية بالقيام بمهمة عمليات جوية في عمق إسرائيل ثم الهبوط في المطارات السورية).

ثم وجه الكلام إلى السفير وكبير المستشارين السوفييت وقال:

- إنني أطلب طائرات وطيارين ليتواجدوا غرب القناة فقط دون أن يتدخلوا أو يعملوا شرقًا.

ثم وجه الرئيس الكلام إلى لواء طيار علي بغدادي قائد القوات الجوية:

- متى ستبلغ القوات الجوية سن الرشد؟

وأجاب لواء بغدادي:

- في منتصف عام ١٩٧٠.

ولكن الرئيس قال:

- في رأيي أن يتم الرشد في أول عام ١٩٧٠، وعندئذ يمكن الاعتماد على القوات الجوية حيث يصل عدد الطيارين الممتازين إلى ٣٠٠ طيار في يونيو ١٩٧٠، وفي هذه الحالة يمكن تحقيق تفوق جوي فوق منطقة القناة لمعاونة عملية العبور وحتى مسافة معقولة شرقًا (الرئيس يقصد المضايق)، إذ لا يمكن نجاح عملية العبور دون تفوق جوي.

واستطرد الرئيس في القول:

- لن ندخل أية معركة شاملة مع العدو ما لم يكن لدينا تفوق جوي ولو محليًّا. نتكلم مع السفير عن الحل السياسي ولكن في الحقيقة لا يوجد حل، والسفير يسمع ذلك، و«بريجنيف» قال ذلك لعلي صبري، وكذلك «جريشكو».

٤ - يوم ١٠/٨/١٩٦٩ صباحًا

لقاء وزير الحربية مع السفير السوفيتي لتوقيع اتفاقية تسليح معدات حربية قيمتها ٢٣ مليون جنيه استرليني تدفع على سنتين - كانت تمويلًا من ليبيا. وسلمت عربات مدرعة بجنزير ومعدات وأسلحة للتشكيلات الميكانيكية التي شكلت فيما بعد لتكون الاحتياطي التعبوي للجيشين الثاني والثالث.

٥ - يوم ١٠/٨/١٩٦٩ مساءً

اجتماع مع الفريق أول فوزي بهدف مناقشة مذكرة قدمت من وزارة الحربية عن موقف الطيارين في القوات الجوية من الناحية العددية حتى آخر عام ١٩٦٩، والموقف في منتصف عام ١٩٧٠، على أساس معدل ١.٥ طيار لكل طائرة. وأوضح الرئيس أن «هذا الموقف يمثل عنق الزجاجة بالنسبة لاستعداد القوات

المسلحة» وأنه سيضع هذا الموضوع في اعتباره لطرحه في أول لقاء قمة قادم مع القيادة السوفيتية.

ثالثًا: اجتماعات الرئيس جمال عبد الناصر الموسعة

١ - يوم ١٢/٨/١٩٦٩

اجتماع موسع للرئيس عبد الناصر في مقر القيادة العامة رقم ١ مع وزير الحربية، رئيس الأركان، قائد القوات الجوية، قائد الدفاع الجوي، رئيس هيئة البحوث العسكرية، رئيس هيئة العمليات، رئيس هيئة التنظيم والتسليح، مدير المخابرات الحربية. وقد تناول:

- مقترحات تخطيط العمل العسكري المقبل.

- الخطة الزمنية لاستكمال الاستعداد القتالي للقوات الجوية وقوات الدفاع الجوي.

٢ - يوم ١٣/٨/١٩٦٩

استكمال اجتماع أمس في نفس المكان ومع نفس القادة ولكن المناقشة ركزت على القوات الجوية فقط.

٣ - يوم ١٧/٨/١٩٦٩

اجتماع الرئيس عبد الناصر بقيادات تشكيلات القوات الجوية حتى مستوى اللواءات الجوية بمقر القيادة العامة للقوات المسلحة رقم ١ بمدينة نصر.

سأل الرئيس عن السبب في خسائر الطائرات خلال الفترة السابقة. وأجاب مقدم طيار حسن أبو عجوة قائد لواء السوخوي أن الخسائر بسبب الخطأ الناجم عن عدم اتباع الطيارين لقواعد الانضباط الجوي، ودلل على ذلك بإعطاء أمثلة عملية، ثم أبدى الرائد طيار محمد عبد الرحمن قائد لواء سوخوي تشككه في تسليح السوخوي بالرغم من وجود صواريخ من نوع س ٥ ك، س ٥ م وعدد ٢ مدفع لكل ٦٥٠ طلقة/دقيقة.

وهنا طلب الرئيس من اللواء أحمد نوح إعادة شرح التعديلات الفنية التي أدخلت على الطائرات، كذا في التسليح، والتي سبق أن ذكرت في اجتماع ١٥/٧/١٩٦٩، وأضاف أن الاتحاد السوفيتي صمم صواريخ جديدة ذات مقاسات كبيرة من الأنواع شديدة الانفجار والحارقة للدروع تركب على حمالات جديدة بالطائرات لحمل أعداد كبيرة من الصواريخ كحل تبادلي للقنابل. وأكد اللواء نوح أن الكفاءة القتالية لطائرات الميج ٢١ المعدلة والسوخوي ٧ بعد التعديل قد زادت من مدى العمل والتسليح إلى الضعف، كما تضاعف تسليح الميج ١٧ أيضًا. وأضاف مقدم طيار حسن أبو عجوة، قائد لواء سوخوي، أن الطائرة بهذا التعديل تكون مناسبة وأوضح مقدم طيار علي زين قائد لواء ميج ٢١ أن النقيب طيار أحمد شريف اشتبك ٦ مرات مع الميراج وأسقط ثلاثًا منها.

٤ - يوم ٣٠/٨/١٩٦٩

اجتماع الرئيس عبد الناصر بمنزله بمنشية البكري ضم فريق أول محمد فوزي، لواء أحمد نوح، وقائد القوات الجوية ومعه رئيس الفرع الفني بالقوات الجوية؛ ومن الجانب السوفيتي السفير، كبير المستشارين، مهندس «بيلاكوف» مساعد «ميكوبان» مصمم «الميج»، والجنرال «كيرلين»، والجنرال «متشاروف». وكان موضوع المناقشة هو موقف الطائرة الميج ٢١ المعدلة.

الرئيس:

- في اجتماعاتي مع قادة القوات الجوية شعرت أن الثقة قد ازدادت لدى الطيارين بالنسبة للطائرة الميج ٢١ م، وهم يطلبون المزيد منها وقالوا إنها أفضل من الميراج ولكنهم يتشككون في مدى عمل الطائرات.

السوفييت:

- تمت تجارب عملية بواسطة الطيار السوفيتي «ماسلوف» والطيار المصري عصام، وحُملت الطائرة الميج ٢١ بمختلف طرق التحميل الجوي كذا من أجل الهجوم الأرضي بالقنابل والصواريخ وجُربت على مختلف طرق الاقتراب المنخفض كذا المنخفض المرتفع كذا المرتفع، وكانت النتائج العملية مطابقة للمواصفات المكتوبة عن هذه الطائرة. المهم هو تخصيص المهمة ثم يتم على أثرها تجهيز الطائرة بالتحميل والوقود المناسبين لأداء هذه المهمة بحيث لا تكلف الطائرة بأكثر من واجب واحد في المهمة الواحدة بمعنى تُخصص طائرات للهجوم الأرضي وأخرى للتغطية والحماية الجوية.

الرئيس:

- إن مهمتكم التي قمتم بها في تنفيذ التعديلات الفنية في الطائرات القاذفة-المقاتلة قد نجحت تمامًا. وظهر لي ذلك بعد مناقشة الطيارين المصريين عن قدرة الطائرة قبل وبعد تنفيذ هذه التعديلات.

السوفييت:

- أما بالنسبة للطائرة السوخوي فقد تمت تجارب عملية مع الطيار سيد كامل وثبت أن البيانات عن قدرة الطائرة في المدى وفي التسليح مطابقة للواقع العملي. أما بالنسبة للميج ٢١ م فإن كفاءتها في المناورة أفضل من الفانتوم، وكانت دائمًا في وضع داخلي مناسب للفانتوم في القتال الجوي، وبذلك كانت لها السيطرة دائمًا.

وكانت مشكلة الميج ٢١ هي عدم إمكانها استخدام صواريخها جو-جو، ولذا تم تركيب مدفع داخل جسم الطائرة عند تصميم التعديلات الأخيرة - ولقد حصل الأمريكيون على الطائرة الميج ٢١، واختبروها فقالوا إنها تفوق جميع الطائرات الأمريكية في العمل الجوي على ارتفاع ٧ كم فما فوق، ولكنها تحت ٧ كم تتساوى معها.

رابعًا: حصيلة الاجتماعات

نجحت خطة تركيز الرئيس جمال عبد الناصر القائد الأعلى للقوات المسلحة على أهم عنصر قتالي في قواتنا المسلحة وهو القوات الجوية، الأمر الذي مكن من رفع ثقة الطيارين المصريين في استغلال التطوير الفني في المدى وفي التسليح وفي المناورة والذي تم بالتعاون بين المجموعة الفنية المصرية لشؤون الطيران ومصممي الطائرات السوفيتية الذين حضروا إلى مسرح عملياتنا للتأكد من التطبيق الميداني لهذه التعديلات.

وكانت حصيلة الاجتماعات واللقاءات المكثفة لكل الأطراف المعنية في هذا الشأن، سواء السياسية أو العسكرية أو لقاءات المختصين في شؤون تسليح الطائرات (تصميم أو تصنيع) وعلى جميع المستويات الميدانية حتى قادة اللواءات، قد أثمرت الآتي:

١ - قرار القيادة السياسية المصرية بعدم دخول المعركة دون تفوق جوي ولو محليًّا في منطقة العمليات المقبلة.

٢ - الاستجابة السريعة والفعالة من القيادة السوفيتية لإمدادنا بالآتي:

أ) تطبيق المطالب الفنية وليدة الخبرة القتالية الجوية بإضافة تصميمات عملية في الطائرات السوفيتية الميج ٢١ م، الميج ١٧، والسوخوي ٧ لرفع كفاءتها القتالية في المدى وفي التسليح وفي المناورة، بحيث تغطي مطالب العمليات الحالية والمستقبلية في مسرح عملياتنا.

ب) تزويدنا بالمعلومات الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية عن مسرح عمليات العدو إسرائيل بصفة مستمرة من صور القمر الصناعي السوفيتي.

ج) تزويدنا بخبرة حرب فيتنام خاصة في مجال الطيران والدفاع الجوي.

د) تمكين طيارينا من الاشتراك في العمليات الاستطلاعية لمسرح عملياتنا.

٣ - وضوح مدى الاهتمام برفع كفاءة طائرات القوات الجوية المصرية لتحقيق المهام القتالية بعد إضافة التعديلات الفنية ونجاح التجارب العملية المشتركة بين السوفييت والمصريين من أجل:

أ) ضمان فاعلية القوات الجوية في الدفاع الجوي سواء لتغطية وحماية الطائرات الهجومية أو للتفوق الجوي في مسرح العمليات المنتظر وخاصة في مرحلة العبور.

ب) ضرب تجمعات العدو وأهدافه الحيوية في العمق مع التغطية والحماية الجوية سواء في الجبهة المصرية منفردة أو بالتنسيق مع سوريا.

٤ - اقتناع القيادات المقاتلة في القوات الجوية بكفاءة وقدرة الطائرة واكتسابهم الثقة بها في:

أ) إمكانية العمل بسهولة وبكفاءة في منطقة سيناء.

ب) إمكانية العمل الهجومي بكفاءة حتى ضد أهداف إسرائيل في العمق.

ج) توفير أعمال الوقاية والحماية الجوية للتشكيلات الهجومية في العمق الإسرائيلي.

٥ - ارتفاع كفاءة الطائرة الميج ٢١ م إلى الضعف من حيث المدى أو التسليح فضلًا عن مرونتها في الاستخدام لقدرتها في تنويع المهام القتالية في العمليات الدفاعية أو الهجومية.

اجتماعات الرئيس بالقادة بشأن رفع الكفاءة والقدرة القتالية

على مدى أيام ٦، ٧ و١٠ يناير ١٩٧٠ في مبنى القيادة العامة مدينة نصر، عقد الرئيس عبد الناصر اجتماعات كان أولها يوم ٦ يناير ١٩٧٠، حضره نائبه السيد محمد أنور السادات، والفريق أول محمد فوزي وزير الحربية والقائد العام، والفريق محمد صادق رئيس الأركان، وقادة القوات البحرية والجوية والدفاع الجوي، وقادة الجيوش الميدانية. وسبقه مؤتمر تحضيري برئاسة الفريق أول فوزي أوضح فيه جدول الأعمال المكون من موضوعين:

- الأول: الإغارة الإسرائيلية يوم ٢٤/١٢/١٩٦٩ والاستيلاء على رادار رأس غارب.

- الثاني: خطة الاستنزاف ضد إسرائيل وخطتها المضادة.

وطلب الوزير الصراحة التامة في كل شيء. ثم أشار إلى عقد لقاء آخر في اليوم التالي ينضم معنا فيه المستشارون السوفييت، وأكد القائد العام على أن لا يحاول أحد إخفاء رأسه أو التغاضي عن الأخطاء التي حصلت.

أولًا: مؤتمر يوم ٦/١/١٩٧٠

١ - موقف القوات الجوية

بدأ الرئيس عبد الناصر هذا المؤتمر الأول بطريقة الأسئلة مع الاستفهام والاستفسار، وكانت تظهر عليه علامات الحزن وتشع من عينيه نظرات الغضب لأن موضوع عملية الإغارة الإسرائيلية على رأس غارب والاستيلاء على محطة رادار ب ١٢ روسية الصنع، ونقلها جوًّا إلى إسرائيل يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ أي قبل اللقاء بأيام قلائل، كان هو محور المؤتمر.

قال عبد الناصر:

- لقد قررنا حرب الاستنزاف... هل نستطيع تحملها حيث إنها سلاح ذو حدين؟ وفي حالة ما إذا كان بحد واحد فقط، فسنكون نحن عرضة له.

والموضوع الثاني هو موضوع رادار رأس غارب، وهي تعتبر عملية فريدة في التاريخ، ولكنها ليست الوحيدة، فعملية «دبيب» في الحرب العالمية الثانية لم تستطع قوة الإغارة الأمريكية سحب كل الرادار ولكن أجزاءً منه فقط.

ثم استطرد قائلًا:

- قادة الجيوش يجب أن يكونوا مسؤولين مسؤولية كاملة في كل ما يقع في دوائرهم، ولا يجب وضع ضابط مهندس ليقود وحدة مقاتلة. يجب دراسة كل هذا وبحثه بعناية.

وهذه العملية أثرت على الروح المعنوية جدًّا. والعدو يعرف عنا أكثر منا، والقيادة الإسرائيلية تعمل على أساس العمليات المشتركة، ولديهم مدرسة لهذا، لأن العمليات المشتركة لها أهمية كبيرة كما يجب علينا تكوين أركان حرب متخصصين في العمليات المشتركة. وأنا أقول إن نجاح العدو راجع إلى الاستطلاع الكامل مع التخطيط الجيد والتدريب وقصورنا وضعف قواتنا. الموضوع أخطر مما تصورون، وأحب أن أسمع من الجميع آراءهم بصراحة.

وتكلم كل من حضر هذا الاجتماع من الرؤساء والقادة كل فيما يخصه، ولما تكلم رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة علق الرئيس على تقريره قائلًا:

- أهمية الإجراءات التأمينية ضد أعمال العدو النشطة، وأهمها:

- تدعيم المناطق الحيوية في الدولة.

- إعادة توزيع القوات في المناطق على أساس كتائب مشاة مدعمة لتأمين ونجدة الأهداف الحيوية.

- يجب أن يحمل كل جندي بندقية مهما كان وضعه في القوات المسلحة لحماية نفسه ووحدته وهذا حتمي. كل واحد يدافع عن نفسه.

وعن أسلوب حماية الأهداف والوحدات المنعزلة:

- وهذه الطريقة خاطئة وغير واضحة. ويجب أن يوضح خط القيادة والسيطرة تمامًا وألا يبقى هذا الموضوع غير سليم.

وبعد أن عرض رئيس الاستطلاع تقريره أثير موضوع إرسال قوات من القاهرة للقيام بعمليات وأعمال نشطة في الشرق، وكان قادة الجيوش قد اعترضوا على هذا ووافقهم الرئيس قائلًا:

- لن نسمح للقوات من القاهرة بالقيام بعمليات في الجيوش.

وكان يستمع إلى تقارير الرؤساء عما وصلت إليه القوات من مستوى في التدريب وأصدر أوامره بضرورة تدريب القيادات عمليًّا على العمليات المشتركة.

ولوقاية تجمعات الوحدات غير المقاتلة قال:

- يجب التفكير في نقل معسكرات التجنيد من التل الكبير وإخلاء منطقة مطار أبو صوير المكدس بالأفراد.

وعن تنقلات الضباط أشار إلى عدم نقل الضباط من الوحدات لفترة عام أو أكثر حتى تتفرغ التشكيلات والوحدات لرفع درجة الاستعداد، وأشار إلى نقل القائد غير الصالح فورًا، وقال:

- يجب عدم الجلوس في المكاتب... وأهمية المرور دائمًا.

٢ - توصيات القائد المتعلقة بالقوات الجوية

بعد مناقشة موقف القوات الجوية في هذا الاجتماع الخطير، وتطرق الحديث إلى مسؤوليات القادة في موضوع رادار رأس غارب، كانت توصيات القائد الأعلى حسب حديثه عنها:

- لقد حقق العدو هدفه في تعطيل كتائب الصواريخ ونسبة القصف الجوي كانت كبيرة، لأننا لم نشرك قواتنا الجوية خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩، ويجب إشراكها في معاونة القوات البرية وحمايتها.

ويجب اختيار ضباط طيارين أكفاء للاعتراض ويعطون علاوات زيادة ويخصص لهم توقيت معين للاقتناص. ويجب تدعيم الدفاع الجوي للجيوش بمواسير مضادة للطائرات، أقصد مدفعية، وإشراك القوات الجوية في الدفاع الجوي.

قال الرئيس موجهًا حديثه إلى قائد القوات الجوية:

- يجب على القوات الجوية السيطرة الكاملة على قواتها ويجب أن يتواجد قائد القوات الجوية وكل القيادات في مواقعها عند الاعتراض الجوي ويجهز كل شيء تمامًا في كل النواحي.

وتطرق الحديث إلى موضوعات مختلفة بطريقة أسئلة واستفسارات ثم أصدر تعليمات إلى كل الموجودين عن أهمية تحسين طعام الجنود والمرور على المطابخ ومحاولة التغلب على وجود العهدة، لأنها تعني وجود ثغرات وأهمية حل مشاكل الجنود وقال:

- نحن مستعدون لحلها وابحثوا خلف الشكاوى.

ثم سأل الرئيس عبد الناصر عن موقفنا عند هجوم العدو الجوي، وأجاب هو عليه بسرعة وبثقة، فقال:

- عندما تصل الفانتوم سيستخدم العدو قواته الجوية بتركيز في شهر سبتمبر ١٩٧٠ ويجب أن تكون التجهيزات الهندسية كاملة وتحسن يوميًّا، ويجب أن تعلموا أن الدفاع سيطول ولن نعدي إلا إذا كنا مستعدين.

وتكلم قائد الدفاع الجوي وأشار إلى أن وحدات الدفاع الجوي الحالية لا تستطيع توفير الحماية الكافية للتجميع الرئيسي للقوات البرية حتى مايو ١٩٧٠، رد عليه الرئيس قائلًا:

- يحدد وقت استعداد الدفاع الجوي ليكون في شهر مايو ١٩٧٠ ويجب معاونة قوات الدفاع الجوي بعناصر مهندسين أكثر وإمكانيات أكبر حتى تعطى الفرصة لأفراد الدفاع الجوي أن يعيشوا.

وبعد استراحة قصيرة بدأ الاجتماع مرة أخرى، وتكلم الرئيس عبد الناصر عن التطورات في المنطقة وموقف مصر منها موجهًا حديثه إلى القادة قائلًا:

- منذ قامت الثورة ونحن في معارك مستمرة ضد القوات الإنجليزية في منطقة القناة حتى اتفاق الجلاء عام ١٩٥٤، وفي عام ١٩٥٥ كانت المعركة عنيفة ضد حلف بغداد وفي هذه السنة امتنع الإنجليز عن تزويدنا بالأسلحة واشترطوا ضرورة إيقاف هجومنا على الحلف ورفضنا. واتجهت إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٥، ومن هنا بدأت علاقتنا. وتطورت الأمور وأوقف قرض تمويل السد العالي. وأممت مصر قناة السويس.

في عام ١٩٥٦ استنكر العالم العدوان الثلاثي على مصر لأن دولتين كبيرتين تهاجمان دولة صغيرة. ولم يوافق «بن جوريون» على دخول الحرب إلا بعد توقيع اتفاق على توفير غطاء جوي فرنسي-إنجليزي ومعاونة كاملة، واستمر «بن جوريون» في باريس حتى وقعت فرنسا وبريطانيا على هذا، وبدأت تنفيذ المخطط في البحر الأحمر. ومن الواضح أن مدمراتنا اشتبكت مع مدمرات فرنسية وليست إسرائيلية، وطبعًا كان هناك غطاء جوي فرنسي-إنجليزي-أمريكي.

وقبل الوحدة تعرضت سوريا لعمليات من تركيا (جاء في مذكرات أيزنهاور أنها خطة لاحتلال سوريا)، ومن هنا أعلنت مصر موقفها وأرسلت قوات إلى سوريا عام ١٩٥٧. وتمت الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ وتعرضت مصر لحرب بكل الوسائل. وتكون اتحاد العراق-الأردن الملكية... وفي يوليو ١٩٥٨ قامت ثورة العراق وقضت على العائلة المالكة وأنزل الأمريكان قوات في لبنان، وأنزلت إنجلترا قوات في الأردن، وأعلنت مصر موقفها أنها تقف مع العراق. وسافرتُ سرًّا إلى موسكو من يوغوسلافيا وقابلت القادة السوفييت ولما عدت إلى مصر، شعرت بتحول السياسة الأمريكية-الإنجليزية إلى احتواء ثورة العراق وليس مهاجمتها، وانتهى حلف بغداد نهائيًّا.

وبدأت نغمة الخطر الأحمر وكان رد مصر على أمريكا أن الخطر الأكبر هو إسرائيل وليس روسيا. وفي عام ١٩٦١ حصل الانفصال بين مصر وسوريا واشتركت فيه كل القوى الإمبريالية والرجعية ولكن مصر استطاعت الصمود.

وفي سبتمبر ١٩٦٢ قامت ثورة اليمن وأعلنت مصر مساندتها لها وأرسلت لها قوات، ونتج عن هذا مساعدتنا لليمن الجنوبي (عدن) حتى استطاعت الاستقلال.

وفي عام ١٩٦٧ حدث العدوان الإسرائيلي وأعادت مصر تنظيم قواتها بعد هذه العملية. في جميع هذه الجولات والمعارك اعتقد الأمريكان والإنجليز أن مصر انتهت. ولكن بالعكس، نحن في عام ١٩٧٠ ولم ننته، ولكن انتهت كل خطط الاستعمار في السودان وليبيا. وتعهدت مصر أنها ستقف مع ثورة ليبيا عسكريًّا ضد أي تدخل أجنبي، لأن مصر اعتبرت ثورة ليبيا أهم بكثير من ثورة العراق عام ١٩٥٨، حيث إن ليبيا لها أهمية اقتصادية كبيرة، فهي تنتج ١٥٠ ألف طن بترول يوميًّا برؤوس أموال أمريكية وغربية ولها أهمية استراتيجية كمنطقة تدريب على الطيران واستخدام الأسلحة. وبعد المؤامرة الأخيرة في ليبيا، والتي اشترك فيها وزير الدفاع الليبي، طلبت ليبيا من مصر إرسال قوات، وأرسلت مصر فعلًا كتيبة صاعقة بملابس مدنية، كما طلبوا قوات مدرعة تكون قرب الحدود وأرسلت مصر

قوات مدرعة إلى مرسى مطروح جاري البحث في دعمها بأكثر من كتيبة مدرعة، ويطلب رجال ليبيا خطوات وحدوية واتفقت مصر وليبيا على بدء توحيد القوات المسلحة. هذه هي التطورات العنيفة في المنطقة وموقف مصر منها. ومعناها أن مصر لم تنته بعد بل العكس. وعلى هذا ليس لأمريكا غير إسرائيل تستخدمها ضد مصر.

وأشار عبد الناصر إلى كيفية استخدام أمريكا لإسرائيل ضد مصر فقال:

- ومن الطبيعي عند التفكير في عملية أخرى أن يفكروا في استخدام إسرائيل وحدها أنسب، على أساس أنها تخدم الأهداف الأمريكية في المنطقة. وتعتقد مصر أن أمريكا ستدفع إسرائيل أكثر وأكثر، وقال «بارليف»: «إننا حطمنا القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧ ولكن المرة القادمة سنحطم المقاومة العربية كلها». وكان تقدير القيادة المصرية السياسية أن الهجوم على مصر سيشتد في الشهور التالية، فإسرائيل تعتقد أننا سنعبر القناة صيفًا ولذلك ستقوم بكل طاقتها بأعمال تمنعنا من بناء قواتنا وإعداد القوى واستنزاف دفاعنا الجوي وسلاحنا الجوي، ونحن لا نحارب إسرائيل وحدها ولكن وراءها الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي. وميزانية إسرائيل في العام الجديد ١٩٧٠، ١٨٠٠ مليون دولار، ويستطيعون الحصول على طيارين من كل بلاد العالم التي بها يهود مثل فرنسا، أمريكا، جنوب أفريقيا، إلخ. ومعنى ذلك أن هناك من الجانب الآخر إعدادًا للقوى للقتال والعدوان. ومن الآن حتى يوليو ١٩٧٠ ستركز إسرائيل كل مجهوداتها حتى تمنعنا من امتلاك القدرة على عبور القناة.

واختتم الرئيس جمال عبد الناصر قائلًا:

- يجب أن نسير على مراحل جزءًا جزءًا ويكون فيه نظام سليم للعمل ولا داعي لأن يعمل كل القادة مرة واحدة. ويجب وضع خطة للراحة، ولن يتعطل العمل إذا غاب القائد أو غيره. ويجب التفكير في أن تعمل القوات المسلحة على أساس العمليات المشتركة مع الابتكار وإدخال أشياء وأفكار جديدة، هذا هو تصوري للموقف، وغدًا سيكون هنا اجتماع مشترك مع المستشارين السوفييت للمناقشة وبحث استراتيجية الاستنزاف.

ثانيًا: الاجتماع الثاني يوم ٧/١/١٩٧٠

وعقد أول اجتماع مشترك يضم كل من حضر في مؤتمر يوم ٦ يناير ١٩٧٠ بالإضافة إلى كبير الخبراء السوفييت في مصر الجنرال «كاتشكن»، والمستشارين السوفييت في القوات المسلحة المصرية حتى مستوى مستشاري قادة الجيوش والمناطق العسكرية. وعقد هذا اللقاء في مبنى القيادة العامة في مدينة نصر يوم ٧ يناير ١٩٧٠، واستكمل يوم ١٠ من نفس الشهر وحضره مع الرئيس جمال عبد الناصر نائبه السيد أنور السادات.

وجه الرئيس جمال حديثه إلى كبير الخبراء السوفييت قائلًا له:

- نحن نقدر جهودكم في كل شيء وفكرة الخبراء هي فكرتي وأنا صممت على هذا لأننا نريد أن نتعلم وأمامنا معارك كبيرة جدًّا، إما نستسلم أو نقاتل.

ثم التفت إلى الجميع قائلًا:

- كان الواضح من زيارة الرئيس «بودجورني» أن مشكلتنا الأساسية هي الدفاع الجوي والطيران، واستراتيجية إسرائيل مبنية على أساس الاحتفاظ بالتفوق الجوي لعدم إمكانها الدخول في سباق لباقي الأسلحة الأخرى. والحقيقة أن المعركة قادمة، وفيها سمعتكم كسوفييت لأن سمعتنا ضاعت عام ١٩٦٧. و«دايان» يقول إنه المخطط السوفيتي، ويجب أن تكونوا (موجهًا حديثه إلى المستشارين السوفييت) مسؤولين مسؤولية مباشرة لأجل سمعة العسكرية السوفيتية، وهذا ليس كلامي فقط ولكن الأمريكان قالوا هذا أيضًا في المجلة العسكرية الأمريكية عدد ديسمبر ١٩٦٩، وتوجد بيننا مصالح مشتركة. نريد السلام، ولكن أمريكا لا تريد منا إلا الاستسلام. وعلى أساس هذه المسؤولية المشتركة بيننا وجدت ضرورة هذا الاجتماع، وسوف أوالي هذا في المستقبل إن شاء الله. أنا أعتبر أنكم مسؤولون مسؤولية مباشرة.

ورد الجنرال «كاتشكن»:

- إن هذا كله حقيقي ونجاح المدرس مرتبط بنجاح التلميذ.

فرد عليه الرئيس جمال:

- أنا مسؤول أن التلاميذ يشتغلوا كويس.

وضحك الجميع.

ثم قال الرئيس جمال عبد الناصر في حزم:

- مسؤوليتكم ليس كخبراء أو مستشارين بل أكبر من هذا... وأية مشاكل لكم أنا مستعد لحلها فورًا. الموضوع بالنسبة لنا حياة أو موت.

ثم استمع إلى تقارير المستشارين السوفييت عن القوات الجوية، ثم الدفاع الجوي وبعده مستشار القوات البحرية، ثم تقرير مستشار الاستطلاع، ثم مستشار هيئة عمليات القوات المسلحة، ثم مستشار الجيش الثاني الجنرال «بوكاتو» ومستشار الجيش الثالث، كالآتي:

١ - تقرير مستشار القوات الجوية الجنرال «دينيسوف»

- قام سلاح العدو الجوي اعتبارًا من ٢٠ يوليو ١٩٦٩ ب- ٣٥٠٠ طلعة طائرة إسرائيلية لضرب وسائل الدفاع المصري وقوات الدفاع الجوي والقوات البرية واستخدم العدو أحسن طائراته في معارك الطائرات ضد الطائرات المصرية. أما قواتنا الجوية فقد قامت بحوالي ٢٩٠٠ طلعة حماية جوية، واشتركت في ٢٢ معركة جوية اشتركت فيها ١١٠ طائرات مقاتلة ضد ١٣٠ طائرة إسرائيلية، وكانت خسائرنا ٢٦ طائرة وخسائر العدو ١٤ طائرة.

ثم قال:

- عندكم مشكلة طيارين من ٩٢ طيارًا مقاتلًا لا يوجد إلا ٤٩ طيارًا فقط وليس كل الطيارين قادرين على تنفيذ المهام، حيث يوجد عدد كبير منهم في وظائف إدارية بالقواعد الجوية ولا يشتركون في أعمال الطيران. والمفروض أن يكون لدينا لكل طائرة قتال من ٢ إلى ٣ طيارين على الأقل.

وقال المستشار السوفيتي:

- إن مستوى الطيارين الحالي يحتاج إلى إجبارهم على الطعام، بدلًا من صرف بدل تعيين نقدي لهم، وهم لديهم قدرة على قيادة الطائرات المعقدة، وأرى أنه يجب التدقيق في اختيار طلبة الكلية الجوية، لأن المعدات معقدة وتحتاج إلى قدرة عالية لأن ثقافة ١٠ سنوات غير كافية لمثل هذا. وعندكم عدد كبير من الشباب المصري الأقوياء يذهبون إلى المعاهد والكليات المدنية وليس للقوات الجوية، ويجب استدعاؤهم وإعادة النظر في نظام اختيار الطلبة.

وقال:

- عند ترشيح ٤٥٠٠ فرد يتم اختيار ٥٠٠ فرد فقط، وفي المرحلة النظرية في الكلية الجوية يسقط ٢٥٪ منهم لضعف الثقافة النظرية.

وأشار الرئيس جمال عبد الناصر إلى إمكانيات العدو الجوية علمًا بأنه ليس لدينا صواريخ مؤثرة مما يشجع إسرائيل على الدخول في العمق أكثر مثل ضرب دهشور.

كما قال الرئيس:

- يجب ألا نظهر عجز القوات الجوية أبدًا، ففي يوليو ١٩٧٠ سيكون لدينا ١٤٦ طيارًا مقاتلًا، وسيكون عندنا ٢٦٠ طائرة ميج ٢١، ٦٠ طائرة ميج ٢١ م، ٢٤ طائرة ميج ٢١ لكل الأجواء.

ويجب زيادة الضبط والربط في القوات الجوية وتحديد مسؤولية كل قائد ومعرفة النقص في التدريب ودراسة النواحي الفنية ونواحي الصيانة والتوجيه والتنسيق للعمليات المشتركة خاصة أن الحرب القادمة حرب أسلحة مشتركة.

قال الرئيس:

- إن موضوع رادار رأس غارب سيكون درسًا للجميع، ويجب من الآن أن يتوفر كتاب قواعد خدمة الميدان، فهو يوضح جميع واجبات ومسؤوليات القوات المسلحة ويجب الرجوع إلى الأوامر المستديمة واتباعها.

ثم وجه سؤالًا مباشرًا إلى وزير الحربية:

- هل توجد أوامر مستديمة في الجيش؟ وأين هي؟ يجب تجميعها وإصدارها معتمدة من رئيس الجمهورية قبل ٧ فبراير لتكون قانونًا...

ثم قال:

- يجب وضع أسلوب للعمل على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة والقيادات. وما هو هذا الأسلوب؟ المهم لا داعي أن يسهر وزير الحربية ورئيس الأركان ليالي وراء بعضها. فكيف تسير الحرب؟ الجميع يعمل ليل نهار، هذا غير سليم، ولن نستطيع أن نحارب.

وعلى وزير الحربية أن يصدر توجيهات كاملة عن هذا، وإن من يصدر الأمر يكون مسؤولًا عنه، كذا من يصدر إليه الأمر سيكون مسؤولًا.

وهكذا ثم تساءل:

هل صدر هذا التوجيه؟ وإن كان قد صدر فهل عمل به أحد؟

هذه مشكلتنا... مسؤولية القائد: لذلك يجب تشكيل مجلس حرب في الجيوش لمناقشة الموضوعات وعلى حسب قرارات المجلس يصدر القائد قراره فلا يمكن مباشرة الأعمال اليومية ثم التفكير في القتال. ويجب وجود هيئة هي العقل المفكر للقائد، وليس للعمل اليومي ولكن للقتال. ويجب الأخذ بالآراء بحرية وصراحة حتى يمكننا أن ننجح.

وعن الشعور بالمسؤولية على جميع المستويات قال:

- يجب زيادة الشعور بالمسؤولية على جميع المستويات، واتخاذ إجراءات حازمة وشديدة لهذا.

يقول الرئيس مشيرًا إلى ما قاله الجنرال «كاتشكن» كبير الخبراء والمستشارين السوفييت:

- إن عندكم قائد كتيبة مثلًا غير صالح ينقل إلى القاهرة في مكان آخر يقول متشكر... ولكن يجب أن ينقل إلى الجيش في مكان إداري أو يعزل إلى قائد سرية.

وانتقل الرئيس جمال عبد الناصر إلى الروح المعنوية قائلًا:

- أهمية عناصر التوجيه المعنوي لتربية الروح المعنوية على أسس سليمة.

وتساءل:

- كيف يتم هذا؟

وأشار إلى ضعف إمكانيات وقدرات التوجيه المعنوي قائلًا:

- مش ممكن يوكل التوجيه المعنوي في الفرقة إلى نقيب واحد، يجب استكمال عناصر التوجيه المعنوي.

وعن حسن اختيار أفراد التوجيه المعنوي قال:

- يجب اختيار أحسن الأفراد في الدولة، من عندهم وطنية وغيرة على هذا الوطن يجندون في الجيش للقيام بهذا العمل.

وبعدها أصدر الرئيس جمال عبد الناصر أمرًا بأن هذا ممكن وسينفذ.

وعن دور القادة في غرس روح القتال قال:

- يجب أن يبدأ القادة في غرس روح القتال العالية للقوات، وعلى القادة الاهتمام شخصيًّا بهذا ويصدر وزير الحربية تعليمات بهذا.

وعن الانضباط قال:

- يجب مراعاة الضبط والربط وليس التحبب للضابط، والقائد مسؤول عن غرس روح القتال، ثم تقوم القيادة بعمل اختبارات. هناك خسائر في الوحدات أكثر من خسائر الحرب، مثل حوادث المركبات، إطلاق النيران، الإهمال.

وفي العام الماضي خسرتم ٢٦٠٠ عربة، ومن يغب أكثر من ٢١ يومًا يعتبر هروبًا ويحاكم. كذلك محاولات قتل النفس وحالات التردد في تنفيذ الأوامر... كلها موضوعات حيوية تضع القادة على جميع المستويات على مستوى المسؤولية، ويجب اتخاذ إجراءات تساعد على تقليل الحوادث ومعرفة أسبابها.

٢ - تقرير مستشار الدفاع الجوي

بعد أن استمع الرئيس إلى مستشار قائد الدفاع الجوي، وجه الرئيس عبد الناصر سؤالًا، ثم رد على نفسه قائلًا:

- كيف نواجه الشوشرة؟ فالعدو يوم ٥ يناير ١٩٧٠ جعل جميع شاشات الرادار بيضاء. ويمكن إسقاط الطائرات التي تقوم بأعمال الشوشرة مثل طائرات الهليوكبتر المجهزة، وهي تطير شرق القناة وعلى ارتفاع حوالي كيلو متر واحد، لذلك يجب استخدام القوات الجوية في الاصطياد الحر ضد هذه الطائرات.

ولكن مستشار الدفاع الجوي رد على الرئيس قائلًا:

- إن هذا صعب على الطيران نظرًا لاختلاف السرعات، ويمكن استخدام محطات ب ١٢ وتغيير التردد.

وسؤال آخر منه:

- لماذا لا ندمر رادارات العدو كما يدمر هو عندنا؟

ورد مستشار قائد الدفاع الجوي قائلًا:

- بالجهود المشتركة يمكن عمل هذا، ولكن في المنطقة الأمامية لا توجد للعدو رادارات.

وهنا التقط الفريق محمد صادق الكرة وقال:

- سأعينها لكم بالشعرة. (يقصد تعيين أماكن رادارات العدو بالدقة).

وضحك الجميع. وسؤال ثالث:

- كم طائرة أسقطها الدفاع الجوي من ٢٠ يوليو ١٩٦٩ إلى الآن ٧ يناير؟

قيل:

- في حدود ٣٥ طائرة طوال العام أسقطها الدفاع الجوي، منها ٧ طائرات أسقطتها قواتنا الجوية. وقد خسرنا ٣٣ طائرة.

٣ - تقرير مستشار قائد القوات البحرية

جاء تقرير مستشار القوات البحرية ببداية تثبت أن الكفاءة القتالية والفنية للبحرية المصرية أكثر تفوقًا من البحرية الإسرائيلية، ويمكن استغلال هذا التفوق في تدمير قطع العدو البحرية والمعاونة في عمليات الإبرار التكتيكية البحرية ومعاونة القوات البرية.

ثم قال:

- يمكن للقوات البحرية السيطرة على البحر الأحمر وخليج السويس، كما تستطيع عزل خليج السويس ويجب أن تقوم الغواصات المصرية في المستقبل بأعمال سبع البحر في البحر الأبيض المتوسط.

وأشار المستشار السوفيتي إلى القوات البحرية المصرية وقال:

- يجب تواجد ٧٥٪ من الضباط على ظهر السفينة، أما في الأسطول المصري فالموضوع ليس له اهتمام خاص حيث إنهم يعيشون على البر أكثر مما يعيشون في البحر.

ثم قال:

- إن ميناء الإسكندرية مزدحم جدًّا، ومن السهل تخريبه، ويجب تجهيز نقط التمركز واحتياجات القوات البحرية الإدارية مع توفير الانتشار.

٤ - تقرير مستشار رئيس الاستطلاع

جاء في تقرير مستشار رئيس الاستطلاع أن موقف الاستطلاع في القوات المسلحة يحقق لها القيام بأعمال الاستنزاف، ومعظم وحدات الاستطلاع أخذت خبرة قتال في الجبهة، وتم عمل ٢٠٠ طلعة عام ١٩٦٩، والتقط الاستطلاع اللاسلكي آلاف البرقيات. ثم قال:

- وفي عام ١٩٧٠ الحالي سيتطور الاستطلاع ويستطيع تنفيذ المهام المكلف بها طالما وضعت خطة سليمة.

ورد الرئيس عبد الناصر قائلًا:

- في تقرير من إسرائيل يقولون عنا إن مصر تصدق دعايتها، أما إسرائيل فتصدق فقط تقارير مخابراتها، والحقيقة أنه من مميزات إسرائيل مخابراتهم وأي مصري مزنوق في أي مكان في الخارج يجروا وراه ويعاونوه وهم أيضًا يتعاونوا مع المخابرات الأمريكية. وتحصل إسرائيل على معلومات عن مصر من الصحفيين الأمريكان والسواح وغيرهم، كما يقوم الاستطلاع الجوي الإسرائيلي بأعمال

الاستطلاع يوميًّا وبكثرة، وقبل أية عملية يسبقها الاستطلاع الجوي كما يستفيدون من حل الشفرة، ويعتبر حل الشفرة معلومات درجة أولى ويجب تدعيم هذه الناحية تمامًا... كما يجب تأكيد المعلومات من عدة مصادر ويجب أن يحصل الجيش على أسرى ووثائق من العدو حتى يمكن معرفة العدو حقًّا.

وعلق الجنرال «كاتشكن» على الاستطلاع قائلًا:

- إننا لا نعرف العدو الذي أمامنا من هو وما هي عاداته وما هي أعماله اليومية. فالقيادات في تقديرها للعدو تبنيه على تصورها هي وأفكارها فقط. وليست معلومات مؤكدة، ويجب تأكيد المعلومات من عدة مصادر.

ثم قال:

- يجب معرفة نقط القوة والضعف في دفاع القوات البرية وما هي شبكة الإدارة والسيطرة، وما هي شبكة السيطرة الإدارية، ولذلك نستطيع استباق العدو في عملياته المحدودة التي قد يستخدمها. ويجب على قادة الفرق الحصول على أسرى من العدو حتى لا تكون عمليات الاستطلاع سلبية.

ثم قال بطريقة عنيفة كأنه يوجه أوامر صارمة إلى المستشارين السوفييت:

- وإلا فإلى سيبيريا!

ثم حسن اللهجة قائلًا:

- نرجو قبل نهاية هذا العام تطوير الاستطلاع تمامًا والحصول على أسرى، حتى نستطيع معرفة معنويات العدو، وما هي روح القتال عندهم.

ثم استطرد قائلًا:

- يجب معرفة نتائج استجواب الأسرى، وأن يكون لديكم خطط للاستجواب لها قيمتها وليس أية أسئلة.

٥ - تقرير مستشار هيئة العمليات

قال الجنرال «كاتشكن» إن هيئة العمليات هي العقل المفكر لوزير الحربية ورئيس الأركان. ويجب أن يعمل بها أحسن ضباط القوات المسلحة وأكثرهم خبرة وكفاءة، ويجب أن تكون هيئة العمليات أقوى شيء ويجب عدم إجراء تنقلات كثيرة في القيادات والرئاسات، فهذا يؤثر على درجات الاستعداد. أما مراكز قيادات الجيوش والفرق، فهي كما هي منذ أول الحرب ويصعب تحريكها من مكانها وتعتبر هدفًا واضحًا للإغارات الجوية، ويجب اتخاذ قرار في هذا الموضوع. ويجب تدريب مراكز القيادة على الانتقال مع السيطرة على القوات، لأن المعارك الحديثة ذات مناورة سريعة والموقف يتغير بسرعة. ويوجد في بعض القيادات ضباط أعمارهم ٥٠ سنة فأكثر وهم كما هم يطلبون شبابًا في هذه المراكز مثلما هو موجود لديهم في القوات المسلحة السوفيتية، ثم قال الجنرال:

- يجب أن يكون فرع عمليات الجيوش شبابًا، ويجب وضع مبدأ ترشيح الضباط لهذه المناصب، مع كسر موضوع الأقدمية مثال نقيب مؤمن بوطنه وينفذ عمله تمامًا يرقى إلى عقيد بعد شهرين، وعقيد آخر ليس مستواه مثل الأول يبقى «عقيد» كما في القوات المسلحة السوفيتية.

وعلق الرئيس عبد الناصر على «كاتشكن» وقال:

- قامت إسرائيل بعمل مشروع مراكز قيادات في سيناء لمواجهة عملية عبور قناة السويس وأثناء تنفيذنا للمشروع الاستراتيجي كان العدو يقوم بنفس المشروع في الجبهة المضادة، كيف خرجت المعلومات إليه؟

ثم يقول:

- الضباط يمروا على المكاتب وفي النوادي يقولوا أي كلام ويجب وضع تخطيط كامل لمحاربة هذا.

وعلى فكرة محلات القيادات تعرفها إسرائيل فيجب تغيير الأماكن باستمرار.

وفي يونيو ١٩٦٧ كان الجنرال «جافيتش» قائد الجبهة الجنوبية يتقدم مجموعات القتال ويعمل أثناء الحركة، والحقيقة أن لدى إسرائيل مميزات القيادة أثناء الحركة.

وكان قرار الرئيس بخصوص هيئة العمليات والملاحظات التي أثارها المستشارون:

أ) تقوية هيئة العمليات لتكون هيئة عمليات مشتركة.

ب) يجب عمل خطة لتنظيم أمن الوثائق لكل الأفرع وتركيزها في يد فرد مسؤول.

ج) لا تؤجل المشروعات مطلقًا مهما كان السبب.

د) لدينا إمكانيات تعديل الخرائط بواسطة الصور الجوية وغيرها.

هـ) سندرس صناعة أجهزة التشفير (الشفرة) مع وزير الصناعة.

و) قادة الجيوش لهم حق اختيار الضباط الأكفاء مثل رئيس الأركان ورئيس العمليات وغيرهم.

ز) سنعمل تنقلات في شهر يناير بين الضباط ثم لن تكون هناك تنقلات إلا الضروري.

٦ - تقارير عن الجيوش الميدانية

في تقرير شفوي من الجنرال «كاتشكن» أفاد بأن الجيشين الثاني والثالث نفذا خطة الأعمال النشطة، ولكن يجب عمل عمليات جدية لرفع المعنويات، ويُمنح الأفراد المستحقون في هذه الأعمال الجريئة لقب «بطل الجيش» كرمز أنه بطل.

وعن الجيشين الثاني والثالث أشار إلى أنهم قادرون على تحطيم العدو وعبور القناة، كما أن مدفعيتهم أجبرت العدو على تغيير تكتيكاته والعودة إلى العمق خارج

مدى مدفعية الجيش، كما تم تطعيم المعركة للقوات في الجيشين.

- ولدينا أمثلة في الشجاعة والصمود خاصة في قوات الدفاع الجوي، منها أنهم لا يخافون النابالم أو القنابل.

وأنهى الاجتماع الثاني بعد منتصف ليلة ٨ يناير ١٩٧٠ إلى موعد اللقاء الثالث يوم ١٠ يناير ١٩٧٠.

ثالثًا: الاجتماع الثالث يوم ١٠/١/١٩٧٠

انعقد الاجتماع الثالث في السادسة والنصف مساء يوم ١٠ يناير ١٩٧٠ واشترك فيه المستشارون السوفييت وبدأه الرئيس عبد الناصر بتحليل الموقف قائلًا:

- في رأيي أن هناك احتمالًا واحدًا أن إسرائيل تعتقد أننا سنعبر في الصيف القادم، ولهم هدف وخطة محددة هي منع القوات المسلحة المصرية من عبور القناة، وهذا يتطلب حصولهم على السيطرة الجوية، وعلى هذا فقد بنوا مخططهم على مراحل:

- من اليوم حتى يونيو ١٩٧٠: ضرب كل وسائل الدفاع الجوي بالجبهة ثم العمق وكذا المطارات الأمامية مع استمرار قصف قوات الجبهة، حتى يطمئنوا على عدم قدرتنا على العبور مع استمرار حصولهم على المساعدات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية.

- من أول يوليو ١٩٧٠: القيام بالعمليات الخاصة لكسر المعنويات، وللعدو هدف وخطة لتنفيذ المخطط من يوليو.

وعن موقف قواتنا قال الرئيس:

- أما نحن فخططنا غير واضحة، وهدفنا إما الدفاع النشط أو حرب الاستنزاف، فقد بدأنا بتراشق بالمدفعية من أكتوبر ١٩٦٧، وكان اعتمادنا الأساسي عليه، ولما حدثت عملية نجع حمادي أوقفنا التراشق بالمدفعية، وركزنا الدفاع عن الأهداف الحيوية. ثم بدأنا نشاطنا مرة أخرى في مارس ١٩٦٩، وأحدث هذا النشاط الإيجابي باستخدام حرب الاستنزاف متاعب للعدو وما نشر في هذه الفترة يدل على متاعبهم في جبهة قناة السويس.

واليوم لا نسمع هذا، والسبب أنهم حلوا مشاكلهم وأعادوا خطوطهم للخلف، فقلَّت خسائرهم وأصبح الاستنزاف بالمدفعية بسيطًا وغير ذي موضوع.

ثم بدأنا الدفاع النشط بالقوات وهي عمليات ليست بخطة معينة وتكرر نفسها. واستطاع العدو تجهيز خطة مضادة لها، منها إضاءة أرض المعركة ليلًا بمشاعل الطائرات والعمل باحتياطياته المدرعة بقوة. وبتحليل الموقف وجدت أن خسائرنا في الاستنزاف كبيرة وإسرائيل تعلم هذا، كما أن القوات الجوية الإسرائيلية أصبح لها قدرة العمل بحرية وهذا يشجعها على طلعات وقت الإغارات الجوية.

ثم قال عبد الناصر:

- يجب أن نخرج من هذه الاجتماعات المشتركة بالآتي:

١ - خطة استكمال النقص فنيًّا

- وضع خطة مرنة بهدف محدد ومراحل محددة حتى نستطيع أن نزيد خسائر عدونا في هذه الفترة، وبالطبع لا إسرائيل ولا أمريكا تقبل أن نتفوق جوًّا على إسرائيل، وحتى روسيا تتحكم في كمية ونوعية السلاح إلى مصر، ولا يعطوننا صواريخ أرض-جو.

ونظر عبد الناصر إلى «كاتشكن» نظرة ذات معنى يقول له: «أنت بالطبع تعلم هذا».

وقرأ الرئيس عبد الناصر تقريرًا يوضح احتمال قيام إسرائيل بعمليات واسعة ضد مصر، وأهمها ضرب القوة الجوية المصرية، وحدد التوقيت في ربيع ١٩٧٠، وعلق على هذا بأنه إذا بقيت القوات المسلحة المصرية سليمة فستزداد حرب الاستنزاف ويزداد خطرها بعد هذا الشتاء، وتستطيع مصر الاستعداد للعبور إلى سيناء بقوة أكبر، وربما تصل إلى إسرائيل لتحطيم المعنويات الإسرائيلية. ومن تحليل عبد الناصر للموقف فإن القوات الإسرائيلية تستطيع القيام بإغارات متتالية لمدة ٢٤ ساعة بهدف القضاء على القوات المصرية، وإذا نجحت فستحاول تنفيذ مخطط «دايان» وهو احتلال المنطقة الشمالية من الأردن حتى المفرق، واحتلال درعا السورية، كذا الجنوب الشرقي من لبنان لإبعاد الخطر عن المستعمرات الإسرائيلية من جهة وتشديد الضغط على الحكومات العربية لقبول التسوية مع إسرائيل من جهة أخرى.

وعلق عبد الناصر على هذا التحليل أنه يجب من الآن حتى الربيع أو يونيو ١٩٧٠ تجهيز الخطة التي نواجه بها الموقف.

ثم أبدى ملاحظة مهمة وهي أن قوات القاهرة غير محتاطة للإغارات الجوية، رغم أن العدو سيهاجم الأهداف العسكرية في العمق في القاهرة والإسكندرية والدلتا، وستدمر قواعد الصواريخ بها، وقبل أية مرحلة سيضرب ميناء الإسكندرية.

كان هذا هو تقدير الرئيس جمال يوم ١٠ يناير ١٩٧٠ وقد تحقق منه الكثير فهل كنا مستعدين لها؟ وحول عبد الناصر الدفة إلى أسئلة يريد أن يشرك الروس في إيجاد حلول لها:

- أولًا: ما الموقف الإداري، الآن وأثناء الحرب، وأسلوب الإمداد، مع دراسة ما تم في الجيش الإسرائيلي؟

ثانيًا: ما مشاكل حرب الصحراء؟ وما هي الحلول المقترحة، والتي يجب مواجهتها من الآن وأطلب منكم عمل تقدير موقف إداري كامل؟

ثالثًا: ما أساليب القيادة والسيطرة الحديثة؟ وكيف يتم تحسينها وتطويرها في القوات المسلحة المصرية؟

رابعًا: ما مقترحاتكم لتدريب الضباط الأصاغر ورفع كفاءتهم القتالية؟

خامسًا: أريد أن تلقوا نظرة على الكلية الحربية وأساليب التعليم فيها، وما هي اقتراحاتكم؟

سادسًا: يجب التفكير في خطط الخداع والتضليل، ورغم أن الأمثلة كثيرة من الحرب العالمية الثانية فإننا نحتاج إلى أفكاركم عنها.

وأطلب منكم المشاركة في تقدير للموقف موضحين نقط الضعف وكيفية التغلب عليها، وإمكانيات الاستمرار في حرب الاستنزاف ضد العدو وإجراءات تقليل خسائر الاستنزاف المضاد، والخروج بخطة واضحة للاستنزاف وأخرى لمواجهة الاستنزاف المضاد.

وأراد عبد الناصر أن يبسط الأمور أكثر:

- إن جميع المشاكل المالية والمادية الخارجة عن إمكانيات وزير الحربية فإنني مسؤول عن تذليلها.

ثم قال في حزم:

- أنا مسؤول وسأحاسب كل فرد على تأدية واجبه في الوقت المحدد.

بعد أن انتهى الرئيس من كلامه تحدث الجنرال «كاتشكن» مستشار وزير الحربية قائلًا:

- شكرًا على هذه الفرصة الكبيرة لإمكانية تبادل الآراء ووجهات النظر، وهذا سيعطي لنا فرصة لحل المشاكل على ضوء الواقع.

ولقد كسبت القوات المسلحة المصرية بعض الخبرة في العمليات الحربية الهجومية، ولكن أضعف شيء في القوات المسلحة هو القوات الجوية، كذا كثرة التغييرات التنظيمية. والأفضل هو استكمال التنظيم، وتقليل الأفراد الذين لا يعملون في النواحي القتالية داخل التشكيل نفسه، وهذا يحقق خفة الحركة، ويجب ألا نخفف من القوة القتالية للفرقة.

وعن قوات المظلات قال:

- إنها دربت على تنفيذ مهامها.

أما الصاعقة فلم يستطيعوا تنفيذ المهام المكلفين بها، فكتائب الصاعقة في الدفاع حاليًّا، وهذا ليس واجبها، ولا تنظيمها يناسب الدفاع، ويجب سحبها وإعادة تدريبها على مهامها الحقيقية. وكتيبة الصاعقة بها ٧ عربات فقط، كيف يمكنها المناورة؟ حتى نسبة استكمال الضباط من ٥٠٪ إلى ٦٠٪ فقط. ومطلوب تشكيل ٣٠ كتيبة صاعقة، هذه مشكلة، أين الضباط المتخصصون؟ أين الضباط العاديون؟ وأين الأسلحة؟ ومن الصعب استخدام هذه الكتائب في مسرح العمليات بهذا الشكل.

وعن العلاقة بين القادة والمستشارين قال:

- إنها علاقة صداقة على أساس اندماج دموي أي علاقة ودية وعملية.

ثم طالب بإيواء المستشارين في الوحدات ليكونوا في الصورة تمامًا لما يحدث نهارًا وليلًا (كان المستشارون يتجمعون في مناطق إيواء خاصة بهم بعيدًا عن الوحدات).

وفي ختام هذا الاجتماع الكبير، قرر الرئيس عبد الناصر الموافقة على عدم استخدام الصاعقة في الدفاع، ويجب إجراء تدريب شاق ومستمر أحسن من القوات الأمريكية.

أما عن الوحدات الجديدة، فاقترح الرئيس إنشاءها وزيادتها حتى يمكن - في حالة قيامنا بالهجوم - أن نفكر في جيش الداخل.

ثم قال الرئيس عبد الناصر:

- العدو تعاقد على عدد كبير من الطائرات الهيل، وفي آخر ١٩٧٠ سيكون لدى إسرائيل ٣٠٠ هليوكبتر، كما أن العدو وحد المشاة مع القوات الخاصة في قيادة واحدة وعمومًا يمكن استخدام الصاعقة في أعمال تعطيلية في سيناء وعلى طول المواجهة، أو تكون جاهزة للتحرك إلى أية منطقة في البلد واستخدامها كفرسان الجو.

٢ - خطة العمل

وجه الرئيس جمال عبد الناصر حديثه النهائي إلى المستشارين قائلًا:

- إنكم تؤدون واجبًا لخدمة مصالحنا واستقلالنا الوطني، ونحن نقدر هذا تمامًا من الاتحاد السوفيتي، وإحنا اللي طلبناكم ونشكر جهودكم والتعاون الكامل ضرورة لكسب المعركة، ولذلك يجب أن يزيد التعاون بيننا. ومن المفيد أن يعمل القادة اجتماعات بهذا الشكل مع الخبراء، ونبحث الأمور في بحث مفتوح بصراحة ووضوح، لأنها تساعد على التفاهم الكامل وهضم أمور كثيرة.

ثم قال:

- ويجب أن يكون لنا خطة عمل وأن نجد حلًّا لكل النقاط التي أثيرت ويمكن مناقشة الأمور بين القيادات والمستشارين، ثم مناقشتها بين وزير الحربية ورئيس الأركان، والجنرال «كاتشكن»، وإن شاء الله ستكون الجلسة القادمة في أوائل فبراير ١٩٧٠ لمناقشة تقدير الموقف والخطط بالتوقيتات وتوزيع المسؤوليات وكل واحد يكون مسؤولًا.

قال جمال عبد الناصر في النهاية:

- يجب أن يكون هناك تخطيط مشترك لكل موضوع ومراقبة في التنفيذ، وأكون سعيدًا لو عرفت الأخطاء ومستعد لإصلاحها، فإسرائيل متفوقة ويجب أن نقلب هذا الوضع، ورجالنا عاوزين يتعلموا وعبد المنعم خليل قال إنني أعرف تمامًا العمليات المشتركة على الورق، ولكن أريد أن يتعلم القائد عمليًّا منكم وهو قائد جيش. وشكرًا.

وانتهى الاجتماع بعد منتصف ليلة ١١ يناير ١٩٧٠.

اجتماعات الرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة بشأن التوجيهات العامة لمرحلة الاستعداد للقتال أولًا: يوم ١٦-١٧ مارس ١٩٧٠ بمجمع القيادة في مدينة نصر

حضر الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعين متتاليين بحضور نائبه السيد أنور السادات، ووزير الحربية الفريق أول محمد فوزي، ورئيس الأركان الفريق محمد صادق، وقادة الأفرع الرئيسية، ورؤساء الهيئات، ومديري الإدارات. وكان هدف الاجتماع هو دراسة الموقف العسكري ومعرفة قدرة وكفاءة القوات المسلحة وقدرات العدو الإسرائيلي.

وكان تعليق الرئيس على الموقف بصفة عامة كالآتي:

- أنا ضد تفتيت القوات وهذا حدث منذ عام ١٩٤٨، والعدو الإسرائيلي يعمل بقوة وحشد، وإنه يستطيع تدمير القوات المنعزلة في حدود السرية المشاة، وهذا ما حدث فعلًا، وإذا اضطررنا إلى هذا الأسلوب فيجب أن نعتمد على الدرع وتوفير الحماية للقوات كما يفعل اليهود.

ثم استمر الرئيس في تحليله للموقف، فقال:

- قد يحاول اليهود احتلال مناطق لعدة ساعات؛ قد يحتلوا قنا مثلًا أو يكسروا كوبري نجع حمادي، لأن العدو يعتبر أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم. وقد قرأت أن أحد الصحفيين كتب أنه إذا استدعى الأمر فسيحاول العدو الوصول إلى القاهرة، وسيضربوا المطارات الأمامية بصفة مستمرة لمنع الطائرات الروسية من الوصول إلى أهدافها لقصر مداها.

واستطرد:

- وإسرائيل في حالة قلق وتوتر مستمر، أما نحن في مصر، فالجو جو سلم. والوضع السياسي والاقتصادي في إسرائيل وضع صعب حاليًّا. وقد قرأت مقالة توضح أنهم ما زالوا يقاسون من حرب الاستنزاف ويفضلون الحرب المفتوحة... هل هذا حقيقي؟ وعلى إدارة المخابرات بحث هذا الموضوع. كما يوجد لدى إسرائيل خريطة اقتصادية كاملة لجميع الدول العربية، كما أن مخطط العدو حاليًّا هو زيادة النشاط لإنهاء حرب الاستنزاف وتقبل مصر إيقاف القتال.

ووجه الرئيس سؤالًا إلى رئيس هيئة العمليات:

- ما رأيك لو قام العدو الإسرائيلي بعمل إبرار جوي على هدف حيوي تحرسه فصيلة دفاع مستقل؟

وكان رد اللواء التهامي:

- يوجد في كل محافظة مركز احتياطيات من سرايا الدفاع المستقل للقيام بالنجدة.

١ - حماية الأهداف الحيوية

قال الرئيس:

- يجب إعادة النظر في حماية الأهداف الحيوية نهارًا وليلًا... ووجود فصيلة في الدفاع زي قلته والاحتياطي المخصص للنجدة احتياطي على ورق لا حيوصل ولا حاجة! ولكن في المستقبل بعد عبورنا القناة سنترك البلد في حماية كتائب الدفاع المستقلة ولذلك يجب أن تكون هذه الكتائب في مواقعها قادرة على مقابلة القوات الخاصة الإسرائيلية ويجب ألا نتوهم أن عندنا دفاع عن الأهداف الحيوية، لا ضد الإبرار ولا حتى ضد التخريب.

فيجب أن نعتمد أساسًا على الكتائب المستقلة وأن تتصدى هذه الوحدات لقوات الإبرار الجوي المعادي، ويجب دعمها بهاونات وخلافه، وتقوم هيئة العمليات وهيئة التفتيش بالمرور على هذه الأهداف وتأكيدها.

٢ - توقعات الرئيس عبد الناصر لأعمال العدو المحتملة

أ) الدعاية الإسرائيلية

توقع الرئيس أن حوالي ٥٠٪ من عمليات العدو الإسرائيلي عمليات سياسية ويرتب لها العدو ترتيبًا كبيرًا ويخترع قصصًا خيالية، وخاصة عملية الكيلو متر ٣٢-٣٩ في منطقة رقبة الوزة من شمال القنطرة إلى جنوب بورفؤاد، وهذه الدعاية تؤثر علينا في الخارج كثيرًا. والعدو سيكرر الموقف في الدلتا ويهاجم سرايا الرادار وأهدافًا حيوية أخرى. وقال إنه يتوقع أنه بعد عملية البحر الأحمر - التي سبق أن أخطر بها اللواء أحمد إسماعيل عندما كان رئيسًا للأركان، أنها ستحدث ولم يفعل شيئًا - أنها ستحدث في الدلتا أساسًا.

- ويجب ألا نستجيب للعدو ونرسل قوات إلى البحر الأحمر ونفتت قواتنا.

(وهذا ردًّا على تحرك بعض وحدات مقاتلة للبحر الأحمر بعد عمليات العدو السابقة). وقال إن العدو الإسرائيلي يريد فرض إرادته بالقوة.

ب) التأثير على الجبهة الداخلية

قال عبد الناصر في إصرار:

- لا يمكن أن يفرض علينا العدو إرادته بالقوة، ولن يتم هذا إلا إذا وجد العدو أفرادًا يحكمون البلد يستطيع أن يفرض عليهم قوته، وهدف العدو أيضًا هو التأثير على الجبهة الداخلية وفيها حاليًّا ضيق بعد ٣ سنوات.

وقد يعمد العدو إلى استخدام الغازات أو أي سلاح جديد. وخسائرنا كثيرة من يناير إلى الآن وهذا له تأثير كبير. والقائد الشاطر عاوز يحقق هدفه بدون عبور القناة.

ثم قال:

- وأنا ذهبت إلى موسكو لتقوية الدفاع الجوي ولكننا نسير في طريق صعب جدًّا، ولا نستطيع احتمال أن يقوم العدو باحتلال موقع ما في شمال الدلتا دون أن نفعل شيئًا.

ونجاح العدو في بعض العمليات المحدودة يدل على أن الهجوم هو خير وسيلة لفرض الرأي وهدفه ٥٠٪ أن تقلب البلد علينا وعلى القوات المسلحة، ورغم أني أعمل على حل سلمي، ولكن الأمريكان لن يعطوني حلًّا سلميًّا - وأمريكا لا تقبل إلا الاستسلام.

وقال:

- هم يعلمون أننا لن نهجم في الصيف، لأن لديهم تفوقًا جويًّا والحل الوحيد هو إشراك الروس في العملية. فالحرب حرب بهلوانية.

ثم قال:

- نريد أن نضرب هليوكبتر يهودية أو نصطاد واحدة من اللي تدخل لماذا لا، يجب أن لا نسمح للعدو بأخذ أي شيء في الشمال أو في أي مكان يجب أن تفكروا في هذا. ادرسوا معركة بريطانيا وكيف وقفت أمام ألمانيا.

ثم وجه حديثه إلى الفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة قائلًا له:

- أنا أقول للفريق فوزي يجب إعادة النظر في الموقف، ويجب ألا نعيش في وهم، ويجب على القطاع الشمالي أن يكون قويًّا، ولا نقبل أن يقوم العدو بعمل أي شيء في شمال الدلتا، حيث عدد كبير من الأهالي، والحل السلمي أو الحرب يحتاج إلى جبهة داخلية قوية.

ثم قال موجهًا حديثه إلينا جميعًا:

عندي سؤال، إذا كان العدو لديه تفوق جوي فكيف ندفع احتياطي القيادة العامة إلى الجيش الثاني مثلًا والطرق محدودة؟ كيف نحركه والعدو سيقفل الطرق جوًّا وبدقة؟

ج) تقديرات الرئيس عبد الناصر

- قبل ٥ يونيو كان هناك توقع، ولم يكن هناك استنتاج، وفوزي وصادق كانوا موجودين وقلت يوم ٥ يونيو سيحصل شيء وتقديري ليس معلومات ولكن استنتاجًا من تغيير الحكومة وغيره، ولم يقدر أحد أن يوم ٥ يونيو سيحدث به هجوم ولم يكن في القاهرة أي قائد، وتقدمت قوات العدو في الفجر دون أن يشعر بها أحد، وكان اليهود يبنون خططهم يوم بعد يوم، ولم تستطع مخابراتنا الوصول إلى شيء فكيف نعتمد على تقدير المخابرات في إعطاء موقف الحشد؟

ويجب أن تعرفوا أن العدو سيعمل في مثل هذه العملية خطة خداع وإحنا نعرف المناورات من استخدام اللاسلكي، والعدو دائمًا يعمل مشروع بعد مشروعكم ويفتح لاسلكي، وقد يعمل العدو مشروع بشبكات لاسلكية ويدخل في غرض آخر. ويجب أن نفكر في عدة وسائل لمعرفة نوايا العدو وللهجوم. ارجعوا إلى خطة خداع العلمين التي عملها «مونتجمري» وارجعوا إلى كتاب «جينز»، وتوجد عربات كثيرة مركب عليها مالودكا وخلافه، ويمكننا طلب مثل هذه الأنواع والأسلحة من روسيا ونعمل جيش الداخل وإيجاد عنصر مدرع في كتائب الدفاع المستقلة،

وأعيدوا النظر أيضًا في تنظيم كتائب الصاعقة، وتوفير أسلحة مضادة للطائرات وتكون قيادة مجموعة الصاعقة حتى يمكن للكتائب التحرك بسهولة.

٣ - خطورة المركزية

وجه الرئيس جمال عبد الناصر سؤالًا مباشرًا إلى القادة عن القيادة وشريان العمل، قال:

- هل بالنسبة للقيادة وشريان العمل موضح فيه اختصاصاتكم وواجباتكم مع الأفرع الأخرى من الجيوش الميدانية، هل هناك مشاكل في التعاون؟ إني أتصور ضعف جهاز العمليات عندنا، هل نطلب أفرادًا روس للعمل معنا؟ ويجب أن نصل إلى شيء ونعرفه غصبًا عن العادات والتقاليد، ويجب أن نأخذ ونعطي مع الناس ونعمل أسلم الأشياء... ويجب تحديد الاختصاصات تمامًا وبوضوح لكل فرد، وكل يقول رأيه بصراحة. وهذا يعتبر موضوع بحث لجميع أجهزة القيادة.

٤ - رأس كوبري مصري في الضفة الشرقية

وختم الرئيس جمال عبد الناصر حديثه في اليوم الأول من هذا اللقاء بطلب يريد أن يبحثه القادة كل فيما يخصه بصفة عامة، وتدرسه هيئة عمليات القوات المسلحة بصفة خاصة، وهو كيفية عمل رأس كوبري في الضفة الشرقية في شهر مايو القادم. ويجب الحصول على معلومات أكثر من داخل إسرائيل، ويمكن الحصول عليها من أي مصدر ويجب أن تحصل العمليات على أحدث الصور والمعلومات عن إسرائيل، ويجب أن يكون لدى كل فرد فينا خيال التفكير.

وهكذا انتهى الاجتماع الأول قبل منتصف ليلة ١٦-١٧ مارس ١٩٧٠ على أن يستأنف مساء يوم ١٨ مارس ١٩٧٠ في المكان نفسه.

ثانيًا: مؤتمر ١٨ مارس ١٩٧٠

بدأ الاجتماع في حوالي الساعة السادسة والنصف مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة نصر وبدأه الرئيس جمال عبد الناصر بعدة قرارات وجوبية على النحو التالي:

١ - الشفرة والكود

- يجب دراسة كتاب «كسر الشفرة»، وهو كتاب قيم وتجهز محاضرات منه تدرس للقادة والرؤساء. ويجب تغيير الأسماء الكودية والترددات دائمًا مثلًا كل ٦ ساعات، مع عدم إرسال أية معلومات باللاسلكي في الجبهة، فالعدو يعرف الكثير عنا، وإحنا ليس لدينا جواسيس، ولكن لدينا عدم سيطرة على اللاسلكي، ولذلك يجب استخدام الخداع في اللاسلكي، ولأن الطيران المعادي دائمًا في الجو مع احتمال قيامنا بأعمال جوية.

٢ - القوات الجوية

- يجب تدريب الطيارين على القتال الليلي والاستعداد لعمليات التصاعد ووضع خطة للطيارين: يجب أن تقوم القوات الجوية بالاستطلاع والتركيز على ضرب الرادارات والهوك بقوة، ولا داعي لضرب النقط القوية للعدو (لم يكن الضرب الجوي له تأثير كبير على تحصينات العدو). يجب أن تجهز العمليات أهدافًا لها قيمتها لضربها بصواريخ توبولوف ١٦ المعدل وتوضع خطة مؤثرة للطيران وتنظيم التعاون بين القوات الجوية والدفاع الجوي من اليوم، وهذا الموضوع حيوي جدًّا. ويجب أن نضع أسلوبًا ونصمم على اتباعه.

٣ - الدفاع الجوي

طرح الرئيس عبد الناصر هذا السؤال:

- ما هو السبب في كسر دفاعنا الجوي؟! وكيف نضمن الانتصار مرة أخرى؟

ثم استمر قائلًا:

- الدفاع الجوي هو العملية رقم واحد حاليًّا، ويجب زيادة الدفاع الجوي على المنشآت مع الاعتماد على الدفاع السلبي أيضًا من حفر وإخفاء وتجهيزات هندسية، ولماذا لم يتم إنشاء مواقع كتائب الصواريخ حتى الآن؟ ويجب على المهندسين إعطاء الفتوى لنا: ماذا نعمل؟ هل يمكن عمل إنشاءات سابقة التجهيز مثلًا؟

٤ - التدريب

- يجب التصميم على التدريب مهما كان السبب ونحن لم نوقف القتال حتى الآن ولكننا لا نستطيع أن نقوم بالرد حاليًّا على العدو، ولكن قد تضطرنا الظروف إلى العبور في عام ١٩٧٠ الحالي ونطلب من الطيران حمايتنا، وعلى هذا فالاستنزاف الجوي لقواتنا الجوية حاليًّا غير مؤثر، ويجب وضع خطة متكاملة لكسب العدو في الاستنزاف.

٥ - العلاقة مع المستشارين السوفييت

وعن العلاقة مع المستشارين السوفييت قال:

- العلاقة مع المستشارين مهمة جدًّا جدًّا ويجب تعبئتهم معنا بأي ثمن، وكلامهم له تأثير على العسكرية السوفيتية. ونحن في حاجة إليهم جدًّا. لقد أرسلوا أولادهم إلينا هنا ليموتوا، يجب تقديرهم تمامًا. نريد أن تكون العسكرية السوفيتية معنا دائمًا. أية مشاكل معهم يجب حلها أولًا بأول. نحن في يدنا كل شيء، لن يسيطروا علينا أبدًا.

وانتهى الاجتماع قبل منتصف ليل ١٨ مارس ١٩٧٠.

ودارت عجلة الاستعداد والتدريب ورفع المعنويات والتعاون مع المستشارين السوفييت تنفيذًا لقرار القائد الأعلى، وأن نعمل على أن يكون الخير هو المسيطر على الجميع مع الجدية في التدريب والإعداد.

زيارات الرئيس المفاجئة لجبهة القتال

وقام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة مفاجئة لجبهة القتال في شهر مارس ١٩٦٨ والزيارة الثانية في شهر نوفمبر عام ١٩٦٩، وكان توقيتها يتفق مع يومي الثاني والثالث لعيد الأضحى المبارك وكانت الزيارة الثالثة والأخيرة لجبهة القتال في أوائل يونيو ١٩٧٠ بعد نجاح قوات الجيش الثاني في الحصول على أسرى أحياء من رجال المظلات يوم السبت ٣٠ مايو ١٩٧٠، وكان يوم الحزن في إسرائيل ولذلك سمي بالسبت الحزين.

ومع أول ضوء يوم أول يونيو حولت القوات الجوية الإسرائيلية المنطقة من بورسعيد إلى القنطرة إلى جحيم من النيران في إغارات مستمرة نهارًا وليلًا لم نشهد مثلها من قبل، وامتد القصف إلى كل منطقة الجيش الثاني بل والجبهة بأكملها والتي لم يكن لها أي تأثير أو خسائر.

وخلال هذا القصف كان قائد الجيش الثاني الميداني لواء أ. ح عبد المنعم خليل بالصدفة في طريقه لزيارة بعض القوات بالإسماعيلية وتوقف عند كوبري نفيشة جنوب غرب الإسماعيلية مباشرة، وكانت طائرات العدو تقصف موقعًا لكتائب الصواريخ في منطقة غرب واحة المنايف، وإذا به يشاهد عربة جيب حربي تقف أمامه وبها الرئيس جمال عبد الناصر والوزير محمد فوزي واللواء البوريني قائد الجيش الثالث وكانت مفاجأة. وقال الرئيس لقائد الجيش الثاني الميداني:

- من قال لك إننا سنحضر هنا؟

فرد عليه قائد الجيش الثاني:

- قلبي دليلي.

فضحك الرئيس ونزل من السيارة ومعه الفريق أول محمد فوزي وركبوا جميعًا سيارة قائد الجيش الثاني إلى الإسماعيلية وخلفهم سيارة جيب حربي بها السيد محمد أحمد ياور الرئيس وبعض الحراس، وبعد أن اطمأن الرئيس على موقف الجيش الثاني طلب زيارة الإسماعيلية ومروا أمام المحافظة حوالي الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر وكانت مقفلة، ثم مروا في طريق آخر وإذا بهم يجدوا فكهانيًّا قد علق صورة جمال عبد الناصر على محله وبسؤاله عن مكان غرفة مدير الأمن وقبل الإجابة فوجئ بالرئيس جمال بسيارته وكانت فرحته لا تقدر بثمن، وظهرت صورته في اليوم التالي في صدر جرايد الصباح.

قام الرئيس جمال بزيارة غرفة عمليات مديرية أمن الإسماعيلية، وقابل اللواء شرطة محمد السعيد، وسعد جدًّا بهذه الزيارة التي كانت سببًا في مد مدة خدمته عامًا آخر، بناء على طلب قائد الجيش الثاني من الرئيس جمال عبد الناصر لأنه يستحق أكثر من مد الخدمة، فقد كان مثالًا للإخلاص والوفاء والتعاون. ثم في مركز قيادة الفرقة الثانية المشاة بالإسماعيلية حيث نزل الركب من السيارة سيرًا على الأقدام تحت الأرض، حيث قابلهم العميد أ. ح. أحمد مراد قائد الفرقة، وكانت سعادته وسعادة كل أسرة الفرقة لا تقدر وتناولوا طعام الغداء، وبعد استراحة قصيرة عاد

الرئيس جمال عبد الناصر إلى نفيشة، ومنها إلى القاهرة وكان هذا آخر لقاء في الجبهة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السابع

أعمال قتال الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة

كان التقدير الذي اتفقت عليه كل من القيادة السياسية والقيادة العسكرية بعد الخامس من يونيو مباشرة أن القوات الجوية وقوات الدفاع الجوية تشكلان العامل الحاسم في المواجهة مع العدو الإسرائيلي بدءًا من مرحلة الصمود، وانتهاء بمرحلة الإعداد لمعركة تحرير الأرض. وبالتالي فقد حظي الفرعان باهتمام مركز من جانب كلتا القيادتين، وكانت القيادة السياسية تتابع تطورهما يومًا بيوم وتواصل بذل جهودها وتكثيف اتصالاتها خاصة مع الاتحاد السوفيتي لتبليغ احتياجاتها ورفع كفاءتها القتالية كما وضح في الفصول السابقة.

وقد شهدت السنوات الثلاث التي أعقبت المعركة نتائج عملية تجسدت في مسرح العمليات من خلال أعمال القتال التي شاركت فيها القوات الجوية والدفاع الجوي أو في حجم الدعم الذي قدمته لكل من القوات البرية والبحرية في المواجهة.

القوات الجوية

أولًا: تطوير القوات الجوية

١ - إعادة التنظيم

شهدت القوات الجوية عملية تطوير شاملة سواء من حيث الحجم أو الكيف، بدأت بخطة لإعادة تنظيمها واستهدفت أساسًا تحقيق اندماجها في نسيج القوات المسلحة تنظيمًا وقيادة، تطبيقًا لمبدأ إن النصر في المعركة يتحقق بوحدة القوات المسلحة وليس بواسطة فرع رئيسي منها مثل القوات الجوية منفردة. وفي الوقت نفسه فقد تم فصل قوات الدفاع الجوي عن القوات الجوية وجعلها قوة رئيسية رابعة في القوات المسلحة. وجرى إعداد مسرح العمليات الخاصة بالقوات الجوية ليتناسب مع حجم المساعدات الإدارية والفنية اللازمة لها. ومن ثم فقد تم توسيع القواعد والمطارات الجوية لتصل إلى ٣٢ مطارًا وقاعدة بعد أن كانت ٩ مطارات فقط قبل معركة ١٩٦٧. وتم استكمال الإعداد الميداني والهندسي في كل قاعدة أو مطار ليكون ممرين بدلًا من ممر واحد. وأنشئت شبكة اتصالات جيدة وغير ذلك من التجهيزات التي مكنت القوات الجوية من اكتساب المرونة في التحركات وفي الإيواء وفي المناورة.

وشملت عملية إعادة التنظيم كذلك توسيع الكلية الجوية الرئيسية في بلبيس وأنشئت أربعة مراكز تدريب في مناطق أخرى مثل مرسى مطروح والبرجات ودراو وقاعدة جمال عبد الناصر في ليبيا. كما تم استخدام الضباط الطيارين السابقين الذين توقفوا عن الطيران لأسباب صحية كموجهين أرضيين، بدلًا من ضباط الصف الذين كانوا يتولون هذه المهمة. وقد ساعد ذلك على تعديل خط القيادة والسيطرة وتطوير التعاون بين أجهزة التوجيه الأرضي وبين التشكيل الجوي أثناء العمليات.

كذلك فقد تم تعديل أسلوب التدريب القتالي في قواتنا الجوية تعديلاً جذريًّا باعتباره المحور الأساسي لرفع الكفاءة القتالية، فقد كان مجموع ساعات الطيران لكل طيار مقاتل قبل المعركة يتراوح بين ٨ و١٠ ساعات طيران في الشهر، لكنها ارتفعت بعد المعركة إلى ٢٠-٢٢ ساعة شهريًّا، يضاف إلى ذلك أن تدريب الطيارين كان يتم في كل من مصر والاتحاد السوفيتي في وقت واحد وبنفس عدد الطيارين بهدف اختصار فترة الإعداد لمعركة التحرير.

٢ - أعداد الطائرات والطيارين

كان موقف القوات الجوية عقب معركة يونيو ١٩٦٧ كالتالي:

?????	?????	???????	???????	??????
ميج ٢١	١٤٤	٩٨	٣٣	٦٥
ميج ١٥ و١٧	١٠٠	٦٨	٢٢	٤٦
ميج ١٩	٤٠	٢٠	٩	١١
سوخوي ٧	٥١	١٧	١١	٤٠ منها ٢٩ بالمخ
الجملة				١٦٢ مقاتلة-قاذفة

وقد أثمرت الجهود العربية، والضغط السياسي للرئيس جمال عبد الناصر على الاتحاد السوفيتي في أعقاب المعركة مباشرة، توريد ٤٠ طائرة ميج ١٧ من الجزائر؛ وبلغ ما أرسله الاتحاد السوفيتي من الطراز نفسه عبر الجسر الجوي والبحري ١٠١ طائرة، كما أعقبها إرسال عدد ٤٤ طائرة ميج ٢١، وبذلك تكون جملة الطائرات المقاتلة-القاذفة التي توفرت لدينا خلال الشهر الأول بعد المعركة هي: ١٦٢ + ١٠١ + ٤٤ = ٣٠٧، وكان عدد الطيارين يفوق هذا العدد.

وقد ارتفعت هذه الأعداد في يونيو ١٩٦٩ لتصل إلى ٣٩٣ طائرة مقاتلة ومقاتلة-قاذفة، من بينها ١٧٠ طائرة ميج ٢١. أما في يونيو ١٩٧١ وتنفيذًا للصفقة التاريخية التي وُقعت مع الاتحاد السوفيتي في يونيو ١٩٧٠ فقد بلغ العدد ٤١٥ طائرة مقاتلة-قاذفة (تضم ١٧٨ ميج ٢١، ٩٧ سوخوي ٧، ١٤٠ ميج ١٧)، وكان العدو يمتلك في ذلك الوقت عدد ٤٠٠ طائرة مقاتلة-قاذفة منها ٥٠ طائرة فانتوم لم يتسلمها بعد.

أما بالنسبة لأعداد الطيارين فقد كان بيانهم كالتالي:

أ) ميج ٢١: ١٧٠ + ٦٤ طيار سوفيتي دفاع جوي + ٢٤ طيار ميج ٢١ تدريب.

إجمالي: ٢٥٨، وبذا أصبحت نسبة الطيارين للطائرات ٢.١٥ طيار لكل طائرة.

ب) سوخوي ٧: ١٢١ + ٢٤ طيار سوفيتي = ١٤٥.

وبذا أصبحت نسبة الطيارين للطائرات ٢ طيار لكل طائرة.

ج) ميج ١٧: ١٢١، وبذا أصبحت نسبة الطيارين للطائرات ٢ طيار لكل طائرة.

وكان العدو في ذلك الوقت يعمد إلى استجلاب حوالي مائتي طيار متعددي الجنسيات اعتبارًا من وصول الفانتوم في سبتمبر ١٩٦٩.

وتجدر الإشارة إلى أن خبرة المعارك الجوية قد أظهرت بعض نقاط الضعف في طائرات الميج ٢١ والسوخوي، سواء من حيث المدى التكتيكي، أو قلة حمولة الذخيرة والقنابل، أو فيما يتعلق بالقدرة على المناورة في عمليات الاشتباك الجوي. وبعرض هذه الدروس المستفادة على الجانب السوفيتي عمل على تعديل الطائرات المقاتلة وزيادة إمكانياتها من خلال تصنيع موتور جديد باسم R 511 عدل من كفاءة وقدرات الطائرة ميج ٢١، وتصنيع حمالات لحمل الصواريخ بدلًا من القنابل، مما مكن الطائرات المقاتلة من قصف أكثر من هدف واحد.

ثانيًا: عمليات قواتنا الجوية

١ - استعمال الأسلحة المضادة للطائرات

كان للاشتباكات الجوية معنى كبير جدًّا لدى قواتنا المسلحة والشعب، ولدى الرئيس عبد الناصر شخصيًّا. وكانت إسرائيل تفتخر وتجاهر بقدرة سلاحها الجوي، وتسميه «الذراع الطويلة»، الذي يحقق لها سياستها التوسعية. أما قواتنا الجوية فكانت تعمل وتقاتل لمحو آثار هزيمة قواتنا الجوية في يونيو ١٩٦٧، ولتثبت للاتحاد السوفيتي، مورد السلاح الوحيد، أن طيارينا يستخدمون طائراتهم بكفاءة، فيتحمس لتلبية طلباتنا من الطائرات المتطورة. ومن هذا المنطلق رفعت المساعدات والمكافآت المعنوية والأدبية للطيارين المقاتلين الجدد إلى أقصى ما يمكن بالإضافة إلى تسجيل المهارات الجوية في سجل الطيار وسجل التشكيل الجوي.

في صباح يوم ٢٠/٧/١٩٦٩ بدأ العدو غاراته الجوية على قواتنا غرب القناة مستخدمًا طائرات المستير والميراج والطائرات المروحية بكثافة بسيطة في البداية، ثم ازدادت بعد ذلك حتى وصلت إلى معدل سربين في اليوم الواحد، تقوم بأكثر من ست غارات طوال اليوم وعلى طول المواجهة.

وفي يوم ٢٨/٧/١٩٦٩ أدخل العدو سربين آخرين من نوع السكاي هوك الحديثة التي يوجد بها مساعدات ملاحية وحمولة قنابل أكبر. وكان استخدام الصواريخ سام ٢ والمدفعية المضادة للطائرات التي كانت تأخذ مواقع تبادلية ليلًا وتترك المواقع الأصلية نهارًا، وتحويلها إلى هيكلية، فكان هذا الأسلوب مؤثرًا جدًّا على طائرات العدو ليلًا. وكانت هذه التجربة مشجعة لقواتنا حيث زادت المواقع التبادلية والاحتياطية والهيكلية للمعدات والأفراد علاوة على استخدام السد النيراني من الأسلحة الصغيرة واستماتة أطقم المدفعية المضادة للطائرات عيار ٣٧ مم وعيار ١٠٠ مم، والتي شاهدت بنفسي أحد أطقمها خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩ وهو محروق بكامل أفراده وهم يقبضون بأيديهم على أجهزة المدفع وجميعهم شهداء.

٢ - بدء غارات قواتنا الجوية

في يوم ٢٤/٧/١٩٦٩ جهزت قواتنا الجوية ٢ سرب ميج ١٧ لضرب هدفين محددين للعدو - نتيجة الاستطلاع الجيد - أحدهما في أم خشيب مركز قيادة العدو الأمامي، والثاني في رأس سدر الحيطان مركز تجمع دبابات العدو، وخصص سرب لكل هدف وتم القذف بدقة وأحدثت خسائر كبيرة في كلا الهدفين. وكان سرب ميج ٢١ قد تخصص لحماية هذه الغارة. وعادت جميع طائراتنا سالمة عدا طائرة واحدة ميج ١٧ هبط قائدها بالمظلة مصابًا في مواقع العدو.

كان هذا الطيار قد صمم على توجيه إصابة دقيقة لقلب الهدف للمرة الثانية لدرجة أن قائد السرب اعتقد أنه ينوي الانتحار مع طائرته للحصول على إصابة قاتلة للعدو، ولكنه صعد بطائرته مرة أخرى بعد الانقضاض الثاني، غير أنه أصيب واضطر إلى الهبوط بالمظلة مصابًا ووقع أسيرًا في يد العدو.

أما باقي طياري السرب فقد طلبوا تكرار هذه العمليات يوميًّا زيادة في الثقة بأنفسهم، ولكنني أوقفت هذا الحماس لدى قائد القوات الجوية، إذ إن مقومات قواتنا الجوية لم تكن قد استكملت تمامًا.

وفي ١١/٩/١٩٦٩ قامت أكثر من ١٠٠ طائرة مقاتلة-قاذفة، في تشكيل أسراب قاذفة ميج ١٧ وأسراب حماية ميج ٢١ في شكل أنساق متتالية، طوال اليوم بقذف أهداف للعدو على المحور الشمالي من رمانة حتى مصفق، والمحور الجنوبي من متلا حتى سدر الحيطان. وتمت هذه العملية بتنسيق جيد مع قوات الدفاع الجوي كما ظهرت قدرة القتال والقذف على مستوى السرب بالكامل لأول مرة، فدللت على قدرة قواتنا الجوية في العمليات الجوية.

وفي ٢٣/١٠/١٩٦٩ بعد غارة الدفرسوار وأسر الضابط «دان أفيدان» جهزت القوات الجوية سرب مقاتلات ميج ٢١ لقتال العدو المتوقع اقترابه للمنطقة كما وُضعت لقائد السرب خطة وأسلوب قتال محدد. وعند اقتراب العدو كانت أربع طائرات ميج ٢١ تقلع لاستقباله، وتم الاشتباك الجوي قبل أن يتمكن من إلقاء قنابله على منطقة غرب الدفرسوار، ثم تبعتها أربع طائرات ميج ٢١ أخرى، وعندما شاهد العدو ذلك التخطيط الجوي الجديد لم يكمل مهمته، وفك اشتباكه الجوي وألقى بقنابله شرق القناة، وعاد هاربًا من المعركة الجوية التي قدر أنها ستكون خاسرة نتيجة التخطيط والاستعداد الجيد لقواتنا الجوية. وقد تعلمنا من هذا الحادث درسًا بضرورة تنسيق التعاون بين أجهزة الإنذار وبين الموجهين الأرضيين وبين مجموعات الميج ٢١.

وكان رد فعل هذه العملية الجوية ورد فعل عملية الدفرسوار الناجحة مؤثرًا جدًّا دلل على التعاون والتنسيق بين الجيش والقوات الجوية.

وكان الدرس الثاني من هذه العملية الجوية هو تغيير الموجهين الأرضيين ليكونوا ضباطًا ذوي رتبة كبيرة ممن توقفوا عن الطيران لأسباب عدة، لإدارة توجيه الطائرات في الجو بعد اكتشاف اقتراب طائرات العدو وظهورها على شاشة رادار

الموجه، وهو عمل قيادي يصدر من الموجه إلى تشكيل الميج ٢١، وهو يعمل كمظلة في الجو، وكان هذا التعديل من وجهة نظر الاشتباكات الجوية تطورًا كبيرًا في تغيير أسلوب القيادة والسيطرة والتوجيه للعمليات الجوية، وبذلك، تغيرت نتائج الاشتباكات الجوية لتكون في صالح قواتنا الجوية.

أما الدرس الثالث فقد تمثل في معرفة العدو لقدرة طائراتنا في البقاء في الجو عند تنفيذ مهمة المظلات للوقاية وهي مدة بسيطة. فكان ينتظر إطلاق طائراته وبعد فترة من الزمن تصعد طائراته للاشتباك الجوي مع طائراتنا ويكاد وقودها ينتهي فيصبح لقاءً غير متكافئ من ناحية القدرة على البقاء في الجو.

وقد تنبهت قواتنا الجوية لهذا الخطأ بعد أن فقدنا عدة طائرات. فأعدت مجموعة من أربع طائرات ميج ٢١ ولم يصدر أمر إطلاقها للجو إلا بعد أن تشاهد على شاشات الرادار الأرضية صعود طائرات العدو من مطاراته القريبة للمواجهة، ثم يصدر الأمر بالصعود ويتم الاشتباك مع طائرات العدو من موقف متعادل بل من موقف قوة، إذ إن التوجيه السليم في الأرض مع مميزات الطائرة الميج ٢١ يجعل النتيجة دائمًا في صالح الميج ٢١ سواء كانت طائرات العدو من نوع السكاي هوك أو الفانتوم.

٣ - استخدام القاذفات الخفيفة

في أوائل أكتوبر ١٩٦٩ استخدمت قواتنا الجوية طائرات ال-٢٨ لأول مرة في حرب الاستنزاف على أهداف معادية شرق رمانة على الطريق الساحلي بعدد ٢ طائرة تعاونها أربع طائرات ميج ٢١ للحماية الجوية. وعند عودة الطائرات ال-٢٨ إلى قاعدتها سالمة تبعتها غارة مركزة من الميج ١٧ مكونة من ٤ طائرات، حيث تقوم بقصف الأهداف نفسها بعد مرور أقل من نصف الساعة، حيث يلاحظ الطيارون أن أفراد العدو حول هذه الأهداف لا يزالون تحت تأثير انزعاج وخسائر الغارة الأولى. وهكذا استمرت تشكيلاتنا الجوية تتدرج في قذف أهداف العدو على هذا المحور بغارات متواصلة ولكن بأعداد قليلة لا تزيد على أربع طائرات ميج ١٧، وكانت طائرات الحماية الجوية الميج ٢١ أكثر عددًا في كل غارة.

وعندما وضع العدو ثلاث كتائب هوك مضادة للطائرات على المحاور الثلاثة في سيناء في النطاق التكتيكي شرق القناة، قامت قواتنا الجوية بتجهيز سربين ٣٠ طائرة لمهاجمة وتدمير كتيبتي هوك على المحور الشمالي والأوسط يوم ٢٦/١٠/١٩٦٩، وكان أسلوب الهجوم الجوي يتناسب مع خصائص صواريخ الهوك بعد أن درسوها وتدربوا عليها على أهداف هيكلية، وتم تدمير الكتيبتين بواسطة السربين في وقت واحد.

وكانت القوات الجوية تضع طيارًا حديث الخبرة مع ثلاثة طيارين أكفاء في كل تشكيل جوي رباعي بهدف رفع كفاءة الطيار الحديث على القتال الجوي وعلى القذف بالقنابل والصواريخ جو-أرض.

وفي بداية عام ١٩٧٠ تطورت هجمات القوات الجوية ودخلت بتشكيلاتها الجوية عمق سيناء التعبوي، وكانت الغارة المركزة على منطقة «ناحال بام» غرب العريش مباشرة وعلى مسافة ١٠٠ كيلو متر من قناة السويس مثلًا جيدً ا على تطور العمليات الجوية لقواتنا الجوية من الميج ٢١ (بعد تزويدها بموتور جديد قوي) في عمق سيناء.

وفي نفس الوقت قام العدو بقذف أهداف في العمق المصري مستخدمًا أسلوب القذف المفاجئ والهرب السريع، مستغلًا الثغرات الرادارية جنوب السويس وبالاقتراب المنخفض جدًّا بهدف شن حملة نفسية ضد أفراد الشعب وتساعد في تأليبهم ضد القيادة السياسية.

فقام العدو في يناير ١٩٧٠ بقذف مناطق التل الكبير وأنشاص ودهشور والمعادي، وفي فبراير ١٩٧٠ قذف مناطق «أبو زعبل» وشرق القاهرة الهايكستب، وفي أبريل قذف مدرسة بحر البقر ولم تزد الغارة على طائرتين في كل حالة. وكان العدو يختار أهدافًا بعيدة عن مرمى صواريخ سام، وكانت نتائج قصف العدو لهذه الأهداف في العمق عكس ما كان يتوقعه، فقد عمقت التقارب بين الشعب وقيادته السياسية، كما ازداد الإنتاج في الأهداف الاقتصادية نتيجة لتصميم العاملين فيها على الصمود والتحدي، ولم يُحدث خسائر سوى في أبي زعبل وبحر البقر فقط.

وفي ١٦/٢/١٩٧٠ قام تشكيل جوي ميج ٢١ مكون من أربع طائرات بالاشتباك مع طائرات العدو وتم إسقاط عدد ٢ طائرة ميراج.

وفي بداية أبريل ركز العدو هجماته الجوية باستخدام قنابل ١٠٠٠ رطل على مواقع الصواريخ سام ٣ التي بدأت تأخذ أماكنها في الجبهة، وكان تركيزه على المواقع الأسمنتية حديثة الصنع حتى تتأثر أكثر بسبب عدم جفافها. كما بدأ يهاجم مواقع كتائب الرادار للإنذار الجوي على طول المواجهة وفي الساحل الشمالي للدلتا.

وكانت قوات الدفاع الجوي قد استكملت شبكتها الصاروخية بعد وصول سام ٣ وتمركزه في مواقعه فارتفعت قدرة شبكة الدفاع الجوي على الجبهة، كذا على المدن الرئيسية، كما تطورت قواتنا الجوية بعد وصول الدعم السوفيتي في صفقة يناير ١٩٧٠، بالإضافة إلى تعديل موتور الميج ٢١ بموتور جديد برقم R 511 بالإضافة إلى التعديلات التي تمت للطائرات المقاتلة القاذفة ميج ٢١ + السوخوي ٧ + الميج ١٧، سواء في المدى التكتيكي أو زيادة حمولة الصواريخ والقنابل أو في المرونة الجوية، فأصبحت قواتنا الجوية بهذه التعديلات والإضافات في القوة، كذا قوات الدفاع الجوي عقبة كبيرة أمام طائرات العدو الذي اضطر إلى التوقف عن قذف العمق المصري في ١٨/٤/١٩٧٠. ووضح ذلك في تصريح «حاييم بارليف» للصحافة الأمريكية يوم ٢٩/٣/١٩٧٠، أي بعد وصول سام ٣ إلى مصر وتطور قواتنا الجوية إلى الأفضل من ناحية القدرة ومن ناحية العدد: «على المرء ألا يقع في تصور أن صواريخ سام ٣ دفاعية. إن هذه الصواريخ بالإضافة إلى قدرة الميج ٢١ الجديدة سوف تعطي مصر قوة هجومية، وإنها سوف تخلق لديها شعورًا بالحرية في أن تعمل ما تريد».

وكان رد قواتنا الجوية على أهداف العدو في سيناء مركزًا وبعدد كبير من الطائرات، ففي المدة من ١٨/٤/١٩٧٠ حتى ٢٨/٤/١٩٧٠ نفذت ٦ هجمات جوية مركزة متتالية في ١١ يومًا ضد مراكز القيادات ومناطق تجميع الدبابات ومناطق تجميع الأفراد ورادارات القوات الجوية ومواقع صواريخ هوك الجديدة، بتشكيلات من قواتنا الجوية للقذف وأخرى للحماية الجوية. المهم أنها كانت غارات مركزة ومتتالية أثبتت قدرة قواتنا الجوية على الردع والتحدي. كما أثبتت قدرة قواتنا الجوية على الاستمرارية المتتالية، وهي صفة مطلوبة لقوة الدفع والإسناد في المعارك الجوية الحديثة.

ثالثًا: تعويض خسائر المعركة

في آخر لقاء مع المارشال «جريشكو» في أول يوليو ١٩٧٠، وبعد إحاطة قادة الكرملين بعزم مصر على استئناف القتال بعد انتهاء فترة الوقف المؤقت لإطلاق النار، والعمل على تنفيذ خطة تحرير الأرض، تأكدت من عزم القيادة العسكرية في موسكو على استمرار استيعاض خسائر المعركة بل وإضافة دعم جديد من المعدات وخاصة الطيران في حالة تعمق وزحف القوات المسلحة المصرية والسورية إلى عمق أهدافها المحددة في الخطة.

وكانت علامات استعداد الاتحاد السوفيتي من وجهة نظر تعويض الخسائر قد تأكدت، عندما أصيبت خمس طائرات ميج ٢١ في مايو ١٩٧٠ فوق منطقة السخنة، بأن سارع الاتحاد السوفيتي بتعويض هذا العدد في ظرف أسبوع واحد فقط. إن التعويض وسد الخسائر موضوع مهم للغاية عند الإعداد للخطط الهجومية.

وفي رحلة الرئيس عبد الناصر إلى موسكو في ٢٩/٦/١٩٧٠ تم عقد صفقة كبيرة من ناحية الحجم، حديثة من ناحية النوع، شملت وحدات استطلاع تعبوي واستراتيجي متحركة في ٢ لواء استطلاع ت ي S 16 تمركز أحدهما في مرسى مطروح والآخر في أسوان، كما شملت رف من طائرات ميج ٢٥ للاستطلاع التعبوي والاستراتيجي تمركزت في غرب القاهرة. وهذه الطائرة تتميز بطيران مرتفع جدًّا وبسرعة فائقة أمكن دخولها في عمق إسرائيل، وعندما تصدت لها طائرات العدو لم تتمكن من اللحاق بها بسبب ارتفاعها الشاهق وسرعتها. وأمدتنا بصور جوية نادرة عن التجمعات العسكرية للاحتياطي الاستراتيجي في عمق إسرائيل. كما أضيف لقواتنا الجوية عدد ١ لواء جوي استطلاع استراتيجي من ت ي S 16 حامل لصواريخ ضخمة لقذف الأهداف المعادية عن بعد. وكانت هذه الصفقة قد أضافت لقواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوي ووحدات الاستطلاع نوعًا جديدًا من التكنولوجيا الحديثة هي وحدات إلكترونية للإعاقة والتشويش والتوجيه، وأدى دخولها الخدمة إلى ارتفاع قدرات قواتنا الجوية وقوات الدفاع الجوي وأصبحت قواتنا مساوية من الناحية الفنية لقوات العدو الجوية الذي امتلك هذه الوحدات قبلنا.

وبوصول معدات وأجهزة الحرب الإلكترونية لقواتنا وتمركزها في منطقة القناة، كذا وحدات أخرى مماثلة للمنطقة المركزية «القاهرة»، اعتبرت إسرائيل

والولايات المتحدة أن هذا الدعم في حد ذاته ردع عسكري لإسرائيل بالإضافة إلى اعتباره ردعًا سياسيًّا للولايات المتحدة الأمريكية حيث أصبح التوازن الجوي بين طرفي الصراع متساويًا، الأمر الذي أجبر إسرائيل على طلب وقف إطلاق النار وإنهاء حرب الاستنزاف من واشنطن.

رابعًا: بطولات للطيارين

خلال حرب الاستنزاف شاركت اللواءات الجوية ووحدات الدفاع الجوي ضد غارات العدو الجوية والاشتباك معها قبل أن تقترب إلى أهدافها، وكانت للطيارين مواقف بطولية يجب ألا ننساها وأرى لزامًا عليَّ التنويه عنها.

ففي مطار أنشاص قام مقدم طيار سامي فؤاد قائد لواء جوي ميج ٢١ بالاشتباك مع طائرة مقاتلة-قاذفة إسرائيلية طراز سكاي هوك وأسقطها، ثم أطلق عليه صاروخ أرض-جو بطريق الخطأ من قواتنا فسقط شهيدًا.

ومن نفس المطار قام رائد طيار حسن القصري بطائرة ميج ٢١ ودخل سيناء في عملية «قنص حر»، واشتبك مع تشكيل جوي إسرائيلي وأسقط طائرة ميراج وتمكنت الطائرات الأخرى من إصابته وسقط شهيدًا.

ومن نفس المطار أيضًا قام الرائد طيار نبيل شكري بطائرة ميج ٢١ واشتبك مع طائرة ميراج إسرائيلية وأسقطها وعاد إلى القاعدة وأخذ عربة جيب ليعود إلى نفس المنطقة التي أسقط فيها الطائرة المعادية بهدف استقطاع جزء من جناحها.

ومن مطار المنصورة قام ملازم طيار أحمد عاطف واشتبك بطائرة ميج ٢١ مع العدو ويضطر للهبوط اضطراريًّا في قرية بمحافظة الغربية، ويقوم الفلاحون بضربه ظنًّا منهم أنه إسرائيلي وكادوا يفتكون به لولا أن أنقذه أفراد وحدة مدفعية مضادة للطائرات متمركزة في المنطقة.

ومن مطار أبو صوير ينجح النقيب طيار أحمد نور الدين بقيادة أربع طائرات ميج ٢١ ويهاجم ٣ طائرات ميراج يوم ٣/١١/١٩٦٨ ويجبرها على الفرار ولم تحقق أهدافها.

ويكرر النقيب طيار عمليات القنص الجوي وينجح في تدمير طائرتين ميراج بمفرده يوم ٢٠/٧/١٩٦٩ ولكنه يصاب أثناء الهبوط الاضطراري ويستشهد.

ومن مطار أبو صوير قام الرائد طيار سامي مرعي بقيادة تشكيل من أربع طائرات ميج ٢١ يوم ٢٦/٢/١٩٧٠، ونجح في تشتيت تشكيل من طائرات قاذفة-مقاتلة للعدو وأجبرها على الهروب وأمر التشكيل بالهبوط وكان هو آخر من يهبط ولكنه أصيب من كمين العدو أثناء هبوطه واستشهد.

ويقول المقدم طيار علي زين العابدين قائد لواء ميج ٢١ في اجتماع حضره الرئيس جمال عبد الناصر يوم ١٧/٨/١٩٦٩ إن النقيب طيار أحمد شريف اشتبك ست مرات بطائرته الميج ٢١ بعد إدخال التعديلات الفنية عليها وتمكن وحده من تدمير ٣ طائرات ميراج للعدو الإسرائيلي.

عمليات قوات الدفاع الجوي

قوات الدفاع الجوي هي إحدى الدعامات الثلاث(ت) التي مكنت القوات المسلحة المصرية من تحقيق المرحلة الصعبة من مراحل تحرير سيناء وهي العبور. وقد تقرر في خطة إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة بعد معركة ١٩٦٧ فصل قوات الدفاع الجوي عن القوات الجوية وجعلها فرعًا رئيسيًّا من أفرع القوات المسلحة وهكذا أصبحت هي القوة الرابعة.

وكانت القيادة السوفيتية قد أرسلت وفدًا عالي المستوى يرأسه الرئيس «بودجورني» ورئيس الأركان «زخاروف» إلى القاهرة يوم ٢١/٦/١٩٦٧، وتناولت المباحثات أهم قضايا الساعة التي تتمثل في الموقف العسكري الخطير على القناة وسماء مصر المكشوفة لطيران العدو. وكانت الرغبة المصرية تقضي بضرورة أن يكون الدفاع الجوي عن أهدافنا الحيوية في مصر مشتركًا بين المصريين والسوفييت(ث) ولكن الرئيس «بودجورني» أبلغ الرئيس عبد الناصر أن رفاقه في موسكو وافقوا على ضرورة الاشتراك السوفيتي بأكبر جهد ممكن لتدعيم الدفاع الجوي عن مصر بالكامل، وأنه من الأنسب أن يكون الدفاع الجوي مصريًّا، على أن تقدم له مساعدات سوفيتية.

وكانت جهود الرئيس عبد الناصر تستهدف جر الاتحاد السوفيتي عسكريًّا لتتمكن مصر من تصحيح التوازن العسكري وإعادة تسليح القوات المسلحة بأسلحة حديثة متطورة والتركيز على رفع القدرة والكفاءة القتالية للقوات الجوية وقوات الدفاع الجوي بصفة خاصة.

كان العدو الإسرائيلي يمتلك تفوقًا جويًّا عندما شن طيرانه هجماته الجوية ضد الجبهة المصرية يوم ٢٠/٧/١٩٦٧. وكان السبب في اشتراك قواته الجوية في العمليات ضد الجبهة المصرية هو اقتناع القيادة العسكرية الإسرائيلية بعدم فاعلية أسلحته البرية ضد تصاعد ونمو القدرة القتالية المصرية التي وصلت بأسلحتها وأعدادها وإرادتها حدًّا ساهم في اهتزاز معنويات القوات الإسرائيلية المواجهة لها على الجانب الشرقي للقناة.

وفي ذلك الوقت كان لدى قواتنا عدد ٦ كتائب صواريخ سام ٢ وعدة كتائب مواسير مضادة للطائرات جميعها من مخلفات الحرب العالمية الثانية.

أولًا: إعادة تنظيم قوات الدفاع الجوي

بدأتُ في إعادة تنظيم قوات الدفاع الجوي وزيادة حجمها مع تنويع أسلحتها ومعداتها كما وضعت لها مسؤوليات وواجبات كبيرة لحماية تشكيلات القوات المسلحة ضد التدخل الجوي للعدو أولًا، ثم وقاية الأهداف الحيوية في الدولة وأهمها المدن الرئيسية والقواعد الجوية والمطارات. الأمر الذي أدى إلى زيادة حجمها بأكثر من أربعين ضعفًا عما كانت عليه عام ١٩٦٧.

وتمثلت أول صعوبة أواجهها بعد معركة ١٩٦٧ في ضرورة تسليح قوات الدفاع الجوي بسلاح إضافي على أثر الهجمات المعادية المنخفضة جدًّا، ولم يكن موجودًا

لدينا هذا السلاح ولا موجودًا في الاتحاد السوفيتي أيضًا، فلجأت إلى شراء الرشاش نصف بوصة المضاد للطائرات سواء الفردي أو الثنائي أو الرباعي من دول الغرب.

وبعد ذلك طلبت من الاتحاد السوفيتي سلاحًا مشابهًا واستجاب لطلبي وصنع صاروخًا مضادًّا للطائرات على الارتفاعات المنخفضة جدًّا أطلق عليه «الاستريلا»، وهو من قبيلة الصواريخ سام ٧، وتم تدريب أطقم خاصة من قوات الدفاع الجوي عليه، وتحولت إلى كتائب ضمن تنظيم لواءات الدفاع الجوي بعد ذلك في التشكيلات البرية.

وكان التدريب على هذا السلاح يتم على طائرات بدون طيار تعاقدنا عليها من الغرب ويتم السيطرة على طيرانها أوتوماتيكيًّا من مراكز تدريب الدفاع الجوي.

كان الدفاع الجوي في منطقة غرب قناة السويس معتمدًا في البداية على المدفع ٣٧ مم بالتوجيه المباشر والمدفع عيار ٥٧ مم بالتوجيه الراداري ومدفعية ثقيلة عيار ١٠٠ مم موجهة بالرادار علاوة على الرشاش ٢/١ بوصة بأنواعه الثلاثة ووحدات من سام ٧ توجيه مباشر.

وتوزعت لواءات المدفعية المضادة للطائرات عيار ٤٠ مم وعيار ٣.٧ بوصة وهي أسلحة غربية ولواءات صواريخ سام ١ و٢ على أهداف العمق في المدن الرئيسية والقواعد الجوية والبحرية، ولكن كثافة الدفاع الجوي كانت ضعيفة. كما خصصت لواء صواريخ سام ٢ مدعمًا بوحدات أسلحة مضادة للطائرات لمنطقة أسوان لوجود الخزان والسد العالي بها وجعلتها منطقة دفاعية منفصلة.

وبدأت في إنشاء شبكة الإنذار البعيد ودعمت بأنساق المراقبة بالنظر وكانت أولوية إنشاء كتائب الرادار على الجانب الشرقي لوادي النيل أولًا من بورسعيد شمالًا حتى رأس بناس جنوبًا.

ثم امتدت هذه الشبكة نحو الغرب، وغطت وادي النيل من الإسكندرية حتى أسوان. كما أنشئت شبكة مواصلات داخلية منفصلة عن شبكة الجمهورية تدعمها شبكة لاسلكية على ترددات معينة واصطلاحات كودية اتفق عليها لسرعة التبليغ عن اقتراب الطائرات المعادية إلى غرف العمليات.

ثانيًا: عمليات العدو الجوية

ركزت خطة العدو الإسرائيلي على إعاقة عملية بناء جدار قوي للدفاع الجوي ووقف التجهيزات الهندسية في مسرح العمليات ومن ثم فقد صعد من عملياته الجوية خلال عام ١٩٦٩ مع ظهور مفعول التطوير الذي أمكن تحقيقه في هذه القوات، ففي الفترة من ٢٠/٧/١٩٦٩ إلى ٢٨/٧/١٩٦٩ قام العدو بتنفيذ ٥٠٠ طلعة طائرة خلال أسبوع واحد كانت تقذف ٢٠ طنًّا من القنابل علاوة على الصواريخ، وفي يوم ٢٠/٧/١٩٦٩ على سبيل المثال بدأ هذا الهجوم بقوة ٤٦ طائرة ميراج وسكاي هوك ضد كتيبة صواريخ سام ٢ كانت تتمركز في بورسعيد وبكمية من القنابل جو-أرض وقنابل النابالم تزيد بكثير عما يستلزمه ضرب هدف

واحد، مما عكس تخوف الطيارين الإسرائيليين من رد فعل الدفاع الجوي وأدى إلى إلقاء كميات كبيرة من القنابل والصواريخ في البحر.

وكان تركيز الهجمات الإسرائيلية خلال هذه الفترة على ضرب مواقع الصواريخ سام غرب القناة، وقصف القوات البرية المتمركزة غرب القناة بهدف إعاقة عملية البناء العسكري، وتكثيف الهجمات ضد مواقع الرادار في الجبهة وخليج السويس بهدف فتح ثغرات رادارية في الحقل الراداري لتسهيل مهمة الطائرات الإسرائيلية.

وقد توالت الهجمات الإسرائيلية بعد ذلك، والتي تصدت لها قوات الدفاع الجوي، وكان أبرزها الآتي:

١ - في ١٩/٩/١٩٦٩ حاول سرب قاذف-مقاتل من العدو تدمير موقع رادار به ٢ محطة رادار إنذار جنوب غرب مدينة السويس - منطقة عتاقة - وكان قائد الموقع قد نقل محطاته وأجهزته ومعداته إلى موقع تبادلي قريب في الليلة السابقة وحول الموقع الأصلي إلى موقع هيكلي مملوء بالحياة. وكان العدو قد أتم استطلاع الموقع قبل استبداله.

اقتربت طائرات السرب المعادي من الموقع المحدد له في خطة القذف السابق استطلاعها في اليوم السابق. وقعت القنابل والصواريخ في الموقع الهيكلي. وكان القائد قد خصص مدفعين ٥٧ مم وسرية رشاشات ثنائية ٢/١ بوصة لحماية موقع الرادار في وضع مناسب جدًّا لإطلاق نيرانها على الطائرات المعادية أثناء مهاجمتها للموقع الهيكلي القريب. وتمكن من إسقاط ٣ طائرات معادية منها طائرة قائد السرب وفشل العدو في تدمير محطة الرادار.

٢ - في ٢٣/١١/١٩٦٩ حاول العدو تدمير محطة رادار مصرية كانت متمركزة في منطقة عجلون بالأردن منذ معركة ١٩٦٧، وكانت تمد غرفة العمليات الرئيسية بالقاهرة بإنذارات مبكرة عن طلعات الطيران المعادي جهة الغرب والجنوب الغربي. وكان يدافع عن هذه المحطة مدفعان ٤٠ مم مضادان للطائرات وبعض الرشاشات ٢/١ بوصة من الجيش الأردني. تصدت نيران الرشاشات والتي كانت تغير أماكنها وسط صخور هذه المنطقة للطائرتين المعاديتين من طرازي مستير والفيتوري والتي تمكنت من قصف صاروخ واحد أحدث تلفيات بسيطة وانتهت المعركة بإصابة طائرتي العدو الذي لم يحاول استخدام هذه الأنواع من الطائرات في عمليات جوية بعد ذلك.

وكانت قوات الدفاع الجوي قد استكملت تنظيماتها ودعمت من الاتحاد السوفيتي بالمدفع ٢٣ مم الرباعي الموجه، كذا بأجهزة توجيه وإنذار متعددة ومتطورة، وانتهت من بناء شبكات المواصلات الداخلية، حيث ظهرت فاعلية الدفاع الجوي وبدأت التنسيق مع القوات الجوية والقوات البرية على الجبهة والمناطق العسكرية، الأمر الذي بدأت تظهر معه فاعلية وحدات الدفاع الجوي ضد طيران العدو في جبهة القتال.

وبعث «إسحق رابين»(ج) في ٢٥/١٠/١٩٦٩ برقية إلى حكومته يكرر فيها الحاجة إلى تعديل مسار حرب الاستنزاف، ونصح بضرورة تكثيف الغارات الجوية في عمق مصر وضرب الأهداف العسكرية والاقتصادية والاستراتيجية في العمق المصري، وهي الطريقة الوحيدة لإجبار المصريين على وقف الحرب خاصة أن حرب الاستنزاف واستمرارها وتصاعدها تؤثر على المباحثات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

كما ذكر «أبا ايبان» أن «إسحق رابين» كان يمطر الحكومة الإسرائيلية ببرقيات يحثها على التصعيد العسكري ضد مصر. ومن الواضح أن «هنري كيسنجر» ووكالة المخابرات المركزية قد أيدا موقف «رابين» ولا شك. إن مناصرة «إسحق رابين» القوية ساعدت بالتأكيد على ضمان أغلبية داخل مجلس الوزراء تؤيد القيام بهجمات جوية أكثر تركيزًا وكثافة على أعماق مصر.

وفي أواخر عام ١٩٦٩ بدأ العدو يتسلل بطائرات فردية إلى العمق الداخلي مستغلًّا ثغرات الرادار في الحقل الراداري دون أن يكتشف. ولكن أثبتت فاعلية قوات الدفاع الجوي في الفترة بين يوليو وسبتمبر ١٩٦٩ أحسن اختبار عملي مع طيران العدو بالرغم من الخسائر الكبيرة التي تحملتها قوات الدفاع الجوي على جبهة القتال في تلك الفترة، والتي أكدت أن العدو الرئيسي للطيران الإسرائيلي هو قوات الدفاع الجوي في نفس الوقت.

٣ - وفي يوم ٢٥/١٢/١٩٦٩ هاجمت إسرائيل كتائب الصواريخ في الجبهة بعدد ١٩٢ طائرة، واستمر الهجوم ثماني ساعات متواصلة. واستشهد عدد من أبطال الدفاع الجوي وخسرنا بعض المعدات، ولكن قواتنا كانت تقاتل بشراسة وتحقق خسائر في العدو.

ثالثًا: الاتفاقية التي غيرت ميزان القوى

١ - تقدير موقف طارئ

قدمت للرئيس عبد الناصر تقدير موقف عن قدرة القوات الجوية وقدرة الدفاع الجوي وتوقيتات الانتهاء من الفاعلية المطلوبة لتحرير الأرض في ميعاد أقصاه ثلاث سنوات كما قررها الرئيس عبد الناصر في ١١/٦/١٩٦٧، وذكرت في التقدير استحالة الوفاء بذلك وطلبت منه إما دعمًا كبيرًا وفعالًا من الاتحاد السوفيتي أو تأخير موعد تسليم القوتين الرئيسيتين إلى أواخر عام ١٩٧١ (ملحق رقم ٤ المرفق).

٢ - إعادة النظر في قدرة شبكة الدفاع الجوي

في الأسبوع الأول من يناير ١٩٧٠ بدأ العدو يقذف العمق المصري وأصبح من الضروري، بعد دراسة تقديري للموقف المقدم إلى الرئيس، إعادة النظر في قدرة شبكة الدفاع الجوي الموجودة في مصر.

حيث قذف العدو الأهداف التالية في الفترة من ٧/١/١٩٧٠ حتى ١٨/٤/١٩٧٠، أي خلال ١٠٠ يوم تقريبًا:

- مصنع «أبو زعبل» ووادي حوف وحلوان في ١٢/٢.

- أنشاص والتل الكبير ودهشور والخانكة في ١٧/٢.

- غرب القاهرة ورادار دمياط والصالحية والقناطر الخيرية في ٦/٣.

- رادار عوبيد في ١٢/٣.

- رادار المنصورة في ١٣/٣.

- رادار بلطيم في ٢٣/٣.

- مدرسة بحر البقر في ٨/٤.

وأسفرت هذه الغارات عن خسائر محدودة إلا في غارة «أبو زعبل» وبحر البقر، حيث استشهد ٧٠ عاملًا في الأولى وحوالي ٣٠ طفلًا في الثانية، ولم ينجح قصفه لمواقع أجهزة الرادار في شل جهاز الإنذار، ولكن التأثير المعنوي في الشعب عامة أذهل العالم كله، فقد اقترب من قيادته السياسية والعسكرية أكثر، وطالب بالثأر وحتمية تحرير الأرض. وهو عكس ما كانت تتوقعه الولايات المتحدة وإسرائيل.

وأصبح من الضروري مع بداية هذه الغارات إعادة النظر بجدية في مقدرة شبكة الدفاع الجوي على مواجهة طائرات العدو التي كانت تنجح في الاختراق الجوي، وتقترب إلى أهدافها على الارتفاعات المنخفضة جدًّا.

٣ - التقييم السوفيتي لموقف الدفاع الجوي

تمت ممارسة ضغط سياسي على الاتحاد السوفيتي لسد النقص في قدرة الدفاع الجوي بالإضافة إلى عدم وجود طائرات للردع تصل إلى عمق إسرائيل.

وكان من نتائج هذه الضغوط على الاتحاد السوفيتي أن حضر للقاهرة المارشال «استافسكي» قائد الدفاع الجوي السوفيتي موفدًا من القيادة السياسية السوفيتية لتقييم موقف الدفاع الجوي وقدراته ضد تدخل طائرات العدو، فكلفه الرئيس عبد الناصر بوضع خطة شاملة للدفاع الجوي عن الجمهورية ومعرفة مدى النقص في الأجهزة والأسلحة والصواريخ والرادار الذي يعمل على الارتفاعات المنخفضة.

درس المارشال «استافسكي» موقف الدفاع الجوي ومرَّ على جميع المواقع في الجمهورية والجبهة وناقش القادة والمستشارين السوفييت في الموقف. ثم توجه برفقتي واللواء محمد علي فهمي إلى الرئيس عبد الناصر وشرح موقف الدفاع الجوي، مبينًا قدراته المحدودة والنقص الواجب استكماله من المعدات (صواريخ، طائرات ميج ٢١)، كذا بالنسبة للأفراد والأجهزة.

أعقب ذلك أن قام الرئيس عبد الناصر ووفد عسكري عالٍ كنت عضوًا به بزيارة إلى موسكو في المدة من ٢٢ إلى ٢٥ يناير ١٩٧٠. وكان أهم لقاء مع قادة الكرملين منذ عام ١٩٦٧، إذ تعمد الرئيس عبد الناصر تصعيد المباحثات ودفعها للتوتر، لدرجة أنه هدد القادة السوفييت بترك الحكم لزميل آخر يمكنه التفاهم مع الولايات المتحدة الأمريكية، إذ إن الشعب في مصر يمر بمرحلة حرجة، فإما أن نسلم

بطلبات إسرائيل أو نستمر في القتال، وإن دفاعنا الجوي في الوقت الحاضر لا يتمكن من منع غارات إسرائيل على العمق المصري.

طلب الرئيس جمال عبد الناصر وحدات كاملة من الصواريخ سام ٣ بأفرادها السوفييت وأسرابًا كاملة من الميج ٢١ المعدلة بطياريها وأجهزة رادار متطورة للإنذار والتتبع. وبرر الرئيس عبد الناصر هذا الطلب أن الزمن ليس في صالحنا لأن تدريب الأطقم المصرية والطيارين المصريين سوف يستغرق وقتًا طويلًا. كما كرر الرئيس طلب طائرة قاذفة لردع إسرائيل حيث إن مدى عمل الطائرات القاذفة-المقاتلة الموجودة لدينا لا يمكنها من الوصول إلى عمق إسرائيل مثل طائرات السكاي هوك والفانتوم التي تضرب عمق مصر حاليًّا.

ولما كان طلب الرئيس عبد الناصر لا يمكن تحقيقه إلا بموافقة مجلس السوفييت الأعلى، فقد وعد الرئيس «بريجنيف» بالعمل بسرعة لإجابة طلب الرئيس عبد الناصر.

٤ - مضمون الاتفاقية

وبعد مرور ٤٨ ساعة من هذا اللقاء المتوتر دُعي الوفد المصري لجلسة مباحثات في صباح يوم ٢٥/١/١٩٧٠، حيث أعلن الرئيس «بريجنيف» أمام الحاضرين موافقة اللجنة المركزية ومجلس السوفييت الأعلى (المكتب السياسي للحزب) على طلب الرئيس عبد الناصر، وقال إنها أول مرة يخرج فيها الجندي السوفيتي من الاتحاد السوفيتي إلى دولة صديقة غير شيوعية منذ الحرب العالمية الثانية. وقرأ قرار مجلس السوفييت الأعلى ويتلخص في الآتي:

أ) إمداد مصر بفرقة كاملة من صواريخ سام ٣ بأفرادها ومعداتها وأجهزتها وحملتها وأسلحتها المعاونة من فرق الدفاع الجوي للاتحاد السوفيتي، على أن تصل إلى موانئ مصر في خلال شهر واحد وأن تعمل تحت القيادة المصرية لأغراض الدفاع الجوي عن العمق المصري.

ب) إمداد مصر بقوة ٣ لواءات جوية كاملة من ٩٥ طائرة ميج ٢١ معدلة بالمحرك الجديد R 511 بالقادة والطيارين والموجهين والفنيين السوفييت وأجهزتها ورادراتها للإنذار والتوجيه والمعدات الفنية والعربات، وأن توضع تحت إمرة القيادة المصرية للمساهمة في الدفاع الجوي عن العمق المصري، على أن تصل خلال شهر.

ج) بالإضافة إلى ٥٠ طائرة سوخوي ٩ وعدد ١٠ طائرات ميج ٢١ تدريب وعدد ٥٠ موتور طائرة ميج ٢١ معدلة R 511 لتركيبها على الطائرات ميج ٢١ الموجودة في مصر.

د) إمداد مصر بأربعة أجهزة رادار ب ١٥ لرفع كفاءة الإنذار الجوي في شبكة الدفاع الجوي المصري.

هـ) تقوم مصر بتجهيز الدفاعات والتحصينات الهندسية والمرافق الإنشائية لهذه المعدات بحيث تكون جاهزة في الأماكن التي تخططها القيادة العسكرية المصرية

قبل وصول هذه المعدات السوفيتية إلى مصر.

و) يعتبر تواجد الجنود السوفييت مؤقتًا لحين استكمال تدريب اللواءات المصرية من قوات الدفاع الجوي والقوات الجوية في مراكز تدريب الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة في وقت واحد. وعندئذ يعود الأفراد السوفييت إلى وطنهم.

وكنت قد نسقت مع المارشال «جريشكو» وزير الدفاع الترتيبات اللازمة كالآتي:

أ) تدريب ٣ لواءات كاملة من الدفاع الجوي (صواريخ سام ٣) ورفع مستوى لواءات كاملة من القوات الجوية (ميج ٢١) بقوة لواء دفاع جوي وسرب قوات جوية بالتناوب لمدة ثلاثة شهور تدريب في الاتحاد السوفيتي.

ب) تدريب مثل هذا العدد في مصر في نفس الوقت بالتوازي مع التدريب الجاري في الاتحاد السوفيتي.

أكدت أمام جلسة مباحثات القمة المصرية-السوفيتية استعدادي لتجهيز مواقع الصواريخ سام ٣، وعددها ٣٢ موقعًا، وأجهزتها الفنية والرادارية في خلال فترة زمنية أقصاها ٤٠ يومًا.

٥ - نتائج الاتفاقية

كانت هذه الرحلة وما حققته من أهداف نقطة تحول عالمية بالنسبة لجميع الأطراف المعنية بالصراع العربي-الإسرائيلي، وهو ما يتضح في الآتي:

أ) كان خروج الجنود السوفييت لأول مرة بعد الحرب العالمية الثانية للمشاركة والتعاون مع قوات مسلحة لدولة صديقة غير شيوعية حدثًا تاريخيًّا مهمًّا بالنسبة للاتحاد السوفيتي.

ب) أصبح هذا التواجد السوفيتي في مصر في حد ذاته ردعًا عسكريًّا وسياسيًّا لكل من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

ج) أضاف دعمًا جديدًا لعلاقات التعاون والصداقة بين مصر والاتحاد السوفيتي وللوجود السوفيتي في المنطقة العربية والبحر الأبيض المتوسط بشكل عام، وقلب معادلة التوازن في القوى في المنطقة لصالح العرب.

د) ومن وجهة نظر إعادة تنظيم القوات المسلحة أصبح هذا الدعم مكملًا لحجم كل من الدفاع الجوي والقوات الجوية المستهدف استكماله خلال ٣ سنوات، وهو الزمن المحدد لاستعداد القوات المسلحة لتحرير الأرض بالقوة.

هـ) كان هذا التواجد وفاعليته مطابقًا تمامًا لتقديري لموقف كل من الدفاع الجوي والقوات الجوية المسجل في تقرير الموقف العسكري العام الذي أرسلته إلى الرئيس عبد الناصر في أواخر عام ١٩٦٩.

عاد الرئيس عبد الناصر والوفد المصري المرافق له بعد ظهر يوم ٢٥/١/١٩٧٠. ودُعي مجلس الوزراء للانعقاد في اليوم التالي، وعرض الرئيس الإنجازات التي

تمت في لقاء القادة السوفييت. كما ذكر الوعد الذي قطعته على نفسي بشأن الانتهاء من إعداد مواقع الصواريخ سام ٣ والإنشاءات الهندسية المطلوبة قبل انقضاء ٤٠ يومًا من اليوم بحيث تكون جاهزة لاستقبال الدعم الضخم الجديد في مصر. واعتمد المجلس ١١٠ ملايين جنيه من بند الطوارئ لهذا الغرض.

رابعًا: شبكة الدفاع الجوي

١ - تنفيذ خطة التمركز في الوقت المحدد

بدأت من اليوم التالي مباشرة تنفيذ خطة تمركز هذه الصواريخ ومعداتها طبقًا لخطة تمركز قيادة الدفاع الجوي والتي ساهمت فيها جميع شركات المقاولات والتشييد والطرق من القطاع العام والخاص، كما وضع مجلس الوزراء تحت تصرفي جميع خامات البناء والتشييد والطرق، وتم تكليف جميع المهندسين والعمال من الرجال والنساء العاملات لإنجاز هذه المهمة خلال الفترة التي وعدت بها. وكان قادة وضباط وجنود تشكيلات المهندسين العسكريين قيادة اللواء جمال محمد علي هم عماد هذه العملية الضخمة.

وكانت متابعة هذه العملية على اتساع نطاقها وتشعبها تتم بمعرفتي شخصيًّا، كما يتم مساء كل يوم وفي مكتبي تسديد حساب الشركات يومًا بيوم. وهكذا وبعد مجهود متواصل يوميًّا وتضحيات وقعت للعاملين من الرجال والنساء والمستشارين السوفييت نتيجة قذف العدو بطائراته على المواقع تحت الإنشاء أتممت هذه العملية الضخمة في اليوم التاسع والثلاثين، أي قبل الموعد الذي قطعته على نفسي في موسكو بأربع وعشرين ساعة أمام قادة القمة المصرية-السوفيتية يوم ٢٥/١/١٩٧٠.

ولما علم الجنرال «دايان» وزير دفاع إسرائيل بهذه الوثبة السياسية العسكرية الضخمة بشأن دعم الاتحاد السوفيتي لمصر وهي دولة غير شيوعية، انزعج انزعاجًا كبيرًا وقال متحديًّا هذا الدعم بالتصريح التالي:

- «إن معركتنا سوف نكسبها فوق سماء القاهرة»، تعبيرًا عن أمله في أن يصل بالجبهة الداخلية إلى مرحلة اليأس، وأن يكسب المعركة دون حرب وأن يسقط النظام الحاكم. وبرر قوله أنه في أوائل ١٩٧٠ وصلت الهجمات الجوية إلى عمق مصر إلى ١٢٤ طلعة جوية يوميًّا، وأن «لدينا الضوء الأخضر من أمريكا بتصعيد العمليات، ولا بد أن ننهي المعركة في ٦ شهور وإلا تحولت إلى فيتنام أخرى».

- «علينا ألا نسمح لمصر أن تقيم نظام دفاع جوي بصواريخ سام غرب القناة وإننا قبلنا التحدي».

٢ - أسلوب تمركز الصواريخ سام ٣

كانت خطة بناء حائط الصواريخ غرب القناة تقتضي إما دفع تجميع الصواريخ سام ٢ وسام ٣ والمدافع ٢٣ مم الرباعية وأسلحة ومعدات الدفاع الجوي المكملة للحائط دفعة واحدة إلى مواقعها غرب القناة، أو تتخذ أسلوب الزحف البطيء من منفذ شرق القاهرة إلى منطقة غرب القناة.

فضلت القيادة العامة الأسلوب الثاني لأغراض الأمان وتطبيقا لمبدأ الحشد، وذلك بإنشاء موقع لنطاق صواريخ محصن شرق القاهرة يحمي نظامًا آخر تحت الإنشاء شرقًا، يُحمى بواسطة صواريخ النطاق الأول، ثم إنشاء نطاق ثالث تحت مظلة وحماية النطاق الثاني، وهكذا إلى أن وصلت النطاقات إلى منطقة غرب القناة، حيث تمركزت حوالي ٢٩ كتيبة صواريخ سام ٢ وسام ٣ ومعها المدافع ٢٣ مم والمدافع المضادة للطائرات ١٠٠ مم، ٥٧ مم و٣٧ مم. وكانت هذه الشبكة تمثل أكبر تجمع دفاع جوي مكونًا الفرقة الثامنة دفاع جوي تحت قيادة لواء أ. ح سلامة غنيم. وكانت على بعد ٥٠ كم غرب القناة بين وصلة الملاك على طريق السويس إلى أم قمر على طريق الإسماعيلية.

كما أنشئت منطقة دفاع جوي منفصلة من الصواريخ سام ٣ والمدافع ٢٣ مم في بورسعيد مدعمة بصواريخ سام ٦ محمولة على ثلاث فرقاطات سوفيتية متمركزة في الميناء. وكانت السرِّية والسرعة في الإنشاء والجدية في العمل هي طابع هذه التحركات، مكونة في جملتها الوثبة الأولى لأكبر شبكة دفاع جوي تطورًا في العالم.

وفي أوائل أبريل ١٩٧٠ تم تمركز صواريخ سام ٣ في مواقعها المنشأة حديثًا في غرب القناة. وكان يوما ١٤ و١٥ أبريل ١٩٧٠ بداية مرحلة من قذف طائرات العدو لمواقع الصواريخ الاحتياطية والتبادلية التي لم يخف قواعدها الأسمنتية وتحصيناتها. حيث وصل معدل القصف في هذين اليومين إلى ١٠٠٠ طن يوميًّا من قذائف الفانتوم التي بدأت تصل إلى إسرائيل من أمريكا في شهر سبتمبر ١٩٦٩.

٣ - فاعلية الشبكة

وكانت الوثبة الثانية قد خُطط لها لتكون يوم ٢٨/٦/١٩٧٠ على أساس تمركز ١٤ كتيبة صواريخ سام ٣ لتكون على بعد ٣٠ كم من القناة وتمت بسرِّية وتكتم شديدين وفي أقل زمن ممكن، ضاربة المقاييس السوفيتية في الحركة والتمركز وضبط النيران والترددات. وذلك على حساب عدم وجود تحصينات وملاجئ هندسية من المعتاد إنشاؤها قبل دخول الصواريخ إلى مواقعها الجديدة. وكان هذا التخطيط سواء من ناحية حجم المواقع أو توقيتها أو سرعة ودقة أداء رجال الدفاع الجوي مفاجأة تكتيكية لطيران العدو الذي لم يتمكن من اكتشافها ورصدها.

ففي يوم ٣٠/٦/١٩٧٠ صُدم العدو بوجود هذه الصواريخ عندما حاول الهجوم بسرب كامل من طائرات السكاي هوك والفانتوم ظهر هذا اليوم مقتربًا على ارتفاعات منخفضة معتمدة على وسائل الإعاقة الإلكترونية المزودة بها هذه الطائرات. ولكنها فوجئت بفاعلية هذا النطاق من الصواريخ سام ٣ الموجهة ضدها وتمت إصابة ١١ طائرة سكاي هوك وفانتوم، خمس منها سقطت غرب القناة وتم أسر ٥ طيارين منهم قائد السرب.

عاود العدو هجومه الجوي يوم ٣/٧/١٩٧٠، ولكنه فشل كالمرة الأولى وتم إسقاط ٢ طائرة غرب القناة وأسر طيارين خلاف الطائرات الأخرى التي أصيبت وسقطت شرق القناة.

وكرر العدو محاولاته ومُني بالفشل نفسه حتى بلغت طائراته التي أسقطت غرب القناة ١٣ طائرة وأسر ٧ طيارين.

وأيقن العدو بعد هذه الخسائر أن مصر امتلكت هذا التجمع من القوة بحيث لا يمكن التغلب عليه.

٤ - تأثير الشبكة على الموقف التفاوضي

واعتبرت مصر وقوات الدفاع الجوي يوم ٣٠/٦/١٩٧٠ عيدًا قوميًّا لها تحتفل به سنويًّا حتى الآن، كما أطلق على هذا الأسبوع «أسبوع تساقط الفانتوم» وأيقنت الولايات المتحدة الأمريكية أن مركزها في الشرق الأوسط يتدهور بشكل ثابت ومنظم، وكلما زاد التآكل أصبح الأمريكيون ميالين إلى وقف خسائرهم في المنطقة عن طريق التوصل إلى تفاهم مع الاتحاد السوفيتي.

كما تبين لإسرائيل والولايات المتحدة أنهما فشلتا في فرض الأمر الواقع بعد مرور أكثر من ثلاثة أعوام على حرب يونيو ١٩٦٧، وأن مصر بدأت في القيام بعمليات عسكرية في الجبهة. ولمست الولايات المتحدة تزايد الوجود السوفيتي في الشرق الأوسط.

وبدأت الولايات المتحدة الأمريكية مراجعة سياستها في المنطقة، وبدأت تخفف من غلواء انحيازها لصالح إسرائيل.

كما شعرت إسرائيل أن شبكة الدفاع الجوي المصري غرب القناة وقدراتها على الحركة وفاعليتها وكثافتها قد أحدثت خللًا جسيمًا في ميزان التفوق الجوي الذي كانت تمتلكه إسرائيل في منطقة القناة قبل تمركز هذه الشبكة.

لذلك تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٩/٦/١٩٧٠، تحت ضغط الموقف المتطور الفعَّال على الجبهة المصرية، بمبادرة أطلق عليها «مبادرة روجرز» من أجل وقف نزيف تآكل الطائرات الإسرائيلية وتدهور الموقف الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بوقف إطلاق النار وإنهاء حرب الاستنزاف سعيًا وراء التسوية الشاملة تطبيقًا لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢/١٩٦٧.

وتشككت مصر في هذا العرض الأمريكي في البداية، وبدأت تضع شروطها لإيقاف النار، وكان الموقف التفاوضي السياسي والعسكري في صالح مصر في ذلك الوقت.

ولما كانت شروط وقف إطلاق النار المؤقت كلها في صالح مصر فقد وافق الرئيس عبد الناصر بعد التشاور مع المؤسسات الدستورية في داخل مصر كذا مع الاتحاد السوفيتي الحليف لنا. وآثرت مصر قبول المبادرة يوم ٢٢/٧/١٩٧٠ في اجتماع المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي، ولكن كان تقدير الرئيس عبد الناصر لنجاح هذه المبادرة لا يزيد على ٢/١٪ فقط، ولذلك كانت هذه الموافقة المؤقتة بداية مرحلة جديدة لاستعداد القوات المسلحة لمرحلة تحرير الأرض بالقوة.

واستمرت القوات المسلحة في هذا الاستعداد والتدريب على المشروعات التعبوية التي تؤهل القوات المسلحة لعبور القناة وتنفيذ جوهر خطة الهجوم الشاملة على سيناء وفق مشروع الخطة جرانيت.

٥ - الوثبة الثالثة والأخيرة

أما بالنسبة للدفاع الجوي فقد صدَّق الرئيس عبد الناصر على تنفيذ الوثبة الثالثة والأخيرة، حيث وصل النسق الأول من شبكة الدفاع الجوي المتطورة إلى ما يقرب من ١٠ كم غرب قناة السويس، وكان عدد الكتائب ١٨ كتيبة، الأمر الذي مكَّن شبكة الدفاع الجوي من إسقاط طائرة استطلاع إلكترونية يوم ١٧/٩/١٩٧٠ خسر فيها العدو ١٢ خبيرًا إلكترونيًّا أمريكيًّا وإسرائيليًّا.

وزاد الاهتمام أكثر لاستكمال النقص الموجود في الشبكة من ناحية القدرة والكفاءة القتالية بدعم الشبكة بالوسائل الإلكترونية الحديثة، ومنع العدو من التفوق علينا بأن سافر الرئيس عبد الناصر يرافقه وفد سياسي وعسكري كنت عضوًا به إلى الاتحاد السوفيتي الذي استجاب لهذه الطلبات الفنية المتقدمة، حيث تمركزت أولًا حول القاهرة بأطقم سوفيتية، وسرعان ما تم تدريب مهندسينا عليها، ثم تحركت إلى منطقة القناة تدعيمًا لشبكة الدفاع الجوي، كما دعمت بها القواعد الجوية أيضًا، وفي هذه المناسبة أنشئت لأول مرة إدارة جديدة ضمن القيادة العامة للقوات المسلحة سميت «إدارة الحرب الإلكترونية».

وبذلك أصبحت شبكة الدفاع الجوي غرب القناة مزودة بوسائل إلكترونية ومدعمة هي والقوات الجوية بنظم الإعاقة الإلكترونية، كونت أكبر تجمع دفاع جوي في العالم، وذلك على حساب أربعة آلاف شهيد لا يمكن لمصر أن تنساهم أبد الدهر، استشهد أكثرهم في فترة إنشاء وتمركز شبكة الصواريخ سام غرب القناة بسبب كثافة الغارات الإسرائيلية التي تعدت كثافة الغارات الجوية في الحرب الفيتنامية.

٦ - ردود فعل إعلامية

لا يمكن معرفة تأثير تجميع عناصر شبكة الدفاع الجوي القوية غرب القناة أفضل من ذكر أقوال وتصريحات العدو الإسرائيلي.

فقد ورد في تقييم «حاييم بارليف» للصحافة الأمريكية في ٢٩/٣/١٩٧٠، أي بعد وصول سام ٣ إلى مصر مباشرة: «على المرء ألا يقع في تصور أن سام ٣ دفاعية. إن هذه الصواريخ سوف تعطي مصر قوة هجومية وإنها سوف تخلق فيها شعورًا بالحرية في أن تفعل ما تريد».

وفي ٧/٤/١٩٧٠ صرح الجنرال «أهارون بارليف» أثناء زيارته لواشنطن بضرورة إقناع أمريكا للتدخل لمنع تحول ميزان القوى لمصلحة مصر، وأن إقامة الشبكة الصاروخية الجديدة غرب القناة معناه أن المصريين سيصبح في استطاعتهم التحول للهجوم الشامل لتحرير أرضهم. وفشل «بارليف» في مهمته.

كما صرح «رابين» في ١٨/٤/١٩٧٠: «إذا نجح المصريون في تحريك حائط الصواريخ قرب القناة، فلن يكون لدينا طريقة لمواجهة مظلة الصواريخ المصرية

هذه. إن الحرب بين الصواريخ والطائرات ستكون اليد العليا فيها للصواريخ، وإننا لا نملك الوسائل العسكرية اللازمة للتعامل معها».

وفي ١٨/٤/١٩٧٠ أيضًا صرح «إيجال آلون»: «إن وجود صواريخ سام ٣ في مصر يقلب ميزان القوى في الجبهة المصرية ضد إسرائيل».

وفي حديث لمجلة «دير شبيجل» الألمانية تصرح «جولدا مائير» في ١٥/٧/١٩٧٠ بضرورة أن تقوم قوات حلف الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية معًا بإرغام السوفييت على الخروج من الشرق الأوسط في مواجهة شبيهة بمواجهة أمريكا لكوبا في أزمة الصواريخ في ١٥/١٠/١٩٦٢.

وعند وقف إطلاق النار المؤقت يوم ٨/٨/١٩٧٠ كانت حصيلة ما دمر من طائرات العدو، وما أصيب منها إصابات تعجزها عن الاستمرار في العمل هو ١٨ طائرة وإصابة ٥١ طائرة طبقًا لتصريح مصدر أمريكي وهو «مستر برجس» القائم برعاية المصالح الأمريكية في القاهرة، حينما قال: «إن بياناتنا عن تدمير وإسقاط طائرات إسرائيل خلال حرب الاستنزاف كانت متواضعة وأقل بكثير من الحقيقة المُرة التي وقعت لإسرائيل».

بيان أسرى حرب الاستنزاف من الطيارين الإسرائيليين

أسفرت عمليات حرب الاستنزاف عن وقوع عدد من أسرى الحرب الإسرائيليين نتيجة جهود كل من الدفاع الجوي والقوات الجوية. فيما يلي بيانهم بالاسم وتاريخ أسْرِهم:

- «دان أفيدان»: تم أسره بعد تدمير طائرته في ١٤/١٢/١٩٦٩.

- «آتي نوعان»: تم أسره بعد تدمير طائرته في ٩/٢/١٩٧٠.

- «موثي كوهين» و«موثي بيلر»: تم أسرهما بعد تدمير طائرتهما في ١١/٢/١٩٧٠.

- «ديفيد ليفي» و«يائير دوري»: تم أسرهما بعد تدمير طائرتهما في ٣٠/٥/١٩٧٠.

- «راس هدفر» وملاح «اباك احيفار»: تم أسرهما بعد تدمير طائرتهما في ٣٠/٦/١٩٧٠.

- «إسحق بير» وملاح «ديفيد يائير»(ح): تم أسرهما بعد تدمير طائرتهما في ٣٠/٦/١٩٧٠.

- «عاموس زامير» وملاح «عاموس طرف»: تم أسرهما بعد تدمير طائرتهما في ٥/٧/١٩٧٠.

- «شموئيل جنيس» قائد سرب فانتوم و«مناحم عين» كبير ملاحين: تم أسرهما بعد تدمير طائرتهما في ١٨/٧/١٩٧٠.

المجموع: ١٣ طيارًا، منهم ٢ ملاحين.

عمليات ومعارك القوات البحرية

أولًا: وضع القوات البحرية

كانت عمليات ومعارك القوات البحرية في البحر الأبيض المتوسط أكثر فاعلية ونشاطًا عنها في البحر الأحمر بسبب توافر إمكانيات الإيواء والصيانة والإصلاح في موانئ الإسكندرية وأبي قير ومطروح، والتي تمركز فيها أكثر من ثلثي القطع البحرية، بالإضافة إلى توفر إمكانيات القيادة والسيطرة البحرية على عمليات التدريب البحري. أما في البحر الأحمر فقد واجهت القطع البحرية موقفًا صعبًا بسبب إغلاق قناة السويس وعدم وجود إمكانات الإيواء والصيانة والإصلاح في موانئ البحر الأحمر، علاوة على أن ميناء السويس الذي كان يعد أفضل الموانئ في هذه المنطقة لم يكن مؤمنًا لوجوده تحت تهديد نيران العدو مباشرة، إضافة إلى أن إمكانيات الدفاع الجوي في مسرح عمليات البحر الأحمر قد جاءت متأخرة في ترتيب أولويات تنظيم وإعداد الدفاع الجوي عن الأهداف الحيوية الأخرى.

ونتيجة لذلك فقد اضطرت قواتنا البحرية لتغطية ضروريات الصيانة والإصلاح والعمرات للقطع البحرية المتواجدة في البحر الأحمر في موانئ الهند وباكستان، وأصبحت موانئ الغردقة وسفاجا وبرنيس هي الموانئ المتوافرة في البحر الأحمر لإيواء اللنشات البحرية، وتمركزت قيادة هذا المحور في سفاجا.

لكن هذا الوضع تحسن بعد قيام ثورتي ليبيا والسودان في عام ١٩٦٩ بما وفرتاه من عمق استراتيجي للجبهة المصرية، سمح للقوات البحرية بتوسيع قاعدة انتشارها واستخدام موانئ طبرق في ليبيا وبور سودان في البحر الأحمر لأغراض الإيواء والتدريب.

وفي مجال تطوير ورفع الكفاءة القتالية للقوات البحرية، أشير هنا إلى أن عناصر القتال البحرية لم تكن متوازية سواء من ناحية الحجم أو النوع. فبالإضافة إلى أن نصفها كان غربيًّا والنصف الآخر شرقيًّا، فقد كان عدد الغواصات كبيرًا، ومن طراز شرقي قديم، ولم تكن لنشات المدفعية موجودة في القوات البحرية، وقد كان واضحًا نتيجة لكل ذلك أن عملية تطوير القوات البحرية تحتاج إلى فترة أطول من السنوات التي تحددت لإعداد القوات المسلحة ككل لمعركة تحرير الأرض.

ثانيًا: خطة تطوير القوات البحرية

١ - مجالات التطوير

لكن عملية التطوير قد بدأت على أية حال دون تأخير وشملت خطة التطوير:

أ) إنشاء غرفة عمليات رئيسية جديدة وإعداد مواصلاتها وتجهيزاتها لإدارة عمليات القوات البحرية والسيطرة عليها.

ب) انضمام قيادة ووحدات المدفعية الساحلية إلى قيادة القوات البحرية، وكانت تابعة في السابق إلى إدارة مدفعية الميدان، مما ساعد على توحد المهام، حيث أصبحت المدفعية الساحلية دعمًا أساسيًّا مكملًا لمهام وواجبات القوات البحرية.

ج) وفي ضوء النقص الذي كانت تعاني منه وحدات وأجهزة الاستطلاع البحري وأجهزة الكشف الراداري والأسلحة والصواريخ المضادة للطائرات، سواء في الحجم أو في النوع، فقد قمت بتحويل اعتماد خمسين مليون جنيه كانت مخصصة قبل المعركة لشراء قطع بحرية كبيرة لتغطية هذا النقص، حيث أظهر نجاح عملية إغراق أكبر مدمرة إسرائيلية، «إيلات»، بواسطة لنش صواريخ أن قواتنا البحرية لم تعد في حاجة إلى القطع الكبيرة بقدر احتياجها إلى رفع القدرات القتالية لوحداتنا البحرية، بالإضافة إلى مساعدات وأجهزة وتسليح خاصة ضد الطائرات ورادارات وأجهزة استطلاع مختلفة.

د) ركزت قيادة القوات البحرية جهودها على رفع مستوى الكفاءة القتالية لضباط وجنود القوات البحرية مع المحافظة باستمرار على صلاحية القطع البحرية الكثيرة الموجودة لدينا وتطوير أسلحتها ومعداتها قدر الإمكان. وكان من الأنشطة البارزة أيضًا إنشاء وتنظيم وتدريب أطقم الضفادع البشرية ورفع مستواها القتالي، مما كان له شأن كبير في عمليات القوات البحرية الخاصة ضد إسرائيل وفي عمقها.

وشملت هذه الجهود أيضًا إنشاء لواء إنزال بحري وتدريبه وتسليحه بالتعاون مع قيادة المنطقة الشمالية العسكرية كي يتولى واجبات عمليات مع الوحدات البحرية في معركة تحرير سيناء.

٢ - الدعم السوفيتي

وشكلت المساعدات الفنية والتدريبية التي قدمتها المجموعة الخامسة البحرية السوفيتية في البحر المتوسط وإنشاء حوض جاف في ميناء الإسكندرية عاملًا مساعدًا في رفع مستوى صلاحية القطع البحرية وتأهيلها للقتال.

وفي رحلة الرئيس عبد الناصر والوفد العسكري المرافق له إلى موسكو في يناير ١٩٧٠، تم الاتفاق مع الجانب السوفيتي على تلبية عدد من مطالب القوات البحرية التي تتلخص في الآتي:

أ) دعم زوارق الطوربيد بجهاز إدارة نيران للمدفع ٣٠ مم م/ط.

ب) استبدال ٤ غواصات قديمة طراز ٦١٣ بعدد ٢ غواصة طراز ٦٣٣.

ج) لم يوافق الجانب السوفيتي على طلبنا الخاص باستبدال عدد ١ كاسحة، ٢ زورق طوربيد بعدد ٤ قناص؛ وكان هذا الطلب تعويضًا لما سبق تقديمه إلى الجمهورية العربية الليبية كهدية.

د) تكليف الأسطول الروسي بالبحر الأبيض المتوسط المجموعة الخامسة باستطلاع شواطئ إسرائيل وإمدادنا بالمعلومات التي يتم الحصول عليها.

٣ - واجبات عمليات القوات البحرية

كان واجب العمليات البحرية خلال فترة إعادة تنظيم وبناء القوات المسلحة المصرية هو التأمين البحري لقواتنا وللدولة، وذلك بقيام وحداتنا البحرية بصفة

دائمة بدوريات بحرية في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر وكذا تأمين تمركز وحداتنا البحرية في مراسيها.

وأصبح تنسيق التعاون مع القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي وقوات المناطق العسكرية ضروريًّا كي تحقق القوات البحرية واجباتها.

ثالثًا: عمليات القوات البحرية

١ - ضرب المدمرة «إيلات»

كان الغرور قد وصل إلى قمته في إسرائيل عقب معركة ٥ يونيو ١٩٦٧ فتجرأت مدمراتها على المرور بجوار الشواطئ المصرية في البحر الأبيض المتوسط، ضاربة عرض الحائط بقواتنا البحرية التي شعرت بأن هذه التحركات بلغت الاستفزاز والاستهانة بوجودنا في المنطقة.

ففي ٢١/١٠/١٩٦٧ اقتربت المدمرة «إيلات» أكبر القطع البحرية الإسرائيلية إلى شواطئنا ولكن خارج المياه الإقليمية. ولكن تحركاتها بعد رصدها كانت توحي بعمليات استفزازية، فصدر قرار القيادة العامة لضرب المدمرة إذا اخترقت المياه الإقليمية، وكانت في هذا اليوم شمال شرق بورسعيد بحوالي ١٤ ميلًا بحريًّا. وفي الساعة ١٧٠٠ تقريبًا تصدى للمدمرة الإسرائيلية عدد ٢ لنش صواريخ يحمل كل منها عدد ٢ صاروخ، حيث هجم اللنش الأول وضرب الصاروخ الأول فأصاب المدمرة إصابة قاتلة، وعاد اللنشان إلى قاعدتهما في بورسعيد. وبعد ساعة تقريبًا ظهر هدف آخر في نفس المكان ونفس مواصفات الأول، فصدر الأمر للنش الثاني بالهجوم على المدمرة وأطلق صاروخه وأصابها إصابة قاتلة، وبدأت في الغرق وبداخلها طاقمها المكون من حوالي ٢٥٠ فردًا بين ضابط وجندي إسرائيلي.

وعندما طلبت إسرائيل عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية عدم التعدي على الغرقى من الأفراد، استجابت القيادة السياسية لهذا الطلب الإنساني، ولم تتدخل قواتنا وكان لهذه العملية ردود فعل إقليمية ومحلية ودولية واسعة.

فمن الناحية الإقليمية أيقنت إسرائيل الدرس، ولم تحاول الاستهانة بقدرات قواتنا البحرية بعد ذلك.

وعلى الصعيد المحلي، كان لغرق أكبر مدمرة إسرائيلية أمام شواطئ بورسعيد رد فعل شعبي بين أهالي بورسعيد الذين شاهدوا الحدث عن قرب، إضافة إلى رد الفعل القوي بين صفوف قواتنا المسلحة، وخاصة القوات البحرية، التي ارتفعت معنوياتها واسترجعت الثقة في قيادتها، خاصة بعد معركة يونيو ١٩٦٧.

أما على المستوى الدولي فقد أحدث درس إغراق مدمرة كبيرة بواسطة لنش صواريخ، مستخدمًا صاروخ سطح-سطح طراز كومار سوفيتي لأول مرة، رد فعل في أوساط البحرية العالمية، حيث تراجعت قيمة القطع الكبيرة أمام القطع الصغيرة السريعة، وبدأ التطور في الفكر الاستراتيجي في اتجاه التقليل من أهمية القطع الكبيرة تدريجيًّا مع اتجاه مراكز البحوث العسكرية في العالم للاهتمام بالمساعدات

في التسليح وفي التوجيه وفي دقة الإصابة وتأثيرها من صاروخ صغير نسبيًّا كي ينجح في تدمير قطعة كبيرة بحرية مثل «إيلات».

٢ - ضرب الغواصة «داكار»

وفي ٢٥/١/١٩٦٨ اعترضت فرقاطتان مصريتان، كانتا تقومان بأعمال الدورية الروتينية لتأمين المياه الإقليمية شمال البرلس، خط سير الغواصة الإسرائيلية «داكار» بعد أن انحرفت عن اتجاه سيرها ليلًا. وفوجئت الغواصة بقنابل الأعماق من الفرقاطة المصرية، الأمر الذي اضطرها إلى الغطس بسرعة وبزاوية حادة. ولم تكن الغواصة تعلم طبيعة القاع نتيجة لخطئها الملاحي، فاصطدمت بصخور القاع التي سببت سكونها بأفرادها ال-٦٩ في قاع البحر، ولم يظهر من هذه الغواصة بعد اعتراضها وقذفها بقنابل الأعماق أية علامات مادية مثل أية غواصة أخرى. وقد أجريت عمليات بحث في صباح اليوم التالي، ولم نجد أي علامات مادية تؤكد غرق الغواصة، الأمر الذي منع القيادة البحرية وبالتالي القيادة العامة عن التبليغ عن غرق الغواصة «داكار» الإسرائيلية. ولا زالت إسرائيل، التي أبلغت عن فقد الغواصة، تبحث عنها بمعاونة المساعدات الفنية البحرية والجوية والولايات المتحدة الأمريكية أمام شواطئ البرلس حتى الآن.

وطال البحث عن الغواصة «داكار» وشاركت فيه ١٠ قطع بحرية من إسرائيل و١٤ سفينة من أسطولها التجاري و٢ سفينة بحرية بريطانية و٢ قطعة بحرية أمريكية وأربع قطع من تركيا، وذلك بخلاف طلعات الطائرات التي بلغت ٥٧ طلعة إسرائيلية و٢٧ طلعة بريطانية و١٤ طلعة طائرة أمريكية وأربع طلعات تركية و٣ طلعات طائرة يونانية بجملة ١٠٥ طلعات طائرة.

كما تشكلت أربع لجان تقصي حقائق إسرائيلية حول اختفاء الغواصة «داكار». ولم يتم العثور عليها أو على حطامها أو طاقمها، المكون من ٦٩ ضابطًا وبحارًا منهم ١١ ضابطًا بحريًّا، حتى الآن.

٣ - عمليات أخرى

مارست القوات البحرية التدريب المتواصل على واجبات العمليات الحربية لتحرير الأرض عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠، مطبقة برنامجًا عمليًّا تدريبيًّا عنيفًا لرفع قدرة جميع الوحدات البحرية في أعمالها التخصصية والقتالية، وكان أبرز مداخل هذا التدريب إشراك وحداتنا البحرية جميعًا متعاونة مع القوات الجوية المصرية (استطلاع بحري وقاذفات خفيفة) مع الأسطول السوفيتي في البحر الأبيض عدة مرات في كل عام، وكان مدى عمل هذه التدريبات المشتركة يغطي مساحة مائية كبيرة شرق البحر الأبيض. كما اشترك في هذا الجهد التدريبي الأسطول البحري السوري في أواخر عام ١٩٦٩، الأمر الذي أضاف بعدًا استراتيجيًّا جديدًا في إمكانية تعاون الأسطولين المصري والسوري وتناسق عملياتهما البحرية معًا في مرحلة استعادة الأرض وتحريرها.

وكانت المناورة البحرية المشتركة يوم ٢/٩/١٩٦٩، والتي حضرتها بنفسي، وضمت أكثر من ثمانين قطعة بحرية مصرية سورية سوفيتية خير دليل على صحة ذلك.

وفي ٩/٩/١٩٦٩، قامت ٢ مدمرة بحرية كبيرة تعاونها بعض اللنشات البحرية بالاقتراب من منطقة البردويل شمال سيناء، وقصفت معسكرات رمانة الإسرائيلية قصفًا مركزًا من مدافع المدمرات عيار ١٣٠ مم ولمدة نصف ساعة، ما أحدث خسائر كبيرة في الأفراد والمعدات والمنشآت. وولدت ذعرًا كبيرًا في هذه المنطقة التي كانت إسرائيل تخصصها كمراكز تدريب وإيواء وراحة للقوات الإسرائيلية في سيناء. وعادت القوة البحرية إلى قواعدها سالمة بعد أن فشل الطيران الإسرائيلي في اعتراض عودتها.

وفي ٢/١١/١٩٦٩ امتد نشاط القوات البحرية إلى عمق مواقع العدو في سيناء، حيث قامت لنشات البحرية بمساعدة فصيلة من الصاعقة بالإبرار على شاطئ سيناء الشمالي في منطقة المساعيد وعلى بعد ١٠٠ كيلو متر من بورفؤاد، وقطعت الطريق الرئيسي إلى العريش، وهاجمت وحدات إسرائيلية في هذه المنطقة، وعادت قوات الصاعقة والبحرية إلى قاعدتها في بورسعيد سالمة. وكانت هذه العملية الصغيرة مقدمة لواجبات عمليات لواء الإنزال البحري على الشاطئ الشمالي لسيناء بالتعاون مع الجيش الثاني.

كذلك ساهمت وحدات القوات البحرية في البحر الأحمر باستخدام اللنشات بالتنسيق والتعاون مع الوحدات الخاصة (صاعقة) بعمليات خاطفة وجريئة ضد أهداف العدو ومنشآته على الساحل الشرقي لخليج السويس، من رأس سدر في الشمال ثم أبو رديس (منشآت بترولية) حتى مطار الطور عند ميناء نصراني في الجنوب، بالإضافة إلى الخسائر المادية التي لحقت بالعدو من هذه الإغارات البرمائية.

وفي ١٦/١١/١٩٦٩ قامت الوحدات الخاصة - ضفادع بشرية بأول عملية استطلاعية ضد ميناء «إيلات» الإسرائيلي وتعرفت - بعد أن وصلت إلى الميناء - على طبيعة ومحتويات الميناء من تجهيزات بحرية وقطع بحرية، ولكنها للأسف لم تجد في الميناء أية وحدات حربية بحرية إسرائيلية.

وعلى إثر المعلومات التي وردت لقيادة القوات البحرية من استطلاع ميناء إيلات سارعت بإعداد أطقم الضفادع البشرية للقيام بعمليات مضادة ضد وحدات بحرية إسرائيلية، خاصة وحدات إنزال قوات، مثل التدريب على السباحة لمسافات طويلة تصل إلى ١٥-٢٠ كم والضفدع محمل بمعدات غطس (١٥٠ كج وزن اللغم من مادة «الهاكسانيت» وزنها في الماء صفر)، بالإضافة إلى التدريب على أساليب التلغيم الجيد بعد الحصول على المعلومات الدقيقة مع توفر الإرادة القوية، تمهيدًا للقيام بعمليات ردع بحرية حددتها القيادة العامة للقوات المسلحة إلى قيادة القوات البحرية في ميناء «إيلات»، مثل سفينة الإنزال «هيدوما» والسفينة «داليا».

وفي ٦/٢/١٩٧٠ قامت مجموعتا عمليات بحرية من الضفادع البشرية بعملية هجومية جريئة ضد السفينة الإسرائيلية «بات يام» والسفينة «بيت شيفع»، وتمكنت

من تدمير الأولى - وغرقت وبقي جزء بسيط منها ظاهرًا على سطح الماء - وإصابة «بيت شيفع»، ولكن قائدها تمكن من شحطها على الشاطئ بدلًا من غرقها.

أدى نجاح هذه العملية الجريئة إلى انزعاج «موشى دايان» من وصول الضفادع البشرية المصرية إلى هذه القدرة والجرأة، وأمر بعزل قائد الميناء وعزز القوة بحراسة وأفراد آخرين لميناء «إيلات» الإسرائيلي، بينما منح الرئيس عبد الناصر نياشين ومنحًا مالية لأطقم المجموعتين.

وفي يوم ٨/٣/١٩٧٠ قامت قوة من الوحدات الخاصة البحرية بعملية بحرية جريئة ضد الحفار «كيتنج» في ساحل العاج، وكان الحفار مؤجرًا لإسرائيل للعمل في استغلال بترول الشاطئ الشرقي لخليج السويس لصالح إسرائيل. وتمت العملية بمعاونة إدارة المخابرات العامة، التي تمكنت من تتبع حركة الحفار في موانئ غرب أفريقيا، كما ساعدت قوة التدمير في تسهيل الانتقالات الجوية إلى أن تم تدمير الحفار فجر يوم ٨/٣/١٩٧٠ في ميناء أبيدجان وعادت القوة سالمة.

٤ - عمليات في عرض البحر

مايو ١٩٧٠: خرج لنش الصواريخ من قاعدة بورسعيد البحرية إلى عرض البحر وعندما ظهر على شاشة الرادار هدف كبير على مسافة ٤٢ ميلًا اتضح أنه هدف معاد، هاجمه لنش الصواريخ بإطلاق صاروخ واحد فدمره وأغرقه، واتضح أن الهدف هو سفينة أبحاث إسرائيلية.

يوم الخميس ١٤/٥/١٩٧٠ يوم ذكرى اغتصاب فلسطين، وهو يوم سكون في إسرائيل قامت مجموعتا عمليات بحرية من الضفادع البشرية، تحمل كل مجموعة لغمًا بحريًّا وزن ١٥٠ كج من مادة «الهاكسانيت» إنتاج ورش البحرية المصرية، قاصدة تدمير السفينة «بيت شيفع»، وتبين أنها لم تبت في الميناء وإنما تبقى طول الليل خارجه خوفًا من الضفادع البشرية المصرية. وقرر قائد العملية مقدم بحري رضا حلمي تدمير رصيف الميناء مكان وقوف السفينة «بيت شيفع» تدميرًا أدى إلى تعطيل حركة الملاحة في الميناء.

محاولة أخرى تتم بمعرفة المجموعتين المذكورتين عاليه ضد ميناء «إيلات» الإسرائيلي حيث اختبأوا وراء الجزء العائم من السفينة «بات يام» تمهيدًا لضرب السفينة «بيت شيفع» نهارًا، ولكن تأمين القوة لم يكن كافيًا وراء «بات يام» فقرر قائد العملية الانسحاب إلى قاعدة الانطلاق.

كل هذه العمليات الجريئة تمت في سكون تام عن طريق الأردن بمعاونة المقاومة الفلسطينية هناك، وكان الانسحاب بعد إتمام العملية يتم عن طريق السعودية ثم الأردن دون علم السلطات فيهما.

(ت) الدعامات الثلاث هي الجنود المقاتلون في الجبهة ووحدات العبور بإدارة المهندسين العسكريين وقوات شبكة الدفاع الجوي غرب القناة.

(ث) ذكر بعض المعلقين أن الرئيس عبد الناصر طلب من الجانب السوفيتي أن تكون مسؤولية قيادة الدفاع الجوي مسؤولية سوفيتية وهذا تحريف لما سبق ذكره.

(ج) «إسحق رابين» كان يشغل وظيفة ملحق عسكري في سفارة إسرائيل في واشنطن في ذلك الوقت.

(ح) هرب بعد سقوط طائرته مباشرة ولم يعثر عليه حيًّا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثامن

محاولات سياسية من أجل التسوية الشاملة

قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢

بالرغم من الهزيمة الدامية التي أحاطت بمصر أقوى دولة عربية في المنطقة في ٥ يونيو ١٩٦٧، فقد فوجئت الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل بشعور الشعوب العربية، وبالذات الشعب المصري، نحو المغتصب إسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية التي أيدت العدوان، وإن مدى الهزيمة لم يتعد احتلال أرض سيناء وتدمير أسلحة ومعدات القوات المصرية.

وقبل استقرار الموقف السياسي بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، تكاتف رؤساء وملوك العرب في القاهرة مؤيدين لموقف مصر والشعب المصري الذي رفض الهزيمة وصمم على استعادة الأرض المغتصبة في ٩ و١٠ يونيو ١٩٦٧، الأمر الذي تأيد على مستوى مؤتمر القمة العربي في الخرطوم في أواخر أغسطس ١٩٦٧ مركزًا على هدفين استراتيجيين بالنسبة للأمة العربية.

- الأول: العمل على إزالة آثار العدوان، الأمر الذي تحول بالنسبة للقوات المسلحة المصرية والقوات العربية الأخرى ليكون تحرير الأرض بقوة السلاح.

- الثاني: الوفاء بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني والمحدد في قرارات الأمم المتحدة.

وظل هذان القراران يمثلان محور العمل السياسي والعسكري، يعملان معًا متزامنين طوال فترة المواجهة المسلحة مع إسرائيل.

وكان من حسن طالع العرب بعد الهزيمة أن الضغط الرئاسي والشعبي الصادر من العرب إلى الاتحاد السوفيتي قد وجد استجابة فورية للدرجة التي استقبلت المطارات المصرية الدعم السوفيتي جوًّا اعتبارًا من يوم ٩/٦/١٩٦٧، ثاني يوم لوقف إطلاق النار، الأمر الذي ساعد منذ البداية على سرعة الوصول إلى توازن قوى مع إسرائيل.

بينما كان الموقف العسكري لدى الولايات المتحدة الأمريكية، الحليفة الطبيعية لإسرائيل، معقدًا للغاية بسبب انشغالها بل تورطها في حرب فيتنام.

ولذلك نرى أنه في أواخر عام ١٩٦٩ والصدام مستمر مع العدو، وصلت القوات المصرية إلى نقطة تعادل في توازن القوى مع إسرائيل.

وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية، مع استمرار اشتعال الموقف العسكري على الجبهة المصرية، أن استمرار تأييدها المطلق لإسرائيل وتزويدها بالسلاح يمكن أن يؤدي إلى نتيجتين في غير صالحها.

- تتمثل الأولى في دفع الاتحاد السوفيتي لمزيد من التدخل المباشر بالسلاح والأفراد، مما يؤثر على توازن القوى بين العرب وإسرائيل ويخلق موقفًا دوليًّا يتعارض مع مصالحها الاستراتيجية والتوازن الدولي بوجه عام.

- أما الثانية فكانت تتمثل في ردود الفعل العربية الغاضبة ضد التأييد الأمريكي وبدرجة تطرح تهديدات جدية ضد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط وخاصة المصالح البترولية.

وكان قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ٢٢/١١/١٩٦٧ قد اشتمل على النقاط التالية:

١ - انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في ٥/٦/١٩٦٧.

٢ - إنهاء جميع حالات الحرب والادعاء بها والاحترام والتسليم بسيادة كل دولة في المنطقة ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي وحقها في العيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها لا تكون عرضة للتهديد باستخدام القوة.

٣ - ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة.

٤ - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

٥ - ضمان حرية أراضي كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي بواسطة تدابير يدخل فيها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

٦ - تكليف السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين ممثل خاص يتوجه إلى منطقة الشرق الأوسط للقيام بالاتصالات مع الدول المعنية من أجل التوصل إلى اتفاق.

وبالرغم من أن ديباجة القرار جاءت في صالح العرب وأعطت مشروعية في تحرير الأرض فإن القرار ٢٤٢/١٩٦٧ قد خلا من تحديد زمن لتنفيذه.

ردود فعل أمريكية ومحاولات التسوية

إن التطورات التي حدثت في العالم العربي بعد الهزيمة، وأهمها تصميم الشعب المصري وقواته المسلحة على تحرير الأرض بالقوة («حنكمل المشوار»)، وتكاتف وتضامن قادة العرب معًا ضد الغزو الإسرائيلي، قد سبب ضغوطًا على إسرائيل واحتمال امتداد آثارها إلى المصالح الأمريكية في المنطقة. ولذلك نجد الولايات المتحدة الأمريكية تتقدم بعدة مبادرات ومشروعات تستهدف في المقام الأول وقف إطلاق النار وانتهاء حرب الاستنزاف وإفساح المجال أمام العدو الإسرائيلي لتحقيق أهدافه السياسية التي لم يستطع تحقيق أي منها بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، وأهمها سقوط النظام المصري المتشدد وتفادي وقوع مزيد من الخسائر في الأفراد والمعدات مع استمرار القتال واتساع نطاقه.

أولًا: المحاولة الأولى للتسوية: مشروع «دين راسك»

جاءت أولى المحاولات عندما قدم «دين راسك» وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في ٢/١١/١٩٦٨ مشروعه من أجل السلام إلى وزير خارجية مصر

محمود رياض، خلال تواجد الأخير في نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، يتضمن النقاط التالية:

١ - انسحاب إسرائيل من الأراضي المصرية بالكامل.

٢ - إنهاء حالة الحرب بين إسرائيل ومصر.

٣ - يتبع ذلك فتح قناة السويس للملاحة الإسرائيلية.

٤ - حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على أساس سؤال كل شخص عن رغبته في العودة إلى إسرائيل من عدمه.

٥ - تواجد قوات دولية في شرم الشيخ على ألا تسحب إلا بقرار من مجلس الأمن أو الجمعية العمومية.

٦ - تفاهم حول مستوى التسليح.

٧ - توقع كل من مصر وإسرائيل على وثيقة تتضمن هذه الالتزامات.

ردت مصر على هذا المشروع بأن:

١ - السلام في المنطقة يتطلب الحل الشامل بانسحاب إسرائيل من كافة الأراضي العربية المحتلة.

٢ - الرؤية المصرية للقرار ٢٤٢ لا تتفق مع النص الخاص بالحد من التسليح في المنطقة.

ثانيًا: المحاولة الثانية للتسوية: مشروع «أندريه جروميكو»

في أواخر نوفمبر ١٩٦٨ جاء «أندريه جروميكو» وزير خارجية الاتحاد السوفيتي إلى القاهرة بمشروع لتنفيذ القرار ٢٤٢/١٩٦٧ يتضمن:

١ - انسحاب القوات الإسرائيلية إلى مسافة ٤٠ كيلو مترًا شرق قناة السويس كمرحلة أولى (المضايق).

٢ - انسحاب القوات الإسرائيلية بعد شهر من انسحاب المرحلة الأولى إلى مواقع ٤ يونيو ١٩٦٧.

٣ - تلتزم مصر بتأمين حرية المرور في قناة السويس.

٤ - تلتزم إسرائيل بتنفيذ قرار الأمم المتحدة الخاص باللاجئين.

٥ - تتواجد قوات الأمم المتحدة في شرم الشيخ.

٦ - تتفق الدول العربية المعنية وإسرائيل على وضع الاتفاق النهائي عن طريق «يارنج»، الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة.

وبعد أن عرض «جروميكو» المشروع السوفيتي على القيادة السياسية في مصر اتفق على تقديمه مباشرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تقبله.

استمرت المقاومة المصرية والعربية للوجود الإسرائيلي في الأراضي المحتلة على الجبهات الثلاث - الأردن وسوريا ومصر - واشتد عودها وحصلت على نتائج مشرفة ومبشرة بالنصر على إسرائيل وطردها من مواقعها في الأراضي العربية بالقوة.

تقدم السفير «يارنج» بأسئلة إلى كل من مصر والأردن وسوريا بشأن تنفيذ القرار ٢٤٢. وجاء رد مصر على أسئلة «يارنج» بالقبول مع وضع جدول زمني لتنفيذ الانسحاب. ولكن إسرائيل أبدت بصراحة عدم الانسحاب إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

سعت فرنسا لبحث التسوية عن طريق الأربعة الكبار للوصول إلى حل، ولكنها فشلت وتوقف السفير «يارنج» عن أداء مهمته كممثل خاص لسكرتير الأمم المتحدة.

ثالثًا: اقتراحات «جوزيف سيسكو» للتسوية في محاولة ثالثة

واصلت مصر حرب الاستنزاف وحدثت مواجهات عنيفة عبر قناة السويس مع العدو الإسرائيلي الذي تقوقع في مخابئ أسمنتية شرق القناة أطلق عليها «نقاط بارليف الحصينة» خوفًا من كثافة نيران المصريين وهجماتهم الجريئة. وجاء «جوزيف سيسكو»، مساعد وزير الخارجية الأمريكي، يوم ١٦/٥/١٩٦٩، وقدم المشروع الثالث الذي يتضمن:

١ - إجراء مفاوضات مباشرة بين مصر وإسرائيل تحت إشراف السفير «يارنج».

٢ - انسحاب إسرائيل إلى حدود يتم الاتفاق عليها مع عدم استبعاد الانسحاب إلى حدود مصر الدولية.

٣ - نزع السلاح من جميع الأراضي التي تنسحب منها القوات الإسرائيلية.

٤ - اعتبار مضيق تيران مضيقًا مائيًّا دوليًّا.

٥ - يتم إنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل بمجرد إيداع وثائق الاتفاق في الأمم المتحدة.

٦ - التفاوض حول الانسحاب الإسرائيلي في قطاع غزة بين كل من مصر والأردن وإسرائيل مع إمكانية بحث إقامة إدارة مؤقتة لها بواسطة الأمم المتحدة.

٧ - يكون للفلسطينيين اللاجئين منذ ١٩٤٨ حق العودة أو توطينهم حيثما يعيشون، وقد رفضت مصر هذا المشروع بوصفه حلًّا منفردًا مع إسرائيل.

رابعًا: المحاولة الرابعة للتسوية: مشروع «روجرز»

تصاعدت حرب الاستنزاف وكثرت الضحايا في الطرفين كما التف العرب حول مصر، والتزمت إسرائيل بالدفاع الثابت شرق القناة، وظهر طول نفس المقاتل المصري وتصميمه على تحرير سيناء كاملة بالقوة. كما شعرت أمريكا وإسرائيل أن التوازن في القوى بين مصر وإسرائيل أصبح متعادلًا بعد أن كان غير متكافئ

بعد الهزيمة مباشرة، وهذا راجع إلى الدعم السوفيتي المستمر والمتزايد إلى القوات المسلحة المصرية التي أمكنها استيعاب هذه الأسلحة الحديثة بكل اقتدار وسهولة.

ونتيجة لهذا التطور جاء مشروع «روجرز» وزير الخارجية الأمريكي الأول في نوفمبر عام ١٩٦٩ لتنفيذ القرار ٢٤٢ لعام ١٩٦٧، وكانت أهم نقاطه هي:

١ - أن توافق مصر وإسرائيل على جدول زمني من أجل انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المصرية التي احتلتها عام ١٩٦٧.

٢ - إنهاء حالة الحرب بين مصر وإسرائيل.

٣ - توافق الأطراف على الحدود الدولية السابقة بين مصر وإسرائيل وأراضي فلسطين تحت الانتداب تصبح هي الحدود الآمنة والمعترف بها بين مصر وإسرائيل.

٤ - إن الاتفاق سوف يتضمن إقامة مناطق منزوعة السلاح واتخاذ إجراءات فعالة في منطقة شرم الشيخ لضمان حرية الملاحة في مضيق تيران.

٥ - تقوم مصر بتأكيد حق سفن جميع الدول بما فيها إسرائيل في حرية الملاحة بغير تمييز أو تدخل.

٦ - يوافق الطرفان على قبول شروط التسوية العادلة لمشكلة اللاجئين.

٧ - يوافق الطرفان على حق كل منهما في السيادة والاستقلال السياسي داخل حدود آمنة حرة من التهديدات باستخدام القوة.

وقد رفضت إسرائيل مبادرة «روجرز» الأولى عقب إعلانها.

خامسًا: المحاولة الخامسة للتسوية: «مبادرة «روجرز» الثانية»

جاءت على يد «روجرز»، وزير خارجية الولايات المتحدة، وأطلق عليها «مبادرة روجرز الثانية» في ١٩/٦/١٩٧٠ تحت ضغط الاعتبارات التالية:

١ - النشاط العسكري المؤثر في جبهة قناة السويس.

٢ - نجاح قوات الدفاع الجوي بدعم من الشعب في تمركز كتائب الصواريخ سام ٣ في مواقعها بشبكة الدفاع الجوي غرب قناة السويس، الأمر الذي حقق «حائط الصواريخ».

٣ - شعور الإسرائيليين بأن مصر تنوي الهجوم عبر قناة السويس معتمدة على حائط الصواريخ، وأن إسرائيل ليس لديها الأسلحة المضادة لها.

٤ - شعرت أمريكا أن أمن إسرائيل أصبح مهددًا طبقًا للواقع الموجود على الطبيعة في جبهة قناة السويس.

٥ - شعرت أمريكا بازدياد التواجد السوفيتي في مصر، الأمر الذي يهدد المصالح الأمريكية في المنطقة.

٦ - فشل أسلوب «هنري كيسنجر» الخاص باستخدام السماء المفتوحة أمام التفوق الجوي الإسرائيلي والتي أطلق عليها سياسة «العصا الغليظة»، وشاهدت الولايات المتحدة عكس المتوقع من تطبيق هذه السياسة على مصر، والتي كانت تسعى إلى عزل الشعب عن قيادته السياسية حتى تضطر إلى الإذعان لمطالب إسرائيل.

ولذلك اضطر الرئيس «نيكسون» إلى الضغط للتوصل إلى الحل السلمي خوفًا من تطور الموقف واهتزاز أمن إسرائيل، فدفع وزير خارجيته «روجرز» إلى التقدم بمبادرته الثانية في ١٩/٦/١٩٧٠ جاء فيها:

١ - أن تتعهد كل من مصر وإسرائيل بإعادة وقف إطلاق النار لمدة محدودة على الأقل.

٢ - أن تتعهد كل من مصر وإسرائيل وأيضًا إسرائيل والأردن بإصدار البيان التالي باسم السفير «يارنج» إلى سكرتير الأمم المتحدة:

أ) الاعتراف المشترك بين كل من مصر وإسرائيل بحق كل منهما في السيادة والاستقلال السياسي.

ب) الانسحاب الإسرائيلي من أراضٍ تم احتلالها في نزاع ١٩٦٧، وذلك بما يتمشى مع القرار ٢٤٢.

ج) من أجل تسهيل مهمة السفير «يارنج» فإن الأطراف سوف تلتزم اعتبارًا من ١/٧/١٩٧٠، وحتى ١/١٠/١٩٧٠ على الأقل بقرار وقف إطلاق النار الصادر من مجلس الأمن.

وقد سعت مبادرة «روجرز» الثانية إلى تحقيق «صفقة متكاملة» بالنسبة لكل دولة على حدة: مصر، الأردن، إسرائيل.

في الوقت نفسه قدمت الولايات المتحدة الأمريكية مذكرة تتضمن توضيحات وتأكيدات إضافية مثل:

١ - وقف كل النيران في الأرض وفي الجو.

٢ - عدم تغيير الأمر الواقع العسكري في منطقة غرب وشرق قناة السويس التي يتفق عليها.

٣ - استعداد الولايات المتحدة الأمريكية للبقاء في العملية التفاوضية بمجرد أن تبدأ.

٤ - تمتنع أمريكا عن تزويد إسرائيل بالطائرات الحديثة بحيث لا تتجاوز المستوى الذي تم الاتفاق عليه في التعاقدات السابقة(خ).

٥ - هذه التأكيدات الأمريكية جاءت استجابة لنداء الرئيس عبد الناصر إلى الرئيس «نيكسون» في عيد العمال في ١/٥/١٩٧٠.

٦ - خلق مناخ ملائم لاستعادة العلاقات الدبلوماسية بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

٧ - الولايات المتحدة عازمة على عدم الانفراد بالعملية وحدها، بل إنها سوف تخطر الاتحاد السوفيتي والدول الكبرى.

٨ - إن الفلسطينيين يمثلون طرفًا مهمًّا يجب أن تؤخذ اهتماماته في الحساب عند أية تسوية.

هذا ويلاحظ أن مشروع مبادرة «روجرز» الثانية جاء انتصارًا ل- «روجرز» في صراعه ضد سياسة «هنري كيسنجر» الذي كان يقود مجلس الدفاع القومي للولايات المتحدة الأمريكية.

وكان الرئيس عبد الناصر قد وجه خطابًا مفتوحًا على الهواء مباشرة في أول مايو ١٩٧٠ إلى الرئيس «نيكسون» بهدف إتاحة الفرصة أمام الولايات المتحدة الأمريكية لتتخذ موقفًا متوازنًا في صراع الشرق الأوسط جاء فيه:

١ - إن الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق تأكيد التفوق العسكري لصالح إسرائيل سوف تفرض على الأمة العربية موقفًا يؤثر على جميع علاقات الولايات المتحدة الأمريكية بالأمة العربية لعشرات السنين.

٢ - إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد السلام فعليها أن تأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة.

٣ - إن الأمة العربية لن تستسلم ولن تفرط، وهي تريد سلامًا حقيقيًّا ولكنها تؤمن بأن السلام لا يقوم على غير العدل.

٤ - إذا لم يكن في طاقة أمريكا أن تأمر إسرائيل فنحن على استعداد لتصديقها، ولكننا في هذه الحالة نطلب طلبًا واحدًا - هو بالتأكيد في طاقة أمريكا - وهو أن تكف عن تقديم أي دعم جديد لإسرائيل طالما هي تحتل أراضينا العربية.

٥ - وإذا لم يتحقق الاختيار الثاني فعلى العرب أن يتأكدوا أن الولايات المتحدة الأمريكية تريد لإسرائيل أن تواصل احتلالها لأراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام.

٦ - «وأخيرًا فإنني أقول للرئيس «نيكسون» إن هناك لحظة فاصلة قادمة في العلاقات العربية الأمريكية، إما أن تكرس القطيعة إلى الأبد، وإما أن تكون بداية أخرى جادة ومحددة، ذلك أن تصميمنا على تحرير أرضنا هو الحق الشرعي الأول لأي أمة تعرف لكرامتها قيمة. إنني أتوجه بهذا كله إلى الرئيس «نيكسون» لأن اللحظة دقيقة ولأن الموقف بالغ الخطورة».

إن هذه الإحاطة - ولا أقول الإنذار - من الرئيس عبد الناصر إلى الرئيس «نيكسون»، لم تأت على الهواء مباشرة في عيد العمال إلا بعد أن استكملت القوات المسلحة المصرية بناء قواتها على أسس علمية، ومارست في نفس الوقت القتال الشرس مع العدو الإسرائيلي شرق القناة. كما لم تأت هذه الإحاطة إلا بعد فشل سياسة العصا الغليظة التي اتبعها «هنري كيسنجر» وإسرائيل ضد مصر لأنها قد استهلكت بعد أن جربت استخدام الفانتوم ضد المدنيين في مصر وفشلت. كما فشل

الإنذار الذي وجهته الولايات المتحدة الأمريكية إلى مصر يوم ٢/٢/١٩٧٠ بوقف إطلاق النار دون شروط، وفشلت أيضًا استراتيجية السماء المفتوحة ضد مصر.

وكان رد فعل هذا الفشل في إسرائيل أن بدأت الولايات المتحدة تعلن عن سياسة جديدة تعتمد على الرغبة في اتخاذ موقف متوازن بين الطرفين المتحاربين، وإمكانية الضغط على إسرائيل للانسحاب من الأراضي العربية بدعوى عدم موافقتها على اكتساب الأراضي بالقوة وخوفًا على تهديد مصالحها لدى العرب.

كما أن تواجد وحدات مقاتلة سوفيتية في العمق المصري قد غير التوازن السياسي بشكل فادح بحيث يمكن قلب التوازن العسكري في أية لحظة يختارها الرئيس عبد الناصر.

تبع ذلك تقديم «كيسنجر» استقالته من مجلس الأمن القومي الأمريكي قائلًا: «إما حائط الصواريخ في غرب القناة أو استقالتي». ولم يستجب «نيكسون» له، وكان التواجد السوفيتي في مصر قد أحدث قلقًا في إسرائيل أيضًا للدرجة التي جعلت «مائير» رئيسة الوزراء تطالب في منتصف يوليو ١٩٧٠ في حديث لمجلة «دير شبيجل» الألمانية بأن تقوم قوات حلف الأطلسي والولايات المتحدة الأمريكية معًا بإرغام السوفييت على الخروج من الشرق الأوسط في مواجهة شبيهة بأزمة الصواريخ في كوبا عام ١٩٦١.

كان فشل إسرائيل في كسر إرادة القتال المصرية ونجاح قوات الدفاع الجوي المصرية (حائط الصواريخ) في إسقاط الفانتوم والسكاي هوك اعتبارًا من ٣٠/٦/١٩٧٠ هو الدافع الأساسي الذي حرك «نيكسون» لتقديم مبادرة «روجرز» الثانية طبقًا لمطالب العرب.

قبلت مصر مبادرة «روجرز» يوم ٢٢/٧/١٩٧٠، وبعدها بأسبوع قبلت إسرائيل المبادرة في ٣١/٧/١٩٧٠ باتفاق على وقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل على أن يبدأ سريانه اعتبارًا من سعت ١٠٠ يوم ٨/٨/١٩٧٠، ولمدة ٩٠ يومًا تنتهي في ٧/١١/١٩٧٠.

ولكن بعد أسبوع واحد فقط بدأت الاتهامات الإسرائيلية لمصر بانتهاك الاتفاق تلاها مذكرة من الولايات المتحدة الأمريكية بنفس الاتهامات، فقامت مصر بتقديم مذكرة مضادة تشير إلى الانتهاكات الإسرائيلية لوقف إطلاق النار، كما أشارت مصر إلى أن طائرات الاستطلاع الأمريكية التي أخذت صورًا للجبهة المصرية صباح يوم ٨/٨/١٩٧٠ لم تشر إلى أية مخالفة للاتفاق.

وبذلك نجحت إسرائيل في إقناع الإدارة الأمريكية زورًا وبهتانًا، وكان موقف «نيكسون» الداخلي يسمح بقبول وجهة نظر إسرائيل لتأييدها في إيقاف العمل بالاتفاق إذ إن إسرائيل اعتبرته جائرًا لأمنها ومستقبلها، ثم امتنعت إسرائيل عن إرسال مندوبيها إلى نيويورك، ولم يعقد أي لقاء دولي للتفاوض غير المباشر طبقًا لاتفاقية «روجرز» الثانية.

وبذا فشلت مبادرة «روجرز» الثانية قبل أن تبدأ بسبب التعنت والمغالطة الإسرائيلية وتهاون وانصياع أمريكا لمنطقها.

وهنا أعود إلى تحليل الرئيس عبد الناصر للموقف الإسرائيلي بالنسبة للمبادرة يوم أن وافقت مصر عليها أمام المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي يوم ٢٢/٧/١٩٧٠، حيث قال: «لقد أصبح واضحًا أمامنا الآن جميعًا وبغير استثناء ومهما كان من أمر تنوع اجتهاداتنا السابقة أنه لم يعد هناك بديل عن خوض المعركة. لقد تركنا الأبواب مفتوحة لكل محاولات الحل السلمي ولم نضع غير الشروط التي تضعها حقوق الكرامة الوطنية بل وحقوق الأمن الوطني والقومي في أبسط صورهما ولكن ذلك كله وحتى هذه اللحظة كان جهدًا ضائع ًا «مشيرًا إلى رفض إسرائيل للحلول السلمية» والنتيجة المحققة التي يجب أن نستخلصها بأنفسنا ولأنفسنا من ذلك أنه لم يعد هناك طريق للخروج مما نحن فيه الآن إلا أن نشق طريقنا نحو ما نريده عنوة وبالقوة فوق بحر من الدم وتحت أفق مشتعل من النار. ومهما بدت هذه النتيجة قاسية لنصون به الشرف والحياة والمستقبل جميعًا. إن كل الذين كانوا يعتقدون في إمكانية حل سلمي لم يعد أمامهم الآن ما يقولون غير إعادة تكرار وجهة النظر الأخرى القائلة منذ البداية: إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ».

إن الرئيس عبد الناصر قد ترجم بخطابه هذا موقف وشعور الشعب المصري وقواته المسلحة منذ البداية حيث قدر أن إمكانية الحل السلمي بعد الهزيمة في مؤتمر الخرطوم لا تتعدى ٢/١٪، وهو الآن وبعد فشل خمس محاولات للتسوية السلمية في المدة من ١٩٦٨ حتى ١٩٧٠ يعتبر هذه الحلول السلمية جهدًا ضائعًا طالما أن إسرائيل تعتقد أنها القوة التي لا تقهر وأن الدعم الأمريكي لقواتها المسلحة ليس له حدود.

كما أن منطق هذا الخطاب يكذب ما يدعيه البعض أن موافقة مصر على مبادرة «روجرز» الثانية ما هي إلا خطوة نحو قبول التسوية الشاملة مع إسرائيل «أي الصلح يتبعه السلام».

وكان هذا الخطاب أيضًا وما فيه من توجيهات وطنية وعسكرية هو الضوء الأخضر للقوات المسلحة للانتقال إلى مرحلة الاستعداد القتالي لتحرير سيناء بالقوة. وفعلًا بدأت التدريبات التعبوية على مستوى الفرق الميدانية ثم الجيوش بالتعاون مع باقي الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة للتدريب على واجبات العمليات الهجومية لتنفيذ «العملية جرانيت» ضد العدو الإسرائيلي، تمهيدًا لتنفيذها بعد قضاء ال- ٩٠ يومًا المقرر وقف إطلاق النار فيها طبقًا لمقررات مشروع «روجرز» الثاني الذي وافقت عليه مصر وعملت إسرائيل على إجهاضه قبل أن يبدأ.

وواضح من هذا السرد لمحاولات أمريكا للتقدم باسم إسرائيل في أربع محاولات لإنهاء حرب الاستنزاف ووقف نزيف الدم الذي أحاط بإسرائيل ثلاث سنوات متصلة، وكان رفض مصر واضحًا أيضًا في كل مشروع إلى أن قبلت إسرائيل في آخر مشروع («روجرز» ٢) القرار ٢٤٢/١٩٦٧ بكل تفاصيله الذي كانت ترفضه في البداية. وهنا يحق لي المقارنة بين موقف «دايان» في ١٦/٦/١٩٦٧ حين قال:

«إننا ننتظر سماع مضمون الاستسلام من العرب دون قيد أو شرط» وبين قبوله مشروع «روجرز» بقيوده الكثيرة على إسرائيل.

(خ) المقصود بالاتفاقات السابقة عن الأسلحة التي وقعها «جونسون» لإسرائيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل التاسع

رحيل القائد والزعيم

توفي زعيم وقائد الأمة العربية الرئيس جمال عبد الناصر حسين، في الساعة السادسة والربع من بعد ظهر الاثنين ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، الموافق ٢٧ رجب ١٣٩١هـ، في منزله، وذلك بعد عودته من مطار القاهرة الدولي مودعًا لآخر رئيس عربي يغادر القاهرة بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي الذي نجح في إنهاء أزمة الأردن.

وكنت قد سافرت برفقة الرئيس عبد الناصر إلى مرسى مطروح قبل منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠، بغرض الراحة الجبرية لفترة أسبوع، بعد إنذارات من الأطباء المعالجين، حيث كان الرئيس قد أبدى رغبته في الاطلاع على خرائط وقرارات المعركة لأفرع القوات المسلحة والتشكيلات وجبهة الجولان للمرة الأخيرة لاعتمادها وهو مستريح في مرسى مطروح.

وقد أشار الرئيس إلى ضرورة إتمام المرحلة الأولى من الخطة جرانيت أولًا وتأمينها، ثم نفكر في المراحل التالية بعد ذلك. وبعد قضاء يوم في مرسى مطروح وصل الرئيس معمر القذافي واثنان من زملائه، حيث تم استعراض الموقف في الأردن (أيلول الأسود) وما وصل إليه الرئيس من نتائج بعد إعلان إسرائيل رفضها حضور مفاوضات نيويورك، وتقييم الرئيس لتوقيت معركة تحرير الأرض.

قطع الرئيس رحلة مرسى مطروح يوم ١٨/٩/١٩٧٠ بعد اطلاعه على التقارير الواردة من الأردن، وتقديره لخطورة تصاعد الصراع بين الملك حسين وبين المقاومة الفلسطينية، وكان الرئيس متتبعًا جذور وتطور هذا الصراع منذ عام ١٩٦٧.

تفرغ الرئيس عقب وصولنا إلى القاهرة لإنهاء أزمة الأردن قبل أن يتفاقم الصراع أو يتسع، كما رأى ضرورة توحيد كل الجهود العربية لمواجهة الموقف بعد أن سقط كثير من الضحايا. فدعا جميع الملوك والرؤساء العرب للاجتماع في القاهرة، وعقد مؤتمر قمة عربيًّا غير عادي. وبذل الرئيس جهدًا خارقًا للعادة على أعصابه وعلى قدراته الصحية، متحملًا مسؤوليات قيادته للأمة العربية. وابتداء من يوم ١٩/٩/١٩٧٠ ولمدة سبعة أيام متصلة لم يتمكن من الراحة أو النوم أكثر من ساعتين في اليوم الواحد خلال هذه الفترة، وكان يشكو من تعب شديد وأن ساقيه تؤلمانه بشدة.

وفي يوم ٢٨/٩/١٩٧٠ كان الرئيس عبد الناصر يلوح بيده توديعًا للأمير الصباح السالم أمير دولة الكويت إذ فاجأته أزمة قلبية وهو واقف في المطار يؤدي آخر واجب يقوم به. وعاد إلى منزله في منشية البكري دون أن يشعر أحد من الموجودين حوله في المطار أن شيئًا ما قد حدث، ولم يشأ أن يطلب سيارة الإسعاف المرافقة له دائمًا. وأثناء العودة طلب استدعاء أطبائه، من خلال تلفون السيارة. وصل الرئيس

عبد الناصر إلى منزله، وصعد إلى غرفة نومه وغيَّر ملابسه، ثم طلب كوبًا من عصير البرتقال لشعوره بنقص في السكر. ثم استقبل الطبيب المقيم الصاوي حبيب، وبعد الكشف الطبي الأول اتضح إصابة الرئيس بأزمة قلبية حادة، قام على أثرها أربعة أطباء متخصصين بإسعاف وفحص الرئيس بعدة أجهزة، بما فيها أجهزة الأوكسجين والصدمة الكهربائية ورسام القلب ليؤكدوا أن الرئيس يتعرض لأزمة قلبية حادة.

استدعيت إلى منزل الرئيس بعد مرور حوالي ساعتين من وجود الرئيس في مطار القاهرة. وبعد وصولي صعدت مباشرة إلى الدور الثاني حيث فوجئت بالرئيس عبد الناصر على سريره فاقدًا الوعي، فصدمت من هذا المنظر، وانعقد لساني عن السؤال عما حدث للرئيس، وكان واقفًا شامخًا في المطار أثناء مراسم الوداع. وسبقت عيناي في متابعة ما يجري بالغرفة، وكان أول مشهد أراه هو قيام اثنين من الأطباء بانتزاع جهاز تنشيط القلب من فوق صدر الرئيس، ثم أخذ الطبيب الصاوي حبيب يضغط بكلتا يديه على صدر الرئيس بدلًا من الجهاز، وعيناه تدمعان. وعندما توقف عن الاستمرار وجدت نفسي مدفوعًا بحركة لا إرادية نحوه ممسكًا بتلابيبه بكلتا يدي آمرًا إياه بانفعال شديد كي يستمر في عمله، فلم يتحرك. وفي هذه اللحظة رأيت أحد الأطباء ينزع سلوك جهاز قياس نبض القلب، ويشير إلينا بانتهاء حياة الرئيس والدموع تتساقط من عينيه. كانت الساعة بعد السادسة بقليل. غُطي وجه الرئيس وكان جفنا عينيه مهدلين. ولم يصدق أحد من الحاضرين أن الرئيس عبد الناصر قد رحل بلا عودة، وتصاعد بكاء الحاضرين في الغرفة - وكانوا قد سبقوني في الحضور - وهم السادة: علي صبري، وشعراوي جمعة، وسامي شرف، ومحمد أحمد، وحسنين هيكل. إضافة إلى الأطباء الخمسة وهم: منصور فايز، وزكي الرملي، وطه عبد العزيز والصاوي حبيب، ثم انضم إليهم فريق رفاعي كامل. وبعد ذلك حضر السادة حسين الشافعي، ثم أنور السادات الذي كشف عن وجه الرئيس وقبَّل رأسه.

خرج الحاضرون من الغرفة وتعالت أصوات البكاء من عائلة الرئيس، ودخلت قرينته وأولاده. وكان الرئيس - رحمه الله - يمنع أي فرد من العائلة من دخول غرفته لأي سبب طالما يوجد بها شخص آخر.

نزل الحاضرون جميعًا إلى صالون منزل الرئيس في الدور الأرضي، وتوجهت أنا إلى مكتب الرئيس، واتصلت برئيس الأركان وأخطرته بالوفاة، وأمرته برفع درجات استعداد القوات المسلحة للطوارئ. وعدت إلى الصالون حيث شاهدت الدكتور محمود فوزي قد انضم للحاضرين، وصدر قرار جماعي بضرورة نقل جثمان الرئيس إلى قصر القبة فورًا، واستدعاء أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء جميعًا لاجتماع مشترك في قصر القبة قبل إذاعة خبر وفاة الرئيس عبد الناصر على الشعب. وكان جميع الحاضرين في منزل الرئيس وقت وفاته مذهولين وغير قادرين على الكلام أو التفكير. وانتشر خبر وفاة الرئيس إلى أفراد الحراسة والأمن والعاملين في مكتب شؤون رئاسة الجمهورية.

نقل جثمان الرئيس إلى قصر القبة، المقر الرسمي، في سيارة الإسعاف الخاصة، وأخطر المسؤولون في الدولة، وبدأ توافد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا والوزراء على قصر القبة حوالي الساعة الثامنة مساءً لاجتماع مشترك. وكان نصف أعضاء مجلس الوزراء في زيارة ميدانية لجبهة القتال طوال اليوم، وشاهدتهم يدخلون الاجتماع وهم بملابس الميدان. وحضر السادة أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري معًا. وترك مقعد الرئيس جمال عبد الناصر فارغًا، وكانت صورة الزعيم الراحل معلقة في صدر غرفة الاجتماع، لكنها هذه المرة كانت محاطة بشريط أسود. وقام صلاح هدايت، وزير البحث العلمي، بأخذ صورة عبد الناصر على نوع خاص من الجبس حتى يحتفظ بملامحه الحقيقية. وبدأ السيد أنور السادات بوصفه نائبًا لرئيس الجمهورية منذ عشرة أشهر فقط بافتتاح الجلسة مترحمًا على الرئيس جمال عبد الناصر صديقه وزميله وأخيه، الرجل ذي المبادئ الذي بنى هذه الدولة بكل ذرة من حياته. الرجل الذي لم يكن رئيسًا عاديًّا أو مجرد رئيس دولة، بل إنه بنى نظامًا وبنى دولة. ثم استطرد بالقول إن وفاءنا لجمال عبد الناصر يفرض علينا أن نعمل على الاستمرار فيما بناه بنفس التصميم ونفس الإخلاص وبنفس التجرد، وأشار باستعداده لوضع حياته ثمنًا لاستمرار كل ما بناه جمال عبد الناصر وبلا تردد، كما أكد على قيامه بتحمل المسؤولية من بعده. ثم أشار الدكتور لبيب شقير، عضو اللجنة التنفيذية العليا ورئيس مجلس الأمة، إلى نص الدستور في حالة وفاة رئيس الجمهورية، وأنه تطبيقًا لهذا النص يتولى الرئاسة المؤقتة للجمهورية العربية المتحدة السيد أنور السادات لمدة ٦٠ يومًا من خلو منصب الرئاسة، يتم خلالها اختيار رئيس للجمهورية. وكان السيد أنور السادات قد أشار قبل ذلك باستعداده لتولي المسؤولية المؤقتة لحين إزالة آثار العدوان. وبعد ذلك قدم الدكتور منصور فايز تقرير وفاة الرئيس موقعًا عليه من الأطباء الخمسة الذين حضروا وفاته، جاء فيه: «إن الرئيس أصيب بأزمة قلبية حادة نتيجة جلطة شديدة سببت انسدادًا في الشريان التاجي للقلب. لقد نفذت إرادة الله ولم تكن هناك أية قوة تحول دون ذلك».

ولم تكن هذه النوبة القلبية هي الأولى التي أصابت الرئيس جمال عبد الناصر، فقد تعرض إلى نوبة قلبية سابقة في منتصف سبتمبر ١٩٦٩، وظل ملازمًا الفراش لمدة شهر تقريبًا بالإضافة إلى إصابته بمرض السكر وتصلب الشرايين.

كما أشار الحاضرون في الجلسة بضرورة إصدار بيان سياسي عن موقف مصر بعد وفاة الرئيس والقائد جمال عبد الناصر، وكلف الزميل محمود رياض بإعداده وعرضه على المجلس المشترك الذي تقرر أن يكون في حالة انعقاد دائم في هذا الظرف، كما اتفق الحاضرون على بعض إجراءات الجنازة ومكان دفن جثمان الزعيم الراحل عبد الناصر، وكانت الاقتراحات عن خط سير الجنازة من قصر القبة إلى المدفن في كوبري القبة، أو من جامع الأزهر إلى المدفن، أو من مجلس قيادة الثورة بالجزيرة إلى المدفن. استقر الرأي على المكان الأخير ليتمكن أكبر عدد من الجماهير من المشاركة في الجنازة، حيث تتحقق الشعبية والرسمية في وقت واحد في الساعة العاشرة من صباح يوم أول أكتوبر ١٩٧٠، بحيث تتاح الفرصة لرؤساء الدول ووفودها للاشتراك في تشييع الجنازة، على أن يتم الدفن في المسجد

الجديد المجاور لمبنى وزارة الحربية، الذي أطلق عليه اسم الزعيم الخالد. ثم أسرع السيد أنور السادات الرئيس المؤقت للجمهورية العربية المتحدة إلى إذاعة القاهرة لإعلان وفاة الرئيس، وكانت الساعة عندئذ حوالي التاسعة مساء.

كانت إذاعات القاهرة قد اقتصرت على تلاوة القرآن الكريم منذ الساعة السابعة مساء، وبعد أن أعلن خبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر رسميًّا تحولت شوارع القاهرة إلى ملحمة بشرية حزينة متجهة إلى منزل الرئيس بمنشية البكري، وإلى قصر القبة وإلى شواطئ النيل... تذكر المصريون قائدهم العظيم، صولاته وجولاته انحيازه للفقراء، وعناده في مواجهة الأعداء. أخرجوا صوره من البيوت وقفزوا بها إلى الشوارع، الناس تمضي، تهتف «الله حي. الله حي.. عبد الناصر دايمًا حي». تركوا كل شيء نسوا كل شيء وراحوا يتكدسون في الحواري والأزقة، في قرى مصر البعيدة، في جنوب الصعيد وفي شوارع طنطا والإسكندرية والبحيرة، وكل جزء من تراب الوطن - اهتزت مصر، واهتز العالم وتوقفت الحياة تمامًا. بكاه الأصدقاء ولم يصدق الأعداء موته. ظل الناس يصرخون ويهتفون حتى الصباح. باتوا ليلتهم خارج البيوت، لم يذوقوا طعم النوم، فكيف ينامون والبطل الذي أحبوه يرحل عن هذه الحياة؟

في صباح اليوم التالي كان البسطاء قد زحفوا إلى القاهرة من الدلتا والصعيد. جاءوا يحملون صور القائد بملابسهم الفقيرة، يبكون غير مصدقين ما حدث. جاء الشباب يحملون صور القائد تحوطها الزهور ويجللها السواد، تراصوا في صفوف طويلة يهتفون: «ما تفرحش يا استعمار.. عبد الناصر فات أحرار»، «متصدقش ما تعيط ش عبد الناصر لسه ماماتش».

واجهات المحال أغلقت واتشحت بالسواد، تلاوة القرآن عمت مصر من مكبرات الصوت في المساجد، حالات الإغماء تتوالى وسيارات الإسعاف تعجز عن اختراق الحشود البشرية. وفي منطقة القصر الجمهوري تزاحم حوالي مليون مواطن ينشدون: «بلادي.. بلادي. نموت.. نموت.. وتحيا مصر. لا إله إلا الله.. عبد الناصر حبيب الله».

كانت انفعالات الناس عنيفة جدًّا. كان الشباب يتسلقون العمارات الشاهقة وقطارات المترو، ويجلسون إلى جوار أسلاك الكهرباء ولم يعبأ أحد منهم بالخطر، فالحياة لم تعد تساوي شيئًا بعد رحيل جمال.

من بين الحضور اندفعت سيدة عجوز بين رجال الشرطة الذين يحيطون بالقصر صرخت بكل انفعال وألم: «يا ريت ابني اللي مات يا جمال، أنا عايزة أشوفه. سيبوني أشوف جمال، يا ألف خسارة يا ريس».

هناك على الجانب الآخر ضابط شرطة يحاول أن يمنع شابًّا من المرور، ينفعل الشاب ويدفع الضابط وهو يقول: «ده حبيب كل الناس، ده زعيم العمال والفلاحين... ده عبد الناصر حبيب الملايين أرجوك عاوز أقرب منه». انفجرت دموع الشاب ساخنة، وفي التو واللحظة انفجرت دموع الضابط الذي احتضن الشاب وهما يبكيان في نحيب شديد. في هذا الصباح مات مواطن يدعى حسين

رفقي (٥٥ سنة) من أثر الصدمة: بعد سماعه نبأ الوفاة ظل يبكي طوال الليل، انتابته حالة عصبية، ولم تفلح محاولات زوجته لتهدئته. وفي السادسة صباحًا شعر باختناق وضيق في النفس، وحين وصل الطبيب كان المواطن البسيط قد فارق الحياة وهو ينطق باسم جمال.

وفي طنطا طعن شاب يدعى مسعد عبد السلام، من مهاجري الإسماعيلية وموظف بوحدة أبشوعا بمركز طنطا نفسه بالسكين عدة مرات وهو يهتف: « بالروح بالدم أفديك يا جمال».

أما عبد الله السيد محمد فقد ألقى بنفسه من الدور الثالث في طنطا وهو يصيح: «لا حياة بعد جمال».

وفي الإسكندرية بكت المدينة كما لم تبك في حياتها. أعلن الحداد في كل مكان، البواخر الراسية في الميناء نكست أعلامها. تعطلت كل مظاهر الحياة العامة. أغلقت المحال والمتاجر، ورفعت فوق البيوت الأعلام السوداء حزنًا على الرجل الذي أحبته وأحبها. نساء الإسكندرية لحقن بالرجال، وخرجن في مظاهرات تطوف المدينة والمناديل السوداء في أيديهن، مليون مواطن إسكندراني عاشوا في حزن وكآبة وشعور باليتم... جنازة صامتة قوامها حوالي ٥٠ ألف شخص تخترق المدينة، تتقدمها فتيات يرتدين الحداد ويرفعن صور الرئيس.

وفي جبهة القتال اعتصر الحزن الرجال على خط النار، بكى الضباط والجنود بكاء شديدًا، وسرى الحزن بين المدنيين الذين بقوا يقاتلون في مدن القناة.

من خارج القاهرة ازدحمت الشوارع بكتل بشرية لم تحدث مثلها من قبل، وتوقفت المواصلات، وظل المواطنون في الشوارع حتى صباح اليوم التالي. كم كانت صدمة حزينة على شعب مصر، وشعوب الأمة العربية والأفريقية، وقد أعلنت مشاعرها عبر الإذاعات، وفي البرقيات. واستعد أغلب رؤساء دول العالم ووفودها لحضور جنازة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

وفي ظهيرة اليوم التالي ٢٩ سبتمبر، تم عقد اجتماع مشترك آخر لمناقشة الترتيبات النهائية للجنازة، ومراجعة مشروع البيان السياسي عن اتجاهات مصر الخارجية والداخلية بعد وفاة الزعيم. وطلب السيد أنور السادات أن يشمل بوضوح تمسكنا بالعلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفيتي نظرًا لدعمه لنا في معركة التحرير. كما كان تركيز معظم الأعضاء على التأكيد على تماسك الجبهة الداخلية، والموافقة الإجماعية على ضرورة الاستمرار في نفس الخط السياسي الذي وضعه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.

واستكمل قراءة البيان السياسي بعد صياغته الوجيزة في جلسة مشتركة ثالثة عقدت في قصر القبة مساء نفس اليوم. كما أعلن الحداد أربعين يومًا، وتعطيل العمل في المصالح الحكومية والعامة والجامعات والمدارس لمدة ثلاثة أيام.

وكنت قد عرضت ترتيبات الجنازة بأن تبدأ مسيرتها من مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة إلى جامع جمال عبد الناصر في كوبري القبة، مع تخصيص أكثر من

٤٠٠٠٠ ضابط وجندي من القوات المسلحة، بالإضافة إلى جميع طلبة الكليات العسكرية للاشتراك في الجنازة، وتأمين خط سيرها الطويل. كذا إجراءات نقل الجثمان من قصر القبة إلى مكان بدء الجنازة، وإعداد مقبرة جديدة داخل بهو جامع جمال عبد الناصر بالتنسيق مع المهندس علي السيد والأستاذ محمد أحمد. وكانت المخاطر الموجودة أمامي هي تأمين جثمان الرئيس عبر شوارع القاهرة من غربها إلى شرقها مسافة أكثر من ٢٠ كيلو مترًا تملأها مشاعر حزن أكثر من خمسة ملايين مواطن، الأمر الذي استحال فيه نقل جثمان الرئيس من قصر القبة إلى الجزيرة عبر هذه الحشود الضخمة من المواطنين قبل ميعاد بدء الجنازة، وكنت على وشك تغيير هذه الترتيبات عندما قرب يوم الخميس أول أكتوبر والحشود الضخمة من المواطنين تسد طرق القاهرة جميعها. فهدانا الله إلى حل هذه الصعوبة بفكرة حمل نعش الزعيم الراحل بواسطة هليوكبتر مي ٨ إلى نادي الجزيرة أقرب مكان لبدء الجنازة صباح يوم أول أكتوبر الميعاد الذي أعلن للشعب.

ومضى يوم الأربعاء ٣٠ سبتمبر والحزن مخيم على كل شيء ورؤساء ووفود دول العالم يتوالى وصولهم إلى القاهرة، وظل السادة أنور السادات وحسين الشافعي وعلي صبري ملازمين بعضهم في قصر القبة نهارًا وليلًا والقوات المسلحة مشغولة بتحضيرات الجنازة. والشرطة ورجال الأمن يجاهدون في الحفاظ على سلوك المواطنين منضبطًا بقدر الإمكان خلال سير الجنازة، تساعدهم إذاعة القاهرة حتى يكون تشييع جنازة الزعيم الراحل مناسبًا لمقدار حب الشعب له.

فجر يوم الخميس أول أكتوبر اصطف حوالي ٤٠٠٠٠ ضابط وجندي من الجيش والشرطة وطلبة الكليات العسكرية في خط سير الجنازة وحوالي الساعة التاسعة بدأ توافد رؤساء الدول ووفودها إلى مقر مجلس قيادة الثورة. في نفس الوقت كنت أستقبل جثمان الزعيم في الأرض الخضراء بنادي الجزيرة الرياضي بعد هبوط الهليوكبتر التي حملته بحيث اتجهت بالنعش إلى مقر مجلس قيادة الثورة بالجزيرة، وبدأت أضخم جنازة شهدها العالم الساعة العاشرة صباح ذلك اليوم مخترقة شوارع القاهرة.

سار رؤساء الدول ووفودها خلف نعش الزعيم الذي كان محاطًا بعدد ٤٠ لواءً من ضباط القوات المسلحة، يتقدمهم أولاده الثلاثة خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم حتى بداية كوبري التحرير بشكل منتظم، حيث انتهت مسيرة رؤساء الدول ووفودها وذهبوا إلى فندق هيلتون النيل. ثم تغلبت مشاعر المواطنين رجالًا ونساء وتحولت الجنازة إلى طوفان بشري، كل يريد حمل نعش الرئيس غير مكتفين بإلقاء نظرة وداع. ولما كنت حريصًا على تأمين النعش حتى مكان الدفن طلبت من أولاد الزعيم أن ينتحوا جانبًا، واصطحبهم السيد حسين الشافعي، وزملائي الوزراء الذين تمكنوا من الوصول، حتى فندق هيلتون النيل. وركبت عربة مدرعة مكشوفة ومعي الزميل شعراوي جمعة، ووجهت أكثر من ٥٠٠ جندي من الشرطة العسكرية والحرس الجمهوري للالتفاف حول الجثمان. واستؤنف سير الجنازة وسط حشود من البشر يتحركون مع الجثمان غير عابئين بما يحدث لهم من مخاطر نتيجة تصادم أجسامهم بالخيول السوداء التي تجر عربة النعش، أو محاولتهم إيقاف الخيول، أو الصعود

على عربة النعش ومحاولة رفع النعش فوق رؤوسهم. ونجحوا في شد أجزاء من العلم الذي يغطي النعش، فكلفت الرقيب أول سيف، وهو يمتاز بطول قامته وقوة عضلاته، أن يلقي بجسمه على النعش منعًا لمحاولات نزعه من عربة النعش. وانتهت مهمة هذا الرقيب أول أمام المقبرة وهو محافظ على النعش، ولكنه وصل بدون قميص وجلد ظهره مشوه من عنف تمسك المواطنين به. وسار نعش الزعيم وحوله جنود الشرطة العسكرية والحرس الجمهوري وعربتان مدرعتان ببطء شديد كما لو كانوا نقطة في بحر هائج من البشر. ولم تستطع كل إجراءات التأمين العسكرية أو العربات المدرعة أو سدادات الطرق مواجهة ضغط خمسة ملايين مواطن، كل يريد أن يأخذ النعش الذي يحمل بطل وحبيب الشعب. وكان زئير الملايين في كل مكان: «بالجيش والشعب هنكمل المشوار».

وبعد أربع ساعات من الإجهاد والحزن وصل موكب النعش إلى جامع جمال عبد الناصر، حيث أقيمت صلاة الجنازة وبدأ الجسد يتجه إلى مثواه الأخير. وكان إحساسي في هذه اللحظة أن روح الزعيم الراحل قد دخلت في قلب خمسة ملايين مواطن وفاء وإخلاصًا قبل أن يدخل الجثمان إلى مثواه الأخير.

وكان أولاده وإخوته وزملاؤه أعضاء مجلس قيادة الثورة في انتظار جثمان الزعيم عند المقبرة، عدا السيد أنور السادات الذي أصيب بإغماء شديد عند بدء سير الجنازة وتخلف عن الركب. ولن أنسى وأنا أدوِّن هذه الذكرى الحزينة ما قاله لي عبد الحكيم، أصغر أبناء الرئيس، في بداية سير الجنازة، وكنت ماسكًا بيده متقدمين خلف جثمان والده:

- أبوي كان عايز المعركة لإعادة سيناء.

فقلت له وأنا أضغط على يده:

- ربنا يقدرنا يا عبد الحكيم نحقق أمل والدك.

وكان عبد الحكيم لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره.

وعندما بدأت مدفعية السلام تطلق الإحدى والعشرين طلقة إعلانًا لوضع الجثمان في مثواه الأخير، أحسست وزملائي قادة القوات المسلحة بأن فراغًا في القيادة السياسية والعسكرية قد حدث، والسؤال الوحيد الذي طغى على كل الأسئلة: متى وكيف يتاح للقوات المسلحة المصرية تنفيذ معركة تحرير الأرض في التوقيت الذي قرره الرئيس الراحل جمال عبد الناصر؟ إن الأمر يحتاج إلى تأكيد القرار الاستراتيجي من رئيس وقائد جديد لم يكن لديه صورة كاملة عن استعداد القوات المسلحة أو قدراتها القتالية لمعركة التحرير. وكان هذا أول أعبائي بعد وفاة القائد الأعلى للقوات المسلحة.

وقد اشترك في تشييع جنازة الزعيم الراحل مائة وفد منهم ثلاثون رئيس دولة، وعشرون رئيس وزارة، أما الباقون فكانوا من كبار الشخصيات الدولية لتمثيل رؤساء دولهم. ومن وفود القارات مثلت أفريقيا تسع عشرة دولة، ومن أوروبا ثماني عشرة دولة، ومن آسيا ست عشرة دولة، ومن أمريكا ثلاث دول. وكان أكبرها عددًا

وفود السودان، وليبيا، ولبنان، والاتحاد السوفيتي، كما اشترك في تشييع الجنازة والعزاء ممثلا منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة الدول الأفريقية وسكرتير عام هيئة الأمم المتحدة.

قاد الرئيس والقائد جمال عبد الناصر أمته ثمانية عشر عامًا واجه فيها أكبر وأخطر لحظات تاريخها الحديث، واستطاع بتصميمه وبعد نظره أن يواجه مع شعبه هذه اللحظات، ويخرج منها محترمًا رافعًا رأس شعبه الذي أحبه وقدره في حياته وفي مماته. وترك القائد عبد الناصر فكره وبصماته وإخلاصه لشعبه، وتفانيه في العمل، وتحمله المسؤولية، وحسمه في إصدار القرار. لقد جعل القوات المسلحة المصرية - وهي في قمة أزمتها وحماسها للخروج من هذه الأزمة في سنوات ١٩٦٧-١٩٧٠ - تتخذ قائدها الأعلى قدوة حسنة، وارتفعت معنوياتها، وزادت إرادتها القتالية، وهانت تضحياتها.

ولم يكن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر في نظر العالم رئيس دولة أو زعيمًا شعبيًّا فحسب، بل كان قائدًا لتيار سياسي وقومي يقود حركة وطنية اجتاحت المنطقة العربية ومعظم الدول الأفريقية، وأدت إلى سقوط قلاع الاستعمار واحدة تلو الأخرى، كما نجح عبد الناصر في استقطاب كل الشعوب العربية، وأغلبية الشعوب الأفريقية، وكان لهذا الاستقطاب تأثيره الإيجابي على شعوب دول العالم الثالث أيضًا.

وأثناء وجود رؤساء وملوك الدول العربية في القاهرة اقترح الرئيس نميري فكرة إصدار بيان صريح وواضح من الزعماء العرب بعد اجتماعهم، يؤكدون للعالم العربي باسمهم جميعًا استمرار تمسك شعوبهم بالأهداف التي نذر لها جمال عبد الناصر نفسه، وضرورة الاستمرار في مواجهة الاستعمار بكافة أشكاله وأساليبه والاستمرار في المعركة حتى يحرر كل شبر في سيناء والجولان والقدس وفلسطين، وحماية الثورة الفلسطينية ومساندتها ودعمها.

وكان رد فعل وفاة الرئيس عبد الناصر لدى شعوب الأمة العربية مماثلًا للشعور الزاخر لشعب مصر والذي تمثل في جنازة زعيم الأمة العربية، حيث كانت الملايين تتحرك مع الجثمان بقلوبها ومشاعرها كنتيجة تلقائية لحبها وولائها للزعيم الراحل. كما كان رد الفعل لدى شعوب العالم الثالث الذي ترك الرئيس عبد الناصر أفكاره وبصماته وآماله فيها، خاصة في أفريقيا، ومجموعة دول عدم الانحياز، الأمر الذي سجلته الأحداث والشواهد عند تلقي خبر وفاته، كذا في رثائه.

أما رد فعل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لوفاة عبد الناصر فكان مزيجًا من الشماتة والاحترام، وهما الصفتان اللتان استطاع الرئيس أن يفرضهما على كلتا الدولتين في صراعه السياسي، والتصميم على نجاح مبادئ ومستقبل أمته وشعبه، الأمر الذي كان يتعارض مع أهدافهما.

ولم يكن عداء الولايات المتحدة الأمريكية والدول الاستعمارية الأخرى موجهًا ضد شخص جمال عبد الناصر الزعيم النظيف والصلب كما قالوا بقدر ما كان عداؤهم

لمبادئ وتيار القومية العربية التي تبناها ونشرها عبد الناصر، والتي اعتبرها الاستعماريون موجهة ضد مصالحهم في المنطقة.

وقد عبر عن هذا الاتجاه ما أدلى به الرئيس «نيكسون» عند سماعه خبر وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وكان على سطح حاملة الطائرات «ساراتوجا» قائدة الأسطول السادس يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، موجهة مدافعها ضد الزعيم عبد الناصر في مصر، إذ قال: «لقد فقدنا الرجل الذي كان يمكنه جذب العرب للسلام في الشرق الأوسط». وكان تصوره أقرب إلى الحقيقة التي كانت تكمن في قرار الرئيس عبد الناصر لو علم بهذا التحدي في تمثيلية البحرية الأمريكية التي قادها «نيكسون» بنفسه يوم وفاته. وكانت «مائير» رئيسة وزراء إسرائيل تنادي دائمًا «لا يمكن أن يتحقق السلام في منطقتنا والرئيس عبد الناصر في الحكم».

كما أعلن «حاييم بارليف»، رئيس الأركان، وهو يخاطب طلبة المعهد العسكري الإسرائيلي في نوفمبر ١٩٧٠: «إن المستقبل قد أصبح مشرقًا أمام إسرائيل بموت جمال عبد الناصر». وعندما أراد أحد عملاء المخابرات المركزية «جول جوستن» أن يعلق على وفاة الزعيم عبد الناصر قال: «إن ما يدعو للأسف فيما يتعلق بعبد الناصر هو أنه ليست لديه أية رذيلة. إن شراءه لم يكن ممكنًا، وتهديده كذلك. وإننا نكرهه إلى أقصى حد، لكننا ما كنا نستطيع أن نفعل ضده شيئًا، إنه نظيف جدًّا جدًّا».

كما اعتبرت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية أن أقوى جبهة من جبهات القتال ستميل إلى السلبية، وأن قوة جذب الشعوب العربية، ودفع إرادة القتال ضد إسرائيل، والتمسك بمبادئ القومية العربية التي تميزت في زعامة الرئيس عبد الناصر قد انتهت بوفاته، خاصة أن إحلال السادات - وهو أكثر اعتدالًا، وليس له وزن عبد الناصر في العالم العربي - سوف يفتح الباب لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لتحقيق أهدافهما في المنطقة بسهولة.

كما أن تصريحات المسؤولين في الدولتين المعاديتين وتعليقات الصحف الأمريكية بعد رحيل عبد الناصر كانت تشير إلى بوادر أقل لدى صانعي السياسة فيهما، خاصة عندما علموا أن سياسة السادات لا تميل إلى الثورة، ونبذ التطبيق الاشتراكي، وأنه أقل قدرة على إثارة المتاعب في المنطقة. وعلى ذلك أصبح الموقف الاستراتيجي من وجهة نظرهم أقل خطورة ويمكن السيطرة عليه، وبقيت مصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة مضمونة بسبب وقف إطلاق النيران، واستعادة الملك حسين لسلطته في الأردن، ووفاة الرئيس جمال عبد الناصر.

كان تقدير الرئيس عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧، وأحداث ٩ و١٠ يونيو ١٩٦٧، أن زعامته للشعب لا يمكن أن تستمر إلا إذا أعاد الموقف مع إسرائيل إلى ما كان عليه قبل عام ١٩٦٧. فكانت إرادته وتصميمه ومجهوداته في العمل على إعادة بناء القوات المسلحة على أسس جديدة، والعمل على رفع قدراتها القتالية من أجل تفوقها على إسرائيل في معركة تحرير الأرض، كان ذلك كله ذا أثر مباشر على صحته،

فأصيب بالقلب وتصلب الشرايين بالإضافة إلى مرض السكر. ولكن كانت إرادته وقوة تحمله وتصميمه على تحقيق هدف الشعب تتغلب دائمًا على آلام المرض وعواقبه. وكانت أحداث وجهد الأيام السبعة الأخيرة في حياته خير مثل في التضحية من أجل حرية المواطن وحرية الوطن في العالم العربي.

إن التقييم الأساسي والتاريخي للزعيم الراحل جمال عبد الناصر هو أنه كان وطنيًّا لا تشوب وطنيته شائبة، وليس لديه معيار سوى خدمة الوطن. وكان رجلًا شريفًا ونظيفًا لا يهمه المال أو الحياة، ولا يثنيه التهديد أو الوعيد. وكان قائدًا يمثل القدوة الحسنة، ويصمم على تحقيق أهداف الوطن دائمًا. وقد نجح القائد الأعلى للقوات المسلحة في الاحتفاظ بتوازن القوى الدولي في المنطقة، كما اتسم عهده بنجاح استراتيجية المواجهة مع إسرائيل.

وكانت علامات السعادة والإشراق ظاهرة في الولايات المتحدة وإسرائيل لوفاة الزعيم عبد الناصر، بينما كان غيابه عن قمة الزعامة في مصر خسارة استراتيجية على القوات المسلحة وعلى الشعب المصري، كما تأثرت معركة تحرير الأرض في مضمونها وهدفها وتوقيتها أيضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل العاشر

تحليل ودروس الصراع المسلح في حرب الاستنزاف

النتائج السياسية والمعنوية للنكسة

إن رفض مصر عبد الناصر لمحاولات الاحتواء السياسي والنفسي والاقتصادي من قبل أمريكا للوطن العربي كوَّن رصيدًا عدائيًّا للسياسة الأمريكية ضد مصر باعتبارها قوة مؤثرة ضخمة. إن مصر كانت دائمًا هي مقياس الحسابات السياسية الأمريكية للمنطقة العربية، وخاصة بعد نجاح خطة التنمية الأولى. وكان رفض الأحلاف، وأعقبها نصر السويس ١٩٥٦، وما تبعها من انطلاق مصر نحو نشر وتأييد حركات التحرر الوطني في العالم العربي، ثم في أفريقيا وفي كل دول العالم الثالث ودفع سياسة عدم الانحياز إلى الوجود والتأثير في عقد مؤتمرات القمة العربية في القاهرة والإسكندرية عام ١٩٦٤ وقمة المنظمة الأفريقية وعدم الانحياز بعد ذلك.

كل ذلك دفع الصراع إلى ضرورة القضاء على عبد الناصر وأهدافه ونظامه. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية هي السبب الأساسي في تصعيد عدوان ١٩٦٧ بالإضافة إلى اشتراكها في الخداع السياسي، كذا في التأييد المطلق لإسرائيل، كذا في المساعدات غير المباشرة خلال معركة يونيو ١٩٦٧.

وبالرغم من أن نكسة يونيو ١٩٦٧ كانت مهينة فإنها فتحت باب المتغيرات الجذرية في مصر والدول العربية رفضًا للواقع المر واتضح ذلك في:

١ - تغيير القيم والسلوك الشعبي في المجتمع وهيكل الدولة وأيديولوجيتها وأساليبها السياسية والاجتماعية.

٢ - أفرزت قوى مقاومة ضاغطة على صاحب القرار من أجل التحول والتغيير.

٣ - انتهت المعركة دوليًّا بصدور القرار ٢٤٢/١٩٦٧ الذي اعتمد عليه مؤتمر مدريد بعد ذلك في إقرار مبدأ الأرض مقابل السلام.

٤ - ظهر علنًا عداء أمريكا للعرب من خلال تصريح أذاعته واشنطن يوم ١١/٦/١٩٦٧ ونصه:

تعلن الإدارة الأمريكية برئاسة «جونسون» أن الفرصة الذهبية قد حانت أخيرًا لكي تبتلع كل دولة عربية شعاراتها عن القومية العربية وتتكفئ على نفسها منعزلة عن الدول العربية الأخرى وتقبل الحياة في المنطقة في ظل تفوق عسكري إسرائيلي تحت إشراف أمريكي وتنفذ ما تمليه إسرائيل عليها من مشروعات تستهدف التعاون الإقليمي.

ومن هذا التصريح يمكن معرفة أهداف أمريكا من العالم العربي بعد هزيمة ١٩٦٧، إما الارتماء في كنف السياسة الأمريكية أو الاستسلام لإسرائيل.

ضرورة حرب الاستنزاف وتأثيرها السياسي

كانت حرب الاستنزاف ضرورة حتمية لمصر ولشعوب الأمة العربية من وجهة النظر العسكرية والسياسية، وهي أطول حرب بين العرب وإسرائيل، إذ استغرقت ٣٨ شهرًا بدأتها مصر تعبيرًا عن رفض الهزيمة وتأكيدًا لعزمها على مواصلة النضال إلى أن تزول آثار العدوان الإسرائيلي.

تميزت حرب الاستنزاف بأنها أول صراع مسلح يدور في مسرح الشرق الأوسط بين قوات شبه متكافئة فيما تملكه من أسلحة ومعدات ومواجهة، وذلك خلافًا لما حدث في الجولات الثلاث السابقة.

لقد عمقت حرب الاستنزاف صمود الشعب وقواته المسلحة ممثلًا في:

١ - الجندي المصري يكسر وقف إطلاق النار ويبدأ المعركة على المستوى الفردي ثم الجماعي، ويتقبل ردود الفعل من العدو تحت تأثير الثأر من إسرائيل.

٢ - قبول الشعب مضطرًا لسحب ٤٠٠.٠٠٠ إلى ٢/١ مليون مواطن من بيوتهم وزراعتهم ومصانعهم غرب قناة السويس إلى مناطق بعيدة في الدلتا والقاهرة وبني سويف حتى لا يكونوا تحت رحمة نيران العدو فيتحولوا إلى أداة ضغط على حركة القوات المسلحة.

٣ - كثافة نيران العدو التي وصلت خلال ٣٦ ساعة متواصلة في أوائل عام ١٩٧٠ إلى حجم تدمير قنبلة ذرية على شريط ضيق من الأرض شمال القنطرة انتقامًا لعملية عسكرية ناجحة جدًّا شرق القناة لم تفقد القوات المسلحة خلالها سوى جندي واحد شهيد، الأمر الذي يثبت إمكانية صمود المقاتل في الميدان دون غطاء جوي.

٤ - حرب الاستنزاف أنتجت بناء قوات مسلحة قوية وحديثة يسهل عليها تحرير الأرض ومواجهة تحديات العصر.

حرب الاستنزاف هي أول صراع مسلح تضطر فيه إسرائيل إلى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية ولمدة طويلة. وهذا ترك سلبية على معنويات الشعب وعلى الاقتصاد الإسرائيلي، وتسبب في خفض معدل النمو الاقتصادي من ١١٪ عام ١٩٦٩ إلى ٨.٥٪ عام ١٩٧٠.

حرب الاستنزاف أجبرت إسرائيل على تغيير أسلوب قتالها من الهجوم إلى الدفاع مع تغيير استراتيجيتها المدرجة التي جعلت الجنرال «وايزمان» ينتقد موقف المؤسسة العسكرية في إسرائيل في حرب الاستنزاف، ويؤكد أن هذه الحرب سوف تدخل التاريخ بوصفها الحرب التي خسرتها إسرائيل.

لقد كانت حرب الاستنزاف ١٩٦٧-١٩٧٠ ضرورة ملحة لمصر وللعرب ظهرت جدواها في الخبرة المكتسبة للقيادات وهيئة الأركان والأجهزة من أجل تحرير الأرض المغتصبة بالقوة بعد أن تمكنت من إعادة تنظيمها على أسس علمية حديثة.

كما شهدت حرب الاستنزاف صراعًا بين الطائرة والصاروخ وضع حدًّا للتفوق الجوي الذي انفردت به إسرائيل في الجولات السابقة. كما شهدت مولد الحرب الإلكترونية المصرية التي يعود الفضل في نشأتها إلى الفريق عبد المنعم رياض

شهيد حرب الاستنزاف. ويقول اللواء الإسرائيلي «وايزمان» عن الغارات في العمق المصري في أوائل ١٩٧٠ ونتائجها: «إنها جاءت بنتيجة مختلفة تمامًا عما كنا نهدف إليه. إذ إنها زادت رسوخ الحكم في مصر، بينما فتحت المجال لدخول السوفييت بكثافة وانتشرت الصواريخ أرض-جو في كل مكان مما أفقد إسرائيل أهم ركائز التفوق على العرب، وهو المجال الجوي الخالص لنا والذي لم تعد تشكيلاتنا البرية تحسن القتال في غيابه».

لا أحد ينكر اليوم أن نجاح الرئيس جمال عبد الناصر في إدخال السوفييت في مسرح العمليات بكثافة يعتبر نجاحًا للسياسة المصرية ترتب عليه إمكانية إنشاء ودفع حائط الصواريخ حتى حافة القناة، الأمر الذي شكل حجر الزاوية في نجاح عملية العبور يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ والتي لولاها لما استطاع المخطط للعمليات الحربية أن يخوض الجولة الخامسة بنجاح.

إن الدعم السوفيتي الكامل، سواء بالوحدات المقاتلة أو بالمعدات والأسلحة الحديثة المتطورة، قد أسهم في تغيير ميزان القوى الاستراتيجي بين العرب وبين إسرائيل. كان ميزان القوى يعطي إسرائيل، في يونيو ١٩٦٧، ٩٠٪ من مطالبها، بينما كانت مصر وسوريا لا تملكان سوى ١٠٪ فقط. وأصبح ميزان القوى بعد مرور ٣ سنوات - حرب الاستنزاف - أي في يونيو ١٩٧٠ في صالح العرب، الأمر الذي يتيح للقوات المصرية والسورية الاستعداد الناجح لتحرير سيناء والجولان بالقوة. ولا أبالغ إذا قلت إن الإعداد للقوات المسلحة ميدانيًّا قد اكتمل قبل حلول يوم ٧/١١/١٩٧٠، وهو اليوم الذي كان معدًّا لاستئناف عمليات التحرير بالقوة.

وكان أفضل دليل هو ما ظهر من جدل في الندوة الاستراتيجية لحرب أكتوبر بعد مرور ٢٥ عامًا في أن القوات المسلحة (إدارة المهندسين العسكريين) نجحت في الحصول على الوسيلة الفعالة لتدمير وإزاحة الساتر الترابي - العائق الكبير شرق القناة بواسطة مدافع المياه، عن طريق مضخات قوية تم استيرادها من الخارج بفضل خبرة رجال السد العالي، وذلك في أواخر عام ١٩٦٩.

أي أن آخر نقص في الإعداد للعبور لمعركة التحرير قد تمت تغطيته قبل وفاة الرئيس عبد الناصر.

تحقيق المهمة

إن التحليل الأخير للجهد المضني الذي قام به قادة وضباط وجنود أشداء في بناء وتنظيم وتدريب وإعداد أفراد القوات المسلحة المصرية كذا مسرح العمليات كذا الخطط المطلوبة للتحرير في خلال ثلاث سنوات فقط، وأمام مواجهة شرسة من العدو يعد إنجازًا خارقًا لا يقوم به إلا أبطال آمنوا بوطنهم وعروبتهم.

وكلمة حق أخيرة، فإن التخطيط الاستراتيجي العام وفكرة الخطة جرانيت التي كان منتظرًا تحقيقها في ربيع عام ١٩٧١ ليس لها أية علاقة بما تم من خطط حربية يوم ٦/١٠/١٩٧٣، سواء في فكرة العمليات أو تجميع القوات للعمليات الهجومية أو توقيت العمليات، لسبب بسيط جدًّا هو أن الهدف العسكري لتحرير سيناء من الناحية العملية قد تغير تغييرًا شاملًا.

كما أصبحت حرب الاستنزاف وما تم فيها من جهد بشري ملحوظ على مستوى إعداد الدولة للحرب رصيدًا قيمًا لاستكمال البنية الأساسية الاقتصادية والحضارية والثقافية للشعب المصري، كما وضعت الأسس للنمو الاجتماعي والاقتصادي من خلال خطط التنمية الشاملة بعد ذلك.

إن ديناميكية حرب الاستنزاف قد تولدت إثر توفر ثلاثة عوامل أساسية هي:

١ - توفر إرادة القتال لدى الشعب والجيش في اشتراكهما معًا في القتال ورغبتهما في الثأر لأول مرة ضد العدو الإسرائيلي.

٢ - وضوح الهدف: «ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة».

٣ - دعم كامل للاتحاد السوفيتي عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا من أجل المعركة.

إن التحديات والعقبات والمؤامرات الاستعمارية والصهيونية التي اعترضت طريق الثورة في الأمن والتنمية الشاملة للشعب المصري، كذا عمق ومدى تداعيات النكسة عام ١٩٦٧، مع فشل وحدة العرب وتضامنهم نحو الاتفاق على استراتيجية قومية واحدة، كل هذه الظروف كوَّنت في مجموعها دوافع غيرت نظم وأساليب عقيدة القتال في القوات المسلحة المصرية، كما عدَّلت من أسلوب القيادة والسيطرة على القوات المسلحة ووضعت نظم وتشريعات الدفاع السليم عن الدولة والشعب.

لولا هذه الظروف والمعارك، بما انطوت عليه من انتصارات أو انكسارات، لما تطورت مصر وقواتها المسلحة ونظمها، لتدخل عصر الإلكترونيات والمواصلات ويرتفع الوعي الوطني والقومي ارتفاعًا يدفع مصر وشعبها إلى مصاف الدول المحترمة أدبيًّا ومعنويًّا.

إن حضارة الشعوب لا تتحقق إلا عندما تواجه الهزيمة قبل معارك النصر، وهي تجربة آمنت بها الشعوب المتحضرة في هذا العالم.

إن الهزيمة والنصر أمران طبيعيان في تربية وتكوين حضارة الشعوب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ملحق ١

تقدير موقف

العمل العربي العسكري الموحد لإزالة آثار العدوان

مقدمة

١ - إن العمل الجاد الهادف لإزالة آثار العدوان الإسرائيلي على الدول العربية، ورد الكرامة العربية، بعد ما أصابها نتيجة العدوان الأخير لا يمكن أن يقتصر على العمل السياسي وحده، وقد أجمعت التوقعات في الأمة العربية على أن الحل السياسي سيستغرق وقتًا طويلًا علاوة على أن احتمالات نجاحه كما يصبو إليها العرب وحسب قرارات مؤتمر القمة في الخرطوم تعتبر بعيدة، ويبقى ماثلًا أمامنا الحل العسكري العربي الموحد كحل وحيد لإزالة آثار العدوان، بل إن توحيد جهود العمل العربي وتنسيقه لسرعة إتمام البناء العسكري السليم القادر يعتبر في حد ذاته عملًا رئيسيًّا لتدعيم العمل السياسي وإنجاحه.

٢ - إن القضية بين العرب وإسرائيل في الظروف الراهنة يمكن تقسيمها إلى شقين رئيسيين: الشق الأول وهو موضوع إزالة آثار العدوان.

والشق الثاني هو قضية اللاجئين وحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني، وسينصب البحث والدراسة من وجهة النظر الاستراتيجية العسكرية على الشق الأول وهو إزالة آثار العدوان.

أولًا: مبادئ وأسس العمل العربي الموحد

- العمل العربي الموحد من وجهة النظر العسكرية وبناء على التجارب السابقة يستلزم تطبيق عدة مبادئ وأسس أهمها:

٣ - كواقع جغرافي: إسرائيل محصورة بين قوتين عربيتين، إحداهما قوة عربية شرقية وهذه القوة تشتمل على: المملكة العربية السعودية - دولة الكويت - الجمهورية العراقية - المملكة الأردنية الهاشمية - الجمهورية السورية - الجمهورية اللبنانية.

والقوة العربية الأخرى جنوبية غربية وتضم الجمهورية العربية المتحدة - ليبيا الثورة - الجمهورية التونسية - الجمهورية الجزائرية - المملكة المغربية - الجمهورية السودانية.

٤ - لم يعد منطقيًّا أن نبحث عن وحدة دفاعية متكاملة أو عمل موحد مع استمرار كل دولة في عملها منفصلة عن قوات الدول العربية الأخرى، أو قصر استخدام قوات كل دولة على أبعاد تخطيطها الإقليمي مما يؤدي إلى إنقاص فاعليتها، ويجب تجميع الإمكانيات العسكرية بين هاتين القوتين لكي تعملا بانسجام معًا وتكونا فيما بينهما جبهة شرقية وجبهة غربية، مع توفير أعلى درجات التنسيق والتعاون العرضي لتحقيق الهدف.

٥ - اتبعت الدول العربية أكثر من أسلوب من أساليب توحيد العمل العسكري، وربما كان كل منها الأكثر ملاءمة للمناخ السياسي والعسكري الذي نشأ فيه إلا أن سُنة التطور والاستفادة من تاريخ المعارك السابقة تحتمان أن يتغير كل أسلوب منها فور الاهتداء إلى أسلوب أجدى منه.

٦ - إن مستوى المسؤولية التي تتحملها القوات المسلحة للدول العربية اليوم يستلزم اتفاقًا صريحًا عن كيفية استخدام الطاقات المتاحة للدول العربية مع الاعتراف للقيادة العسكرية بصلاحيات مباشرة تمكنها من تحريك القوات في مختلف المحاور مع إسرائيل بسرعة حتى لا يؤدي أي تباطؤ في تحريك قوات محور ما إلى إعطاء العدو فرصة التركيز على محور آخر مما يؤثر على موقفه العسكري وعلى باقي المحاور العربية الأخرى.

٧ - ليكن معلومًا جيدًا من دراسة التجارب والمعارك السابقة ومن الموقف الحالي بظروفه واحتمالاته وأيضًا من تصريحات وتلميحات كبار الساسة والقادة الإسرائيليين، أن المعركة الرئيسية ستكون على الجبهة الغربية حيث الاتجاه الرئيسي ضد قوات الجمهورية العربية المتحدة، ويجب مراعاة ذلك عند إجراء أي تخطيط أو تنسيق عسكري بين الجبهتين الشرقية والغربية.

٨ - إن دراسة احتمالات العمل العربي وتوافقه مع إمكانياتنا العسكرية من جانب، والموقف العسكري مع إسرائيل من جانب آخر، يفرض علينا ضرورة أن يتناسب جهد كل دولة مع متطلبات موقفها العسكري، وما تسمح به إمكانياتها البشرية والمادية.

ثانيًا: أسلوب العمل العسكري الموحد المقترح في المرحلة الحالية

من أجل تحقيق إزالة آثار العدوان تتقدم القيادتان العسكريتان في كل من الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية السورية بمشروع لأسلوب عسكري جديد تشارك فيه الدول العربية جميعها.

المشروع المقترح

تقديم

١ - لاعتبارات الموقع الجغرافي للدول العربية ولتحليل النوايا العدوانية المباشرة للعدو أثرها في ضرورة توزيع الدول العربية من حيث التجميع العسكري إلى مجموعتين:

أ - المجموعة الشرقية:

وتشمل «المملكة العربية السعودية - دولة الكويت - المملكة الأردنية الهاشمية - الجمهورية العراقية - الجمهورية السورية - الجمهورية اللبنانية».

ب - المجموعة الغربية:

وتشمل «الجمهورية العربية المتحدة - الجمهورية الليبية - الجمهورية التونسية - الجمهورية الجزائرية - المملكة المغربية - الجمهورية السودانية».

أسلوب العمل العسكري بين دول المجموعتين

٢ - بدراسة الأوضاع الجغرافية لهذه الدول العربية وطبيعة الحدود الحالية لخطوط إيقاف النيران يقتضي الأمر إنشاء قيادتين يخول لهما الصلاحيات التي تمكنهما من أن تكونا ذواتي سلطة قيادية مباشرة على قوات كل منهما.

القيادة الشرقية «عراقية»:

٣ - تقود التشكيلات البرية الموضوعة تحت إمرتها من القوات السورية والقوات الأردنية والقوات العراقية، وكذلك القوات الجوية الموضوعة تحت إمرتها من جميع دول هذه المجموعة في كل من محور سوريا-إسرائيل، ومحور الأردن-إسرائيل، وتعتبر مسؤولة عن إصدار تعليمات العمليات لقواتها بناء على تخطيط وتنسيق عسكري مسبق بالتعاون مع القيادة الغربية، وتعتبر هذه التعليمات واجبة التنفيذ فورًا.

وليكون أسلوب العمل أكثر فاعلية للربط بين هذه القيادة العراقية وبين قيادات القوات المسلحة لبقية دول هذه المجموعة نقترح إنشاء مجموعة عمليات برية جوية تمثل القوات المسلحة لكل من سوريا والأردن، تصبح عضوًا أساسيًّا داخل القيادة الشرقية، وكذلك تنشأ مجموعة عمليات جوية تمثل القوات الجوية لكل من باقي دول المجموعة داخل القيادة الشرقية.

القيادة الغربية «الجمهورية العربية المتحدة»:

٤ - تقود التشكيلات البرية الموضوعة تحت إمرتها من قوات الجمهورية العربية المتحدة، وتعتبر مسؤولة عن إصدار تعليمات العمليات لقواتها بناء على تخطيط وتنسيق عسكري مسبق مع القيادة الشرقية، وكذلك تنشأ مجموعة عمليات جوية تمثل القوات الجوية لكل دولة من باقي دول المجموعة داخل القيادة الغربية.

وتحقيقًا لضمان استمرار التنسيق والتعاون بين القيادتين يقتضي الأمر:

أ - تعتبر القيادة الغربية في الوقت نفسه قيادة عليا بالنسبة للقيادة الشرقية طبقًا للاعتبارات المبينة في مبادئ وأسس العمل العربي الموحد «فقرة ٥» الخاصة باتجاه المجهود الرئيسي للعمليات المقبلة وأنه سيكون في مواجهة المجموعة الغربية لطبيعة هذا المسرح للعمليات، وبهذا يصبح تنظيم التعاون بينهما من مسؤولية القيادة الغربية ولصالح المجهود الرئيسي.

ب - تشكيل مجموعة عمليات برية جوية من كل من القيادة الشرقية والقيادة الغربية ضمن ضباط القيادة الأخرى.

ج - توفير وسائل الاتصال الدائم بين كل من القيادة الشرقية والقيادة الغربية.

٥ - على جميع الدول أن تبدأ من الآن في زيادة حجم وفاعلية قواتها الجوية على أن يكون الدعم وفقًا للمعدل المخطط مسبقًا. كما يراعى استكمال جميع عناصر الدعم الجوي، وخاصة عنصر الطيارين بحيث يوفر معدل طيار ونصف على الأقل لكل طائرة.

٦ - يتم الاتفاق على المشروع المقترح بطريقة أشبه بالاتفاقات العسكرية الثنائية بين الدول وبعضها في كل مجموعة.

٧ - يتم باتفاق كامل على التخطيط والتنظيم للعمل العربي للقيادة الغربية مع القيادة الشرقية. وما يستتبع ذلك من إجراءات تحضيرية بالنسبة للاستطلاع وتبادل المعلومات وتنسيق قوة الردع الجوية لاستخدامها مجمعة لاستغلال طاقتها إلى أقصى حد.

ثالثًا: مطالب العمل العسكري الموحد من الدول العربية لإزالة آثار العدوان:

الاعتبارات التي روعيت في تحديد المطلوب من كل دولة:

١ - مجابهة الفتح الاستراتيجي المحتمل للقوات المسلحة الإسرائيلية:

أ - التشكيلات البرية:

(١) يمكن لإسرائيل تعبئة ما قدره ٣٨-٣٩ لواء من مختلف الأسلحة «منها ٧ لواءات مدرعة».

(٢) علاوة على ٨ كتائب دبابات مستقلة ووحدات دعم من المدفعية والمهندسين وخلافه.

ولذلك يجب توفير ما يعادل ٦٠ لواء من مختلف الأسلحة لتوفير نسبة تفوق على العدو تتراوح ما بين ١ و ١.٥٪

ب - القوات الجوية:

(١) يوجد لدى إسرائيل حاليًا ٤٠٠ طائرة. هذا بدون حساب ما تحاول إسرائيل الحصول عليه الآن بشتى الوسائل.

(٢) تستعين إسرائيل بالطيارين المتطوعين بما يوفر من ٢-٣ طيارين لكل طائرة، ما يمكنها من عمل من ٥-٨ طلعات في اليوم للطائرة الواحدة وهو ما يضاعف من قدرات قواتها الجوية بالنسبة إلى قواتنا العربية.

ولذلك يلزم توفير ما يعادل ٨٠٠ طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة لتحقيق تفوق جوي بنسبة ٢-١ وهذه أقل نسبة ممكنة لتعويض الكفاءة النوعية للطائرات الإسرائيلية وكذا النسبة العالية للطيارين بالنسبة للطائرات.

٢ - احتمالات العمل العسكري الإسرائيلي:

إن احتمالات العمل التعرضي الإسرائيلي الأكثر توقعًا:

أ - قيام العمليات الحربية على الجبهة المصرية الإسرائيلية فقط مع تأمين باقي الجبهات.

ب - قيام العمليات الحربية في مسرح سيناء بصفته جبهة تركيز الجهود الرئيسية الإسرائيلية مع تخصيص جزء من قواتها البرية لتثبيت باقي الجبهات.

وأرجح الاحتمالات التي تتبعها إسرائيل في توزيع قواتها البرية استراتيجيًّا في مواجهة العمل العسكري العربي هو الاحتمال الأول. كما أن كلا الاحتمالين يقع عليه عبء العمل في الاتجاه الرئيسي في مواجهة محور سيناء/ إسرائيل.

٣ - مقارنة القوات العربية والقوات الإسرائيلية على المحاور:

إن مقارنة القوات بالنسبة لمحور الأردن/ إسرائيل، وكذلك محور سوريا/ إسرائيل يظهر الحاجة إلى التدعيم بقوات برية، وهذا يجعل من الضروري تدعيمهما بقوات برية عراقية لتحقيق التوازن.

٤ - الموقع الجغرافي وطبيعة الحدود الحالية:

الموقع الجغرافي للدول العربية من حيث القرب أو البعد عن خطوط إيقاف النيران جعل من غير المحتمل أن تشترك القوات البرية للدول التي ليس لها حدود مشتركة مع إسرائيل واقتصر دور هذه الدول على المعاونة الجوية بهدف التدعيم الجوي لقوات الدول التي على خط الجبهة مع إسرائيل.

٥ - الإمكانيات المادية والبشرية:

روعي في تحديد حجم القوات سواء البرية أو الجوية قدرة الدولة الاقتصادية والبشرية في إنشاء هذه القوات وتجهيزها بالمعدات اللازمة.

٦ - الاستفادة من العلاقات الدولية سواء مع الدول الشرقية أو الدول الغربية:

يجب عدم التمسك بمصدر واحد في الحصول على السلاح، وخاصة ما يخص المجهود الحربي. بل يمكن الاستعانة بالدول الشرقية والدول الغربية المنتجة للأسلحة للحصول على احتياجاتنا.

٧ - إنشاء قوة ردع جوية:

من الأهمية بمكان القيام بعمليات ردع جوية خاصة على المناطق الحيوية داخل إسرائيل لما لها من تأثير معنوي ومادي كبير على العدو في المعركة المقبلة، ويرغمها على عدم المغامرة بضرب أية أهداف حيوية داخل أراضي الدول العربية.

رابعًا: المطالب العسكرية من الدول العربية:

المطلوب من الدول العربية الوصول إليه - مذكور في ملاحق مرفقة.

الخلاصة:

إن المرحلة الزمنية التي يعيشها العرب اليوم مرحلة حاسمة في التاريخ العربي وهي تستوجب منهم جميعًا وخاصة القوات المسلحة أمورًا حيوية منها:

١ - مواجهة صريحة للحقائق وعلى رأسها أن المعركة الرئيسية الحاسمة ضد إسرائيل ستكون معركة قوات الجمهورية العربية المتحدة، وسيكون محور سيناء هو محور عملياتها.

٢ - إيمان مطلق من جميع الدول العربية بأن الوطن العربي يشكل وحدة دفاعية متكاملة وأن المعركة هي معركة مصير ولا سبيل إلى حلها إلا بجدية العمل العسكري الموحد.

٣ - الموافقة التامة لجميع الدول العربية بدون استثناء على أسلوب العمل المقترح، على أن يتم الاتفاق ثنائيًّا بين دول كل مجموعة.

٤ - التزام الدول العربية بالدعم الجوي المطلوب سواء بالمقاتلات أو القاذفات، مع تحديد موعد الانتهاء من تكوينه وموعد استعداده للاشتراك الفعلي الإيجابي في العمليات.

الدعم العسكري المطلوب من الدول العربية

أولًا: المطلوب من القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة لتعمل تحت إمرة القيادة الغربية:

قوات برية:

٢٥ لواء مشاة مع التدعيم المناسب.

٦-٧ لواءات مدرعة مع التدعيم المناسب.

قوات جوية:

١ - زيادة قواتها الجوية ما يعادل مائة طائرة مقاتلة، مقاتلة قاذفة مع تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة في تشكيل قوة الردع الجوية.

٢ - الاشتراك بعدد ثلاثة أسراب «٣٠ طائرة، قاذفة ت ي ١٦» مع تجهيز وإعداد أطقم لقيادة هذه الطائرات وتوفير احتياطي منهم.

ضباط ارتباط:

١ - توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء هيئة عمليات القيادة الغربية قادرين على التخطيط للعمليات والقدرة على السيطرة وإدارة العمليات الحربية على طول الجبهتين الغربية والشرقية.

٢ - توفير الضباط اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات برية جوية تتواجد ضمن ضباط القيادة الشرقية.

ثانيًا: المطلوب من القوات المسلحة العراقية:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة للعمل تحت إمرة القيادة الشرقية:

قوات برية:

توفير القوات الآتية لتدعيم الجبهة الأردنية والجبهة السورية بما يعادل:

٩ لواءات مشاة مع التدعيم المناسب.

٣ لواءات مدرعة مع التدعيم المناسب.

قوات جوية:

١ - زيادة قواتها الجوية بما يعادل ٦٠ طائرة مقاتلة/ مقاتلة قاذفة مع تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة.

٢ - الاشتراك في تشكيل قوة الردع الجوية بعدد سربين «٢٠ طائرة قاذفة ت ي ١٦» مع تجهيز وإعداد أطقم لقيادة هذه الطائرة وتوفير احتياطي منهم.

٣ - تجهيز مطاراتها وتوفير الدفاع الجوي عنها لاستخدامها كمطارات تبادلية للمناورة.

ضباط ارتباط:

١ - توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء هيئة عمليات القيادة الشرقية والقادرين على التخطيط للعمليات والقدرة على السيطرة وإدارة العمليات الحربية.

٢ - توفير الضباط اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات برية جوية تتواجد ضمن ضباط القيادة الغربية.

علاقات عسكرية حاليًا:

١ - تتمركز مع قواتنا في القناة كتيبة مشاة كقوة رمزية مع قواتنا.

٢ - يتمركز في العراق «الحبانية» سرب قاذفات ثقيلة مصري عامل مع قاذفات العراق من نفس النوع.

٣ - سيتم تنسيق عسكري جوي مع العراق لغرض تحقيق خطط الردع الجوي مستقبلًا.

٤ - نساعد العراق بأية فرق تعليمية تطلبها من ج. ع. م. في جميع أفرع القوات المسلحة العربية.

٥ - منتدب بالعراق بعض العسكريين الفنيين من القوات الجوية «مدرسة التدريب المهني-معلمين» والبحرية في البصرة «تعليم وإصلاح» والجيش «خبراء في الذخيرة وإصلاح الدبابات وتعليم اللغة العبرية».

٦ - العراق تمركز حوالي ٣ لواءات مشاة في الأردن وتحاول سحبها بالتدريج بالإضافة إلى ١ لواء ميكانيكي.

٧ - تم تنسيق عسكري مع سوريا ولم ينفذ منه شيء.

ثالثًا: المطلوب من القوات المسلحة السورية:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة للعمل تحت إمرة القيادة الشرقية:

تشكيلات برية:

١٢ لواء مشاة مع التدعيم المناسب.

٢-٣ لواءات مدرعة مع التدعيم المناسب.

قوات جوية:

زيادة قواتها الجوية بما يعادل ٣٠ طائرة مقاتلة/ قاذفة/ مقاتلة مع تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة.

ضباط ارتباط:

توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات برية جوية للعمل ضمن هيئة القيادة الشرقية.

علاقات عسكرية حاليًا:

١ - يوجد اتصال مباشر عن طريق جهاز لاسلكي القيادة الموحدة.

٢ - تجاب سوريا إلى طلباتها في فرق التعليم أو البحوث والتطورات في المعدات أو في إصلاح بعض قطع البحرية.

رابعًا: المطلوب من القوات المسلحة الأردنية:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة للعمل تحت إمرة القيادة الشرقية.

التشكيلات البرية:

٩ لواءات مشاة مع الدعم المناسب.

٢ لواء مدرع مع الدعم المناسب

قوات جوية:

١ - زيادة قواتها الجوية بما يعادل ١٠ طائرات مقاتلة ومقاتلة قاذفة مع تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة.

٢ - إنشاء مطارين جديدين بالمملكة الأردنية الهاشمية بالإضافة إلى المطارات الموجودة بها حاليًا.

ضباط ارتباط:

توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات برية جوية للعمل ضمن هيئة القيادة الشرقية.

مركز عمليات القيادة الشرقية:

تخصيص وتجهيز مكان مناسب ليكون مركز قيادة رئيسي للقيادة الشرقية.

علاقات عسكرية حاليًّا:

١ - تم إهداء ١٩ دبابة مستخدمة «سنتوريان» وبعض قطع الغيار للأردن.

٢ - يتمركز في الأردن عدد ٢ جهاز رادار وسرية مدفعية م/ ط لحمايتها تعمل بالاتصال المباشر مع مركز الدفاع الجوي الرئيسي لصالح الإنذار.

٣ - يساعدنا رئيس أركان الجيش الأردني في شراء مدافع م/ ط باسم الأردن.

خامسًا: المطلوب من القوات المسلحة السعودية:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة للعمل تحت إمرة القيادة الشرقية:

تشكيلات برية:

١ - توفير أية وحدات من مدفعية الميدان أو وحدات الدفاع الجوي لتدعيم القوات الموجودة بالجبهة الشرقية.

٢ - المعاونة بأية مركبات أو معدات تكون لازمة لرفع الكفاءة القتالية لقوات الجبهة الشرقية.

قوات جوية:

١ - تخصيص ما يعادل ٤٠ طائرة مقاتلة ومقاتلة/ قاذفة حديثة النوع من تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة.

٢ - تجهيز مطار خميس مشيط أو مطار نجران كمطارات تبادلية للمناورة بالطائرات القاذفة أو لانتشارها قبل وأثناء العمليات الفعلية.

ضباط ارتباط:

توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات جوية للعمل ضمن هيئة القيادة الشرقية.

علاقات عسكرية حاليًّا:

- تمركز حوالي لواء مشاة في الأردن.

سادسًا: المطلوب من القوات المسلحة الكويتية:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة للعمل تحت إمرة القيادة الشرقية:

تشكيلات برية:

١ - توفير أية وحدات أو أسلحة من مدفعية الميدان أو الدفاع الجوي لتدعيم القوات الموجودة بالجبهة الشرقية.

٢ - المعاونة بأية مركبات أو معدات تكون لازمة لرفع الكفاءة القتالية لقوات الجبهة الشرقية.

قوات جوية:

١ - تخصيص ما يعادل ٤٠ طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة حديثة النوع مع تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة.

٢ - تجهيز مطار الكويت كمطار تبادلي للمناورة بالطائرات القاذفة أثناء العمليات الفعلية أو قبلها.

ضباط ارتباط:

توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات جوية للعمل ضمن هيئة القيادة الشرقية.

علاقات عسكرية حاليًا:

تمركز حوالي ٢ كتيبة مشاة في جبهة قناة السويس كقوة رمزية.

سابعًا: المطلوب من القوات المسلحة اللبنانية:

تجهيز وتخصيص القوات الآتية من قواتها المسلحة للعمل تحت إمرة القيادة الشرقية:

تشكيلات برية:

١ - توفير أية وحدات أو أسلحة من مدفعية الميدان أو الدفاع الجوي لتدعيم القوات الموجودة بالجبهة الشرقية.

٢ - المعاونة بأية مركبات أو معدات تكون لازمة لرفع الكفاءة القتالية لقوات الجبهة الشرقية.

قوات جوية:

١ - تخصيص ما يعادل ٢٠ طائرة مقاتلة ومقاتلة قاذفة حديثة النوع، مع تجهيز وإعداد طيارين بمعدل ١.٥ طيار لكل طائرة.

٢ - تجهيز مطار في لبنان ليكون مطارًا تبادليًا للمناورة أثناء العمليات.

ضباط ارتباط:

توفير الضباط الأكفاء اللازمين لإنشاء مجموعة عمليات جوية للعمل ضمن هيئة القيادة الشرقية.

توقيع: فريق أول

محمد فوزي

قائد عام الجيوش العربية المواجهة لإسرائيل

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ملحق ٢

تنظيم أسلوب القيادة والسيطرة على شؤون الدفاع عن الدولة وعن القوات المسلحة

من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى الهزيمة السياسية والعسكرية عام ١٩٦٧، عدم تحديد سلطات حقيقية لرئيس الجمهورية على القوات المسلحة، وعدم ممارسته لأية سلطة فعالة رغم النص على كونه القائد الأعلى للقوات المسلحة، كذلك توزيع المسؤوليات بين جبهتين غير متكافئتين هما هيئة الأركان للقوات المسلحة ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة «للشؤون العامة» الذي تحول قبل الهزيمة إلى وزارة الحربية على غير أساس علمي ودون الاستناد إلى أية تجربة.

وترجع ضرورة هذا الموضوع إلى عام ١٩٤٨ حين حدثت أول هزيمة عسكرية معاصرة وعلى أثرها قامت ثورة ٢٣ يوليو لتضع حدًّا للفساد السياسي والعسكري ونشطت عملية التطور الموضوعي في الدولة عامة وفي القوات المسلحة خاصة حتى جاءت هزيمة أخرى عام ١٩٥٦ اقتصرت هذه المرة على الناحية العسكرية، بينما شكلت الناحية السياسية نصرًا كبيرًا حجب الهزيمة وغطى على أسبابها واقتنصته القوات المسلحة لصالحها واستغلته وتفشت فيها روح اللامبالاة وعدم تقدير المسؤولية، وخيل للكثيرين أن النصر يمكن أن يكون سهل المنال بأسس أخرى غير الصراع المسلح.

وهكذا بدأت القوات المسلحة تهمل في مسؤولياتها الأساسية وهي التدريب والانضباط العسكري والإعداد للحرب، وانزلقت نحو اهتمامات جانبية حتى جاءت هزيمة أخرى في يونيو ١٩٦٧، وشملت الناحيتين السياسية والعسكرية معًا بنطاق أوسع وعمق أكبر.

ومن هنا جاءت حتمية إعادة البحث بعمق عن الأسباب الحقيقية لهذه الهزيمة من وجهة نظر بناء وتنظيم القيادة الاستراتيجية سعيًا وراء تطور موضوعي يحدد تحديدًا واضحًا الأجهزة المسؤولة عن القيادة والسيطرة على شؤون الدفاع وعن القوات المسلحة في الدولة ومسؤوليات كل منها وسلطات كبار المسؤولين فيها تجنبًا للانزلاق مستقبلًا إلى اتجاهات أو أوضاع قد تتسبب في هزيمة جديدة.

ولهذا فقد وضعت أمام لجنة البحث والإعداد في القيادة العامة الجديدة التي أرأسها، واشترك فيها كل من الفريق عبد المنعم رياض واللواء مصطفى الجمل واللواء أحمد زكي عبد الحميد، وهما رئيسا هيئة التنظيم والبحوث العسكرية، أسسًا علمية مقررة وأساليب تحقق كثيرًا من الاعتبارات الاستراتيجية المعاصرة مستندة إلى تشريعات ولوائح من دول أجنبية كثيرة شرقية وغربية. وكان أهم الأهداف التي يسعى إليها هذا البحث هي:

١ - تحديد المسؤوليات بالنسبة لإعداد الدولة للحرب.

٢ - توضيح وضع القوات المسلحة في الإطار العام لأجهزة الدولة وتحديد سلطات فعالة لرئيس الجمهورية بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة.

٣ - توحيد القيادة والسيطرة داخل وزارة الحربية تمشيًا مع التنظيم العام للدولة الذي يقضي بعدم ازدواج الصلاحيات والمسؤوليات.

٤ - تفويض وزارة الحربية مهمة السيطرة المباشرة على إعداد شؤون الدفاع عن الدولة، وتحديد اختصاصات واضحة لكل من وزير الحربية ورئيس أركان حرب القوات المسلحة.

٥ - ضمان اتخاذ قرارات جماعية في الموضوعات العسكرية الهامة بحيث لا يكون لفرد حق اتخاذ القرارات المصيرية وذلك بإنشاء مجالس حرب.

٦ - ضمان الموازنة بين المسؤوليات والصلاحيات التي تخول للمسؤولين في القوات المسلحة بما يوفر إمكان قيامهم بمسؤولياتهم بطريقة إيجابية.

وعالج هذا البحث الموضوعات المتعلقة بالحرب على مستويين: مستوى سياسي-عسكري ومستوى عسكري-استراتيجي.

حددت اختصاصات القيادة السياسية والعسكرية وعلى قمتها رئيس الجمهورية ومجلس الدفاع الوطني ووزارة الحربية بالموضوعات المتعلقة بشؤون الدفاع عن الدولة وإعدادها، على أن يتم ذلك في اتجاهات رئيسية أربعة:

١ - إعداد اقتصاد الدولة للحرب: ويشمل إعداد الصناعة والزراعة ووسائل النقل والمواصلات لتلبية مطالب الحرب.

٢ - إعداد أراضي الدولة للحرب (مسرح الحرب): ويتضمن إنشاء القواعد الجوية والبحرية والمستودعات والمخازن ومصادر المياه ومراكز السيطرة والطرق وتنظيم الإخفاء والتمويه للمنشآت العسكرية والمنشآت المدنية.

٣ - إعداد الشعب للحرب: ويشمل تنمية الروح الوطنية في المواطنين وإعدادهم سياسيًّا ومعنويًّا، وتخطيط وتنفيذ الإشراف على إجراءات الدفاع المدني والتدريب العسكري والفني للمواطنين قبل تجنيدهم.

٤ - إعداد القوات المسلحة للحرب: ويشمل تحديد حجم القوات المسلحة في السلم والحرب بحيث يضمن حجمها في السلم تحقيق الأهداف الاستراتيجية المباشرة للمرحلة الابتدائية للحرب ويضمن سرعة انتقال القوات المسلحة من حالة السلم إلى حالة الحرب بالتعبئة مع توفير الاستعداد العالي للقتال في جميع الأوقات، وتوفير مطالب القوات وتطوير الأسلحة والمعدات الحربية بمطالب الحرب الحديثة وتنظيم وإدارة الاستطلاع السياسي والاستراتيجي.

وتحددت اختصاصات القيادة العسكرية الاستراتيجية بالقيادة المباشرة للقوات المسلحة من بناء للقوات المسلحة وتدريب قتالي ومعنوي لها وفتح استراتيجي للقوات المسلحة وتخطيط وتحضير لإدارة العمليات الحربية.

وبالرغم من الأهمية القصوى لمسائل إعداد الدولة للحرب، وبالرغم من أن تلك الموضوعات تدخل في صميم اختصاصات مجلس الدفاع الوطني طبقًا للدستور والقانون، وهو المجلس الذي يلزم استمرار انعقاده بصفة دائمة عند إعلان التعبئة العامة أو قيام الحرب، فإن ذلك المجلس لم يمارس اختصاصاته إطلاقًا في المرحلة السابقة ليونيو ١٩٦٧ مما ترتب عليه حدوث خلل خطير في التركيب التنظيمي للأجهزة المسؤولة عن شؤون الدفاع عن الدولة، أدى إلى عدم إعداد الدولة وتحضير القوات المسلحة تحضيرًا سليمًا للحرب.

وكان لزامًا أن تقوم وزارة الحربية، بوصفها الجهاز التالي لمجلس الدفاع الوطني، بمباشرة التزاماتها إزاء شؤون الدفاع عن الدولة، إلا أنها لم تعط هذا الواجب أي اهتمام. واقتصر الأمر على محاولة إعداد القوات المسلحة فقط، واتجهت إلى موضوعات أخرى خارج اختصاصاتها تؤكد سيطرتها على القوات المسلحة، مثل الترقيات وتعيين الضباط وعلاجهم وإحالتهم إلى المعاش. وكان اهتمامها الأكبر هو موضوعات الأمن والتوجيه المعنوي. وترتب على ذلك أن تضاربت الاختصاصات بشكل خطير بالنسبة لمسائل السيطرة على القوات المسلحة، مما عقَّد الأمور وأعاق إعداد القوات للحرب طوال زمن السلم، ثم أثر على قيامها بتنفيذ مهماتها عندما بدأت الحرب.

فالقيادة العامة (العليا) للقوات المسلحة كانت مسؤولة عن تدريب القوات وتخطيط وإدارة العمليات، بينما وزارة الحربية مسؤولة عن شؤون الضباط بما فيها من ترقية وتعيين القادة الذين سيقومون بالتدريب وتنفيذ هذه الخطط.

وانفردت وزارة الحربية بالتدريب والتوجيه السياسي والمعنوي للقوات، بينما ظلت القيادة العامة (العليا) مسؤولة عن التدريب القتالي. ثم جاءت اعتبارات الأمن التي استغلتها وزارة الحربية في غير مفهومها لتقف عائقًا منيعًا في وجه القيادة العامة بالنسبة لتدريب وإعداد القوات المسلحة للحرب. فكانت القوات تجد نفسها أمام جهازين يصدران إليها التعليمات ويطالبانها بمهام متعارضة، وكان طبيعيًّا أن تنال موضوعات الأمن النصيب الأكبر من اهتمام القوات.

والعبرة الناتجة من هذا الازدواج يجب أن تكون العمل الجاد على وضع الإطار السليم لمجال عمل واختصاصات كل من رئيس الجمهورية ومجلس الدفاع الوطني ووزارة الحربية والقيادة العامة للقوات المسلحة، بما يكفل تكاملها وعدم تعارض اختصاصاتها حتى لا تعرقل الأمور وتضيع المسؤوليات.

كما بيَّن هذا البحث الفرق بين القيادة الجماعية والقيادة الفردية، ومزايا كل منهما وعيوبها. فبينما تمارس القيادة الجماعية على مستوى الدولة في موضوعات متشعبة تتطلب توافر خبرات ومعرفة كثيرة، كما أن عامل الوقت لا يكون حاسمًا في وقت السلم، في القوات المسلحة وفي زمن الحرب فإن القيادة الفردية تكون الطريقة الرئيسية، إذ إنها توفر وحدة العمل حيث لا يتيسر الوقت للمناقشة وبشرط أن يكون القرار الفردي في نطاق القرار الجماعي أو جزءًا منه. ولا شك أن الدمج بين

الطريقتين يحقق المثالية بالنسبة للقيادة والسيطرة على القوات المسلحة في السلم والحرب معًا.

إن مسؤولية العمل الواحد لا يمكن أن تتجزأ. وبما أنه ليست هناك مسؤولية بدون سلطات، فإن الأمر يقتضي تركيز السلطة في يد قائد واحد ضمانًا لتأمين وحدة العمل ومركزية القيادة. وإن نظام التسلسل القيادي وتبعية كل قائد لقائد مسؤول واحد أكبر يضمن عدم استغلال أي قائد لسلطاته. والمبدأ المتبع في كل دول العالم هو أن يترك القائد ليمارس سلطاته للقيام بواجباته ومسؤولياته، ثم يحاسب على نتيجة عمله دون التدخل في أسلوب ممارسته لقيادته.

وإذا كان من الخطأ أن نحمل الفرد مسؤوليات بدون تفويض سلطات له تمكنه من القيام بهذه المسؤوليات، فإن من الخطر منح سلطات للفرد بدون تحميله مسؤوليات محددة وإلا انقلب الأمر إلى استغلال هذه السلطة غير المسؤولة بما يؤدي إلى الفساد والانحراف.

ونظرًا لاحتمال حدوث أخطاء بواسطة القائد الواحد، وحتى لا تكون سلطاته مطلقة غير مقيدة ومدة قيادته غير محدودة، وجب أن يقف وراءه مساعدون متخصصون في كل مجال وأن تحدد مدة قيادته. وهنا جاءت حتمية تشكيل مجالس للدفاع أو الحرب أو جهاز للسيطرة (قيادة)، وبهذا النظام نضمن صدور القرار بشكل جماعي يمنع التطرف في الفكر مع تخويل القائد مسؤولية تنفيذه، دون تقييد لما يتمتع به هذا القائد من روح المبادأة والابتكار داخل الإطار العام للقرار الجماعي.

إن أحد العوامل المهمة للسيطرة الناجحة هو التقسيم الواضح للسلطات والواجبات والمسؤوليات بين القائد ومرؤوسيه، وتكون المسؤولية الأولى للقائد هي اتخاذ القرارات المسببة في أقصر وقت ممكن، وتخصيص المهام لقواته بدون أي تأخير.

وعلى ضوء هذه الاعتبارات السابقة وضعت مشروع قانون بشأن تنظيم القيادة والسيطرة على شؤون الدفاع عن الدولة وعن القوات المسلحة، وعرضته على الرئيس عبد الناصر في أوائل ١٩٦٨، وقد اندهش لمحتوياته، ولكنه أعجب بنصوصه خاصة أنها منطقية ومعتمدة على دراسة علمية وتاريخية خاصة.

وقد أرفقت بمشروع هذا القانون مقدمة بسيطة أذكِّر بها الرئيس أن هذا المشروع هو أول عمل تنظيمي وتشريعي، ثم بعد جهد علمي وخبرة تاريخية يبعد الدولة عن احتمالات هزيمة عسكرية مستقبلًا، وأنه أول مشروع قانون يحدد مسؤوليات وسلطات جميع المسؤولين عن شؤون الدفاع عن الدولة، وعن القيادة والسيطرة على القوات المسلحة، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة.

كرر الرئيس الاطلاع على المشروع لعدة أيام متصلة، ثم وافق عليه وقمت بإجراءات التصديق على مشروع القانون لدى السلطة التشريعية، وخرج القانون رقم ٤ لعام ١٩٦٨ لأول مرة في تاريخ تشريعات شؤون الدفاع عن الدولة وعن القيادة والسيطرة على القوات المسلحة في مارس ١٩٦٨. وبتطبيق هذا القانون

وضع أول أساس علمي لمسؤوليات وسلطات قمة القيادة الاستراتيجية في الدولة والأجهزة والقيادة المسؤولة عن شؤون الدفاع والسيطرة على القوات المسلحة.

وكان توحيد قمة القوات المسلحة التي أشرت إليها مقدمة لاندماج أفرع القوات المسلحة الرئيسية معًا وتحوَّلت القوات المسلحة إلى رأس واحد، وإلى جسد واحد، وجاء تحديد المسؤوليات والسلطات في هذا القانون لكل عضو من أعضاء هذا البناء الضخم، فأصبح متماسكًا يعمل بأسلوب واحد وتحت قيادة واحدة من أجل هدف واحد. وزالت البيروقراطية عن القوات المسلحة والتي كانت تقوي فكرة الانفصالية بين أسلحة القوات المسلحة المختلفة.

ونظرًا لضخامة وخطورة المسؤوليات التي حددها القانون لوزارة الحربية فقد نص على تحديد وتنظيم اختصاصات ومسؤوليات الأفرع الرئيسية والأجهزة المختلفة وواجبات وصلاحيات كبار المسؤولين بقرار من رئيس الجمهورية، وذلك ضمانًا لتوفير الاستقرار في وزارة الحربية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ملحق ٣

مشروع خطة تحرير سيناء جرانيت

التخطيط الاستراتيجي العام

بدأت أسس وعناصر التخطيط الاستراتيجي العام للصراع مع إسرائيل تظهر بوضوح بعد توجيهات الرئيس عبد الناصر لي يوم ١١/٦/١٩٦٧ وأضفتُ إليها حصيلة لقاء القمة المصري-السوفيتي بقصر القبة في يوليو ١٩٦٧. وفي أول لقاء لمجلس الوزراء تمت مناقشة ودراسة هذه الاستراتيجية لأول مرة على مستوى السلطة العليا في الدولة، كما كانت قرارات مؤتمر القمة العربي بالخرطوم في ٢٥/٨/١٩٦٧ تأكيدًا لهذه الاستراتيجية على المستوى القومي. وكذا بنيت الاستراتيجية العامة للأمة العربية بعد هزيمة ١٩٦٧ على فكر ودراسة وطنية وقومية جماعية.

نبعت من الاستراتيجية العامة خطة الاستراتيجية السياسية وخطة الاستراتيجية العسكرية فكرًا وتخطيطًا وتطبيقًا أشرف عليها وتابعها الرئيس عبد الناصر شخصيًّا، وقادها في التطبيق كل من وزير الخارجية محمود رياض، ووزير الحربية الفريق أول محمد فوزي.

التخطيط الاستراتيجي العسكري

بناء على التخطيط الاستراتيجي العام الذي أشرت إليه فقد تم التخطيط العسكري على الأسس التالية:

الهدف = تحرير سيناء بالقوة حتى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧.

التوقيت = فترة إعداد القوات المسلحة لتحقيق الهدف وإعداد الدولة والشعب ومسرح العمليات لا يزيد على ثلاث سنوات.

العناصر والمقومات الرئيسية هي:

١ - إرادة القتال للقوات المسلحة والشعب.

٢ - الاعتماد على الدعم السوفيتي بوصفه المصدر الوحيد للسلاح.

٣ - الهدف الواضح المحدد، تحرير سيناء والوصول بالقوات إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧، بالتعاون والتنسيق مع القوات السورية بالنسبة للجولان.

وبعد نجاح هذا التخطيط يتم استغلال هذا النجاح سياسيًّا وقوميًّا بالتعاون مع باقي الدول العربية لاسترداد حقوق الشعب الفلسطيني تطبيقًا لقرار القمة العربية في أغسطس ١٩٦٧ في الخرطوم، الذي نص على أن التخطيط الاستراتيجي العسكري شمل مرحلتين:

١ - المرحلة الأولى: تحرير الأراضي العربية.

٢ - المرحلة الثانية: إعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

كما قسمت المرحلة الأولى استراتيجيًّا إلى عدة مراحل زمنية لإعداد القوات عمليًّا لتحرير سيناء وهي: مرحلة الصمود، مرحلة المواجهة، مرحلة التحدي والردع، ثم تنتهي بمرحلة الاستعداد القتالي لتحرير الهدف السياسي والعسكري بالتعاون مع القوات السورية في الجولان.

مرحلة الاستعداد القتالي لتحرير سيناء أولًا: واجبات القوات البرية

بالتعاون مع القوات السورية في الجولان يتم تحرير شبه جزيرة سيناء على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: عبور القناة وتأمين عملية العبور ثم استرداد المضايق الاستراتيجية شرق القناة وتأمينها، وكلها عمليات دفاعية.

- المرحلة الثانية: الهجوم الشامل بالتعاون مع القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي والقوات البحرية واتخاذ المضايق القاعدة الصلبة للانطلاق وإتمام المعركة التصادمية الرئيسية في صحن سيناء مع قوات العدو لحين القضاء عليه، والوصول بالقوات إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ وتأمينها، وذلك بتطبيق الخطة الهجومية جرانيت.

كان الهدف المباشر للقوات الهجومية - المكونة أساسًا من ٥ فرق مشاة، ٣ فرق ميكانيكية، ٢ فرقة مدرعة، ثلاثة لواءات مدرعة مستقلة، ٣ كتائب استطلاع، لواء إنزال بحري، قوات الإبرار الجوي، قوات صاعقة، لواء مظلات، تعاونها القوات الجوية والقوات البحرية وقوات الدفاع الجوي - هو احتلال المضايق الرئيسية وتأمينها حتى يوم ي + ٢ وهذا يحقق المرحلة الأولى من الخطة.

يلي ذلك اندفاع القوات الميكانيكية والقوات المدرعة عبر المضايق بعد تأمين خط دفاعها من القاعدة الصلبة في المضايق الاستراتيجية للاشتباك مع العدو شرق المضايق، حيث يتم التصادم من الحركة مع مدرعات العدو والقضاء عليها، بمعاونة القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي المتحركة والقوات البحرية، عن طريق الإنزال البحري غرب العريش، والوصول بعد ذلك إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ وتأمينها. وهذه المرحلة تحقق خطة الهجوم جرانيت.

ثانيًا: واجبات القوات الجوية في مشروع العملية جرانيت

١ - التعاون المباشر مع الجيوش الميدانية على مستوى الفرق.

٢ - تحقيق القذف الجوي للأهداف المحددة في خطة عمليات القوات المسلحة.

٣ - التغطية الجوية: مظلات للأهداف الحيوية والجيوش الميدانية بالتنسيق والتعاون مع قوات الدفاع الجوي.

٤ - التنسيق مع القوات الجوية والدفاع الجوي السوري لقصف أهداف حيوية في إسرائيل والعودة إلى قواعدها في مصر أو اللجوء إلى القواعد الجوية السورية.

٥ - التعاون المباشر مع القوات البحرية في عملياتها في البحر الأحمر والبحر الأبيض ضد الهجمات الجوية المضادة بالتعاون مع الدفاع الجوي.

٦ - إتمام الاستطلاع التعبوي والاستراتيجي بالتنسيق والتعاون مع وحدات الاستطلاع الاستراتيجي السوفيتية.

ثالثًا: مهام وواجبات القوات البحرية في مشروع الخطة الهجومية جرانيت

١ - مساندة التشكيلات الميدانية وحماية جانبها الأيسر في البحر الأبيض المتوسط عند عبورها قناة السويس وتقدمها شرقًا لتحرير سيناء.

٢ - التخطيط لإنزال لواء بحري أو جزء منه على الساحل الشمالي قرب العريش بالتنسيق مع قوات الجيش الثاني.

٣ - قطع خطوط المواصلات البحرية لإسرائيل في البحر الأبيض المتوسط كذا في البحر الأحمر، وذلك بالقيام بالعمليات التالية:

- مهاجمة الغواصات المصرية لموانئ إسرائيل في البحر الأبيض المتوسط، خاصة ميناء «أشدود» التي تم التدريب عليها بقيام ٧ غواصات مصرية على التوالي في المدة من ديسمبر ١٩٦٩ حتى مايو ١٩٧٠ لاستطلاع عناصر القوة في الميناء ومعرفة ترددات الأجهزة الرادارية واختبار قوة الدفاع عن الميناء. وباتت كل غواصة في الميناء تحت سطح الماء ١٢ ساعة قبل عودتها إلى ميناء الإسكندرية. وكانت كل رحلة تستغرق ٢٠ يومًا.

- التخطيط لمهاجمة ميناء حيفا الإسرائيلي باستخدام القوات الخفيفة والسريعة من الوحدات الخاصة البحرية والضفادع البشرية بمعاونة فصائل المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان، مع استخدام الزودياك في عملية الاقتراب وتخزين وتشوين المعدات تحت حماية المقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان.

تطبيق الخطة جرانيت

اعتمدت الخطة جرانيت على بعض عناصر هامة هي:

١ - الاعتماد على التنسيق الدقيق المحكم والتعاون مع القوات السورية بحيث يكون إتمام الهجوم من الجبهتين الشمالية والغربية في توقيت واحد.

٢ - الاعتماد على توفر التأمين الجوي للعمليات في العبور والتقدم إلى الممرات مع توفر دفاع جوي قوي بإتمام وتجهيز وضبط نظام الصواريخ سام ٣ غرب القناة، بالإضافة إلى سيطرة جوية كاملة على منطقة العمليات في عبور قناة السويس وما بعدها شرقًا.

٣ - وجود التجميع الضخم للقوات المسلحة معدًّا إعدادًا جيدًا للقتال في أماكن حشدها للهجوم منذ ثلاث سنوات.

٤ - التفوق العددي والنوعي والروح المعنوية العالية والإرادة الصلبة لقواتنا والتصميم على تحقيق الهدف مهما كانت الخسائر.

٥ - الاعتماد على الدعم السوفيتي في استيعاض الخسائر في المعدات والأسلحة والذخيرة، كذا على قدرة السوفييت في الحصول على المعلومات الاستراتيجية

والتعبوية في مسرح العمليات، وذلك لتوفر وسائل الاستطلاع بأنواعها المتمركزة في أراضينا وتحت سيطرتنا.

صدَّق الرئيس عبد الناصر في منتصف شهر سبتمبر ١٩٧٠ على تنفيذ المرحلة الأولى فقط بصفة مبدئية، وأن يكون استعداد القوات المسلحة المصرية التي أعدت إعدادًا كاملًا بحيث لا يتأخر ميعاد استعدادها للقتال عن ربيع عام ١٩٧١. وقد أخطر الرئيس الزميل محمود رياض بهذا القرار أيضًا.

إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع صورة رقم: (٢)

فرع المعلومات رقم القيد: ل/ م/ ح/١١/١٧٤٩

التاريخ: ٢٣/٤/١٩٧١

تقدير موقف

عن تصرفات العدو المحتملة بالنسبة للعملية جرانيت

عام

١ - قدرت تصرفات العدو المحتملة بالنسبة للعملية جرانيت على أساس الاعتبارات التالية:

أ - أن العدو يقدر أن العمليات التعرضية التي قد تشنها قواتنا في هذه المرحلة عمليات محدودة من حيث حجم القوات ومدى عملها وأن المجهود الرئيسي لقواتنا سيركز في اتجاه القناة.

ب - أن فكرة أعمال العدو المحتملة مبنية على أساس استراتيجيته العسكرية في العمل الوقائي لإحباط تحضيرات الهجوم وإبعاد احتمالات تنفيذه؛ مع تركيز عملياته الدفاعية في التمسك بالحد الأمامي للدفاعات على القناة.

ج - أن أعمال قتال العدو الوقائية (التعرضية) والدفاعية ستتم في ظل تهيئة دعائية لإظهار بدء الجمهورية العربية المتحدة بالنشاط العسكري وأن تصرف العدو وقائي ودفاعي تبريرًا له في مواجهة الرأي العام العالمي.

٢ - يتناول هذا التقدير مراحل العملية طبقًا لتخطيط قواتنا كما يلي:

أ - مرحلة السكون الحالية

١) ويتم فيها استكمال إعداد وتدريب قوات جرانيت واتخاذ أوضاع الخطة الدفاعية ٢٠٠ في سرية

٢) وقد قدرت تصرفات العدو في هذه المرحلة على أساس الاحتمالين:

أ) كشف العدو لإجراءات ونوايا قواتنا.

ب) حالة عدم كشف العدو لإجراءات ونوايا قواتنا.

ب - مرحلة التحضير

١) ويتم فيها احتلال الأوضاع الابتدائية «لجرانيت» وتنفيذ نشاط سطح جوي وبحري وجوي إيجابي وقصفات مدبرة بالطيران والمدفعية.

٢) وقد قدرت تصرفات العدو في هذه المرحلة على أساس الاحتمالين:

أ) بدء المرحلة التحضيرية نتيجة اكتشاف العدو لإجراءات ونوايا قواتنا وبمبادأة منه.

ب) بدء المرحلة التحضيرية طبقًا لتخطيط قواتنا، وفي التوقيت الذي نحدده.

ج - مرحلة العمليات

١) ويتم فيها تنفيذ سطع تعبوي في المرحلتين الأولى والثانية من العملية جرانيت.

٢) وقد قدرت تصرفات العدو في هذه المرحلة على أساس التوقيتات التالية لتنفيذ كل مرحلة.

أ) تنفيذ سطع بقوة ليلة ي-١/ ي ١.

ب) تنفيذ المرحلة الأولى من العملية جرانيت ليلة ي ١/ ي ٢.

ج) تنفيذ المرحلة الثانية من العملية جرانيت اعتبارًا من ليلة ي ٢.

تصرفات العدو المحتملة خلال مراحل العملية المختلفة

٣ - مرحلة السكون

أ - من الناحية السياسية تستمر إسرائيل في هذه المرحلة في مناوراتها السياسية من موقف التشدد تنفيذًا لمخططها في هذه المرحلة والذي يهدف إلى تجميد الموقف السياسي والعسكري، وإبداء التشدد للحصول على أفضل تنازلات عربية وأكبر قدر من المساعدات العسكرية الأمريكية.

والخط السياسي الإسرائيلي من المشكلة ثابت بالنسبة لمحاولة التوسع «الجولان-شرم الشيخ-قطاع غزة-القدس-أجزاء من الضفة الغربية» وضمانات الأمن «نزع سلاح سيناء - عدم عبور قوات عربية لنهر الأردن مع وجود حزام المستعمرات الإسرائيلية على الضفة الغربية للنهر».

ولا يغير من هذا الخط المتشدد التحركات السياسية العربية والدولية التي لا تؤثر على الموقف الإسرائيلي حيث الدعم الأمريكي السياسي والعسكري مستمر لإسرائيل وامتناع أمريكا عن الضغط عليهم.

ب - ومن الناحية العسكرية فإن تصرفات العدو في هذه المرحلة يحددها مدى سرية وإخفاء نوايا وإجراءات قواتنا بالنسبة لاتخاذ أوضاع الخطة الدفاعية «٢٠٠» وخطط ونوايا العمليات الهجومية جرانيت، وعلى ذلك فإننا نقدر أعمال العدو المحتملة في هذه المرحلة طبقًا لاحتمالات كشف أو عدم كشف نوايا وإجراءات قواتنا.

ج - في حالة عدم كشف العدو لنوايا وإجراءات قواتنا

١ - يستمر النشاط الإسرائيلي العسكري الحالي في سيناء بمتابعة إجراءات تحسين التجهيزات الهندسية والتدريب على مختلف المستويات لأفرع القوات إلى جانب نشاط سطع وإجراءات التأمين.

٢ - الاستمرار في رفع قدرات وإمكانيات القوات المسلحة الإسرائيلية بمتابعة الحصول على الأسلحة والمعدات واستيعابها.

٣ - يظل حجم وأوضاع قوات العدو في سيناء كما هي حاليًّا دون تعديل وهو:

أ) قوات برية

٤ ل مش

٣ ل م

٤ ك بب مقل

٥ ك ناحال

١٢ ك مد

٢ ك حرس حدود وأقليات

ب) قوات جوية

٦-١٠ طائرات ميراج - مطار الميليز

٤ طائرة هوك - مطار تمادا

ج) قوات بحرية طبقًا لتمركزها الحالي الصادر من البداية.

د - في حالة اكتشاف العدو لنوايا وإجراءات قواتنا

١) يعتبر الأساس في تقدير أعمال العدو المحتملة في هذه الحالة هو اتجاهه إلى التحرك بالعمل العسكري الوقائي لإحباط تحضيرات قواتنا ومنع العمل التعرضي، ويعني هذا أن العدو سيخطط وينفذ عمليات عسكرية للإحباط تتم في ظروف سياسية مواتية بشن الحملة الإعلامية والترويج للنوايا العربية كغطاء وتبرير لعملياته الوقائية.

٢) تتطور إجراءات العدو العسكرية في هذه الحالة إلى جانب العمل الدعائي والسياسي طبقًا لما يلي:

أ) رفع درجات استعداد قواته المسلحة مع رفع نسبة التعبئة وتطويرها طبقًا للموقف.

ب) تدعيم قواته البرية في سيناء في النقط القوية والعمق التكتيكي مع تأمين خط المضايق.

ج) الفتح التعبوي للقوات البرية والجوية وقوات الدفاع الجوي والقوات البحرية لاتخاذ الأوضاع المناسبة لصالح عملياته المستقبلة.

د) تنشيط أعمال سطع بري وبحري وجوي وأعمال المخابرات لمتابعة موقف ونوايا وأوضاع قواتنا.

٣ - وتتم إجراءات العدو للاستعداد لتنفيذ العمليات الوقائية في سرية تامة لتوفير المفاجأة مع تنفيذ إجراءات خداع عن نوايا واتجاهات عمليات العدو المستقبلة.

٤ - وبنهاية هذه المرحلة يقدر أن يصل حجم قوات العدو المخصصة لجبهة الجمهورية العربية المتحدة حتى نهاية المرحلة الثانية من جرانيت إلى الآتي:

أ) قوات برية

٧ ل مش وميكا

٣ ل م

٣ ل مظ

٥ ك بب مقل

٥ ك نا حال

٢ ك أقليات وحرس حدود

حتى ٢٠ ك مد م، م د، هاون تدعيم

ب) قوات جوية

حتى ٢ سرب «٥٠-٦٠ مقاتلة» منها سرب مقاتلات في مطاري الميليز/ وتمادا،

سرب مختلط «مقاتلات-قاذفات» في مطار رأس نصراني.

ج) قوات الدفاع الجوي

حتى ١٢ موقع صواريخ م/ ط «العريش-بالوظة-أبو سمارة -أم مرجم-الكاسة-الميليز-كم ٢٠ ط الجدي. تمادا-كم ٢٩ متلا-رأس سدر- شرم الشيخ-رأس نصراني»

حتى ١٠ ك مد م ط خ ٤٠ مم ل ٧٠.

د) قوات بحرية

لا تغيير

٥ - تشكيل قوات العدو للمعركة

أ) تحقق قوات العدو المقدر تخصيصها للعمل على جبهة الجمهورية العربية المتحدة مهمتي الدفاع ضد احتمالات عمليات قواتنا الهجومية وفي نفس الوقت تنفيذ

العمليات التعرضية للإحباط بالتعاون مع القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي والقوات البحرية من داخل إسرائيل.

ب) القوات المخصصة للدفاع وتشكيلها للمعركة

- تدافع قوات العدو تعبويًّا في نسق وإحباط

ج) القوات المخصصة للعمليات التعرضية للإحباط

٢ ل مش ١، ميكا

١ ل مظ

٢ ك بب

تخصص كما يلي

ل مش أو ميكا + ك بب/ ل م المحدد الشمالي

للعمل ضد قطاع بورسعيد والمنطقة

شمال القنطرة

للعمل في قطاع ج ٣ في اتجاهات

ل مش + ك بب مقل مناطق كم ١٣٧-١٤٧، جنوب السويس

ل مظ مدعم في منطقة البحر الأحمر

٤ - المرحلة التحضيرية

أ - تبدأ المرحلة التحضيرية طبقًا لأحد الاحتمالين الآتيين:

١) يبدأ العدو في تنفيذ إجراءاته الإيجابية لإحباط تحضيراتنا للعبور نتيجة اكتشافه لنوايا وإجراءات قواتنا في مرحلة السكون.

٢) أو أن تبدأ طبقًا لمخطط قواتنا وفي التوقيت الذي تحدده ودون كشف العدو لتحضيرات قواتنا.

ب - أعمال العدو المحتملة في حالة بدء المرحلة التحضيرية نتيجة بدئه للنشاط الإيجابي

١) افتعال الاشتباكات التي تبرر توجيهه للعمليات الوقائية للإحباط.

٢) تتطور أعمال قتال العدو للإحباط طبقًا لما يلي

أ) القتال للحصول على السيطرة الجوية وحرية الحركة لقواته الجوية بتنفيذ ما يلي:

- ضربات بنيران الطيران والمدفعية بعيدة المدى والصواريخ أرض/ أرض والطائرات الموجهة ضد وسائل الدفاع الجوي عن الجبهة.

- المعارك الجوية لإحداث أكبر خسائر بالقوات الجوية.

- ضربات جوية مركزة ضد وسائل الدفاع الجوي والقوات الجوية.

ب) تنفيذ عمليات خاصة بالقوات البرية وقوات الإبرار الجوي والبحري في جميع مناطق الجمهورية وفي أكثر من منطقة في وقت واحد.

ج) تنفيذ عمليات قصف جوي ضد الأهداف العسكرية والجوية والقوات والقواعد البحرية.

د) قصف جوي وبنيران أسلحة القوات البرية ضد القوات في المناطق الابتدائية للعبور ومناطق حشد معدات العبور ووسائل النيران العامة ومراكز القيادة والسيطرة.

هـ) القيام بأعمال قتال تعرضية محدودة غرب القناة وفي منطقة البحر الأحمر بهدف إحباط خطط قواتنا للهجوم وإرباك القيادات والحصول على المبادأة، وينتظر أن تتم هذه العمليات في المناطق التالية وبالأسلوب الآتي:

- القطاع شمال القنطرة وقطاع بورسعيد

بقوة ل مش + ك بب وتنفذ بالإبرار الجوي والبحري مع الهجوم برًّا من اتجاهي القنطرة وبورفؤاد إلى جانب تنفيذ عمليات القطع والتأمين من اتجاهي دمياط/ بورسعيد، الإسماعيلية/ القنطرة.

- في مواجهة ج ٣

بقوة ل مش + ك بب في مناطق جنوب البحيرات ومنطقة جنوب السويس وتنفذ بالإبرار الجوي والبحري مع اقتحام القناة.

- في منطقة البحر الأحمر

بقوة ل مظ، مش مدعم وتنفذ بالإعداد الجوي والبحري.

٣) وفي مواجهة نشاط قواتنا الإيجابي في هذه المرحلة فمن المنتظر أن يقوم العدو بتنفيذ أعمال القتال الدفاعية التكتيكية لمقاومة نشاط عناصر الاستطلاع البرية بواسطة إجراءات التأمين «كمائن-حرب مضادة-مطاردة... إلخ» وبمعاونة القوات الجوية ونيران المدفعية إلى جانب قتال طائراتنا التي تعبر خط الجبهة والقطع البحرية التي تقترب من مداخل العدو.

ج - أعمال العدو المحتملة في حالة بدء المرحلة التحضيرية طبقًا لتخطيط قواتنا

١) يقوم العدو بتنفيذ إجراءات استعداداته لحشد القوات لاستكمال الأوضاع الدفاعية في سيناء ولتنفيذ الأعمال الوقائية التعرضية طبقًا لما سبق ذكره في مرحلة السكون بند ٣/د، ونقدر أن تستغرق هذه الإجراءات فترة من ٤٨-٧٢ ساعة.

٢) وفي نفس الوقت يبدأ العدو في تنفيذ إجراءات وأعمال القتال للإحباط المذكورة في البند ٤/ ب عاليه.

٣) ويصاحب عمليات العدو البرية والبحرية والجوية استخدام أعمال الحرب الإلكترونية من إعاقة وشوشرة وتداخل لاسلكي وإداري على نطاق واسع.

٥ - مرحلة العمليات

أ - تبدأ مرحلة العمليات طبقًا لتخطيط قواتنا بعد مرحلة تحضيرية وسبق تقدم أعمال العدو خلالها، وتقدر أعمال العدو المحتملة خلال مرحلة العمليات على أساس فشل أعمال قتاله خلال المرحلة التحضيرية في تحقيق أهدافها من حيث إحباط الهجوم أو الحصول على السيطرة الجوية.

ب - وتقدر احتمالات العدو خلال مرحلة العمليات من وجهة نظر الدفاع على الأسس التالية:

١) تركيز العدو على التمسك بإصرار وعناد بالحد الأساسي لدفاعاته على القناة وإدارة عملياته الدفاعية بهدف التمسك به أو استرداده.

٢) يركز العدو المجهود الرئيسي للدفاع في المنطقة التكتيكية.

٣) يدبر العدو عملياته الدفاعية على أساس تنفيذ الهجمات والضربات المضادة المدعمة بوسائل النيران الأرضية وبمعاونة كثيفة من القوات الجوية لتدمر القوات المهاجمة ورؤوس الكباري ومعدات ومعابر الاقتحام. ونستبعد اتجاه العدو للقتال بمقاومات من خطوط متتالية بين الدفاعات المنشأة على القناة وخط المضايق.

٤) حرص العدو وقتاله بعنف وإصرار للحصول على السيطرة الجوية.

ج - وبالنسبة لأعمال العدو التعرضية للإحباط والردع فنقدرها على الأسس التالية:

١) ضرورة إتمامها في ظل سيطرة جوية للعدو وصعوبة تنفيذها دون توفر هذا الشرط.

٢) تشمل عمليات خاصة تنفذ من العمق الاستراتيجي للدولة وأعمال قصف جوي استراتيجي ضد الأهداف الحيوية المدنية والعسكرية وتستمر هذه العمليات خلال مرحلة العمليات ويزداد معدلها وأعماقها ويتصاعد العدو بها.

٣) تبدأ أو تتطور في هذه المرحلة عمليات العدو التعرضية المحدودة بقواته البرية وقواته البحرية في المنطقة غرب القناة وفي منطقة البحر الأحمر، ويدير العدو هذه العمليات طبقًا للنتائج التي تحققها بالنسبة لتأثيرها على عمليات قواتنا الهجومية ونتائجها النهائية ثم يقرر العدو طبقًا للموقف الذي سينشأ إما تدعيمها أو سحبها.

د - تصرفات العدو المحتملة خلال تنفيذ الاستطلاع بقوة يوم ي-١

١) صد الضربة الجوية التي ستنفذها قواتنا بوسائل الدفاع الجوي عن سيناء وتدعمها بالمقاتلات من القواعد الجوية في إسرائيل طبقًا للموقف.

٢) متابعة تنفيذ الضربات الجوية ضد وسائل الدفاع الجوي والقوات في المنطقة الابتدائية للعبور.

٣) تنفيذ تمهيد نيراني مضاد بالمدفعية والطيران.

٤) بنيران أسلحة الضرب المباشر من النقط القوية ومن المرابض المجهزة في الساتر الترابي بين النقط القوية والتي تحتل بعناصر من الاحتياطيات المحلية ونيران أسلحة الضرب المباشر وبمعاونة القوات الجوية. يحاول العدو تدمير القوات القائمة بالعبور ومعدات العبور إلى جانب إشعال المواد الحارقة على الجانب الشرقي للقناة - بهدف منع قواتنا من اقتحام القناة.

٥) بنجاح عناصر الاستطلاع بقوة في اقتحام القناة والوصول إلى أهدافها على الشاطئ الشرقي يتم تركيز نيران أسلحة القوة البرية المباشرة وغير المباشرة من النقط القوية ومن خطوط نيران للاحتياطيات المحلية ومن المدفعية - يتم تكبيد القوات «قوات الاستطلاع بقوة» أكبر خسائر ثم إما اقتحامها بقوة ف بب ف مش ميكا ضد كل مجموعة تنجح في التقدم شرق الساتر الترابي أو تدمير المجموعات على الساتر الترابي وشرقه بتركيز النيران عليها.

٦) يتابع العدو محاولة تدمير القوات التي تنجح في التمسك بمواقعها على الضفة الشرقية بالنيران والهجمات المضادة بعناصر الاحتياطيات المحلية «ف بب + ف مش ميكا» خلال نهار ي ١. وبهدف استعادة الموقف على القناة.

ه- - تصرفات العدو المحتملة أثناء تنفيذ المرحلة الأولى - جرانيت

١) تنفيذ الإجراءات المذكورة في البنود ع - / ١-٤ عاليه ضد قوات المرحلة الأولى في المنطقة الابتدائية وأثناء العبور مع تركيز العدو على محاولة منع إنشاء معابر الاقتحام وتدمير معدات العبور والمركبات البرمائية على الضفة الغربية للقناة وأثناء الإبحار.

٢) يقاتل العدو بإصرار وعناد في النقط القوية وبمعاونة عناصر الاحتياطيات المحلية وبنيران المدفعية والطيران يحاول تدمير عناصر قواتنا التي تنجح في اقتحام القناة ويمنع إقامة رؤوس الكباري ويتوقع خلال س + ٣٠-٤٥ ق قيام العدو بهجمات مضادة محلية بقوة ف مش + ف بب ضد عناصر مشاة قواتنا التي تنجح في الوصول إلى الضفة الشرقية والتقدم شرق الساتر الترابي.

٣) يتمسك العدو بالنقط القوية وبمواقع صد الاختراق التي تحتلها الاحتياطيات المحلية على اتصال بقواتنا وخلال س + ١-٢ ساعة يتم الهجوم المضاد باحتياطيات ألوية النسق الأول حتى ك مش ميكا + ١-٢ س بب ضد أكثر قطاعات النجاح لقواتنا ثم يواصل العدو تدمير القوات في باقي القطاعات واستعادة الموقف على القناة.

وتتم الهجمات المضادة باحتياطيات ألوية النسق الأول بمعاونة نيران المدفعية والطيران ومع إضاءة أرض المعركة.

ويمكن للعدو القيام بالهجوم المضاد في اتجاهين في وقت واحد على كل محور «الجنوبي-الأوسط-الشمالي» كل بقوة حتى ك مش + ١-٢ س بب.

تمسك قوات العدو بالنقط القوية وتتبادل المعاونة بالنيران كلما أمكن ذلك وتقبل النقط القوية الحصار وتستمر في القتال بتهيئة الظروف للهجمات المضادة.

٤) وفي حالة فشل الهجمات المضادة باحتياطيات ألوية النسق الأول تستمر هذه الاحتياطيات من خطوط نيران في تثبيت قواتنا ومنعها من إقامة وتعزيز وتوسيع رؤوس الكباري مع تكبدها أكبر خسائر وتهيئة الظروف للقيام بالهجمات المضادة بالاحتياطيات التكتيكية.

٥) واعتبارًا من أول ضوء ي ٢ يقوم العدو بالاحتياطيات التكتيكية «ل م المليز، ل م تمادا ل م رمانة» أو بجزء منها بهجمات مضادة بقوة حتى ك بب + حتى ك مش ميكا ضد كل رأس كوبري تابع لقواتنا بمعدل ٢-٣ هجمة مضادة في وقت واحد على كل محور بالتعاون مع احتياطيات ألوية النسق الأول وقوات النقط القوية ونيران المدفعية والطيران. لمحاولة تدمير رؤوس الكباري واستعادة الموقف على القناة.

وتستمر محاولات العدو خلال نهار ي ٢ للقيام بالهجمات المضادة لتحقيق تدمير رؤوس الكباري مع المناورة بقواته ووسائل نيرانه المعاونة على المواجهة.

٦) وبنهاية يوم ي ٢ وفي حالة فشل قوات العدو في استعادة الموقف على القناة تستمر قواته في التمسك بالواقع الذي وصلت إليه بقوات المشاة وعناصر من الدبابات ويعيد العدو تجميع قواته خلال ليلة ي ٢/ ي ٣ لمتابعة الهجمات والضربات المضادة ي ٣ مع استمرار قواته في محاولة تكبيد قواتنا أكبر خسائر ومنع تعزيز رؤوس الكباري.

و - تصرفات العدو المحتملة أثناء تنفيذ المرحلة الثانية من العملية جرانيت

١) تقاتل قوات العدو التي على اتصال بقواتنا في رؤوس الكباري ضد القوات المهاجمة لمنع توسيع رؤوس الكباري خلال ليلة ي ٢/ ي٣.

٢) اعتبارًا من أول ضوء ي ٣ يقوم العدو بضربة مضادة بقوة حتى ل م «الاحتياطي التكتيكي بعد إعادة تجميعه» + ل مش ميكا «من ح التعبوي» ضد كل رأس كوبري مع قيام باقي قوات العدو التي على اتصال برؤوس الكباري بالهجوم المضاد بهدف تدمير رؤوس الكباري واستعادة الموقف على القناة.

٣) في حالة فشل العدو في تدمير قوات رؤوس الكباري يقوم بتعديل أوضاع قواته التي على اتصال بقواتنا مع الاستمرار في القتال لمنع تعزيز رؤوس الكباري وتكبيدها أكبر خسائر وتهيئة الظروف لضربات مضادة بالاحتياطيات التعبوية وجزء من الاحتياطي الاستراتيجي للموقف.

٤) وفي نفس الوقت يستمر العدو في إجراءات التعبئة والحشد واستكمال احتلال خط المضايق.

قوات العدو الجوية

٦ - تقدر إمكانيات قوات العدو الجوية كما يلي:

أ - طلعات القتال

١) يتوفر لدى العدو ٤٠٩ طائرات قتال يمكنها في اليوم الأول للقتال وبنسبة صلاحية كاملة ومتوسط معدل طلعات ٥ طلعات طيران/ يوم توجيه ٢٠٠٠ طلعة تتناقص بعد ذلك طبقًا لنسبة الصلاحية ومعدل الخسائر.

٢) يمكن للعدو توجيه الضربة الجوية للحصول على السيطرة الجوية ب- ٢٤٠-٢٥٠ طائرة يبدأ بها الضربة في الهجمة الجوية المركزة المفاجئة الأولى ثم يتناقص عددها في الهجمات التالية طبقًا لمعدل الخسائر.

ب - إمكانيات الإبرار والإسقاط الجوي

١) يمكن للعدو إسقاط حتى ك مظ مدعمة في طلعة واحدة.

٢) ويمكن للعدو إبرار حتى ك مظ أو مش مدعمة في طلعة واحدة.

٣) وبذلك يمكن للعدو بإمكانياته في الإبرار والإسقاط استخدام حتى ل في طلعة واحدة.

قوات العدو البحرية

٧ - تقدير إمكانيات العدو بالنسبة للإبرار البحري كما يلي:

أ - في البحر الأبيض حتى ك مش مدعمة ب حتى ٢ س بب في رحلة واحدة.

ب - في البحر الأحمر حتى ك مش مدعمة ب حتى س بب في رحلة واحدة.

الخلاصة

٨ - يعتبر الموقف الجوي العامل الحاسم في إمكان تنفيذ عمليات قواتنا بنجاح وفشل العدو في عملياته الدفاعية والتعرضية.

٩ - إن سرية وإخفاء إجراءات ونوايا قواتنا مع تنفيذ أعمال الخداع تتيح الفرصة لتحقيق مفاجأة العدو وتنفيذ عمليات قواتنا بنجاح ضد الحجم الحالي لقوات العدو في سيناء.

١٠ - تعتبر المرحلة التحضيرية عاملًا في كشف نوايا قواتنا وتتيح الفرصة للعدو لإجراء استعداداته للعمليات الدفاعية وتنفيذ مخططاته لإحباط تحضيرات قواتنا.

١١ - إن استراتيجية العدو العسكرية وأساليب قتاله تؤكد ضرورة سعيه للحصول على المبادأة والسيطرة الجوية وتنفيذ عمليات وقائية مع إدارة عملياته الدفاعية طبقًا لأسلوب الدفاع المتحرك بتنفيذ الهجمات والضربات المضادة وبمعاونة جوية كثيفة.

١٢ - المعركة الرئيسية للعدو ومجهوده الرئيسي مركز للاحتفاظ بالجزء الأمامي لدفاعاته على القناة وسيقاتل العدو باستماتة للاحتفاظ بهذا الخط واسترداده.

١٣ - إن عمليات العدو التعرضية لإحباط تحضيرات قواتنا وإرباك القيادات وموازنة النتائج السياسية لنجاح عمليات قواتنا الهجومية تأثر نجاحها وتفشل في

تحقيق أهدافها بسرعة القضاء عليها بقوات متفوقة. كما أن نجاح واستمرار وتطور عمليات قواتنا الهجومية يهدد أجناب ومؤخرة أية قوات للعدو، تعمل غرب القناة ويضطر العدو إلى تخليصها أو متابعة عملياتها بخسائر مكلفة.

١٤ - يعتبر التدخل في إجراءات العدو لحشد ودفع قواته الاحتياطية بالعمليات الخاصة عاملًا مؤثرًا في قدرته على دفعها في الوقت المناسب لتنفيذ مهامها كما أن تهديد خطوط مواصلات وإمداد العدو تؤثر على قدرة قواته على متابعة العمليات الدفاعية والهجومية.

لواء محرز مصطفى عبد الرحمن

مدير المخابرات الحربية والاستطلاع

تعليق

تعمدت إرفاق مشروع الخطة جرانيت بتفصيلاتها من وجهة نظر إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع التي كانت تمثل قوات العدو وأفعاله المحتملة إزاء تنفيذ هذه الخطة مع تسجيل الاعتبارات التالية:

١ - إن إدارة المخابرات ومجموعة من كبار المستشارين السوفييت كانوا حاضرين في أرض المشروع يوميًّا خلال تنفيذه بمعرفة جميع التشكيلات الميدانية من البرية والجوية والبحرية والدفاع الجوي.

٢ - إن تعليق إدارة المخابرات الحربية لم يورد ذكر التعاون مع سوريا طبقًا لاتفاق الدفاع المشترك الثنائي الموقع بين البلدين في ٨/١٩٦٩ وتطبيق هذا التعاون على الموقف في حالة اقتحام قواتنا لقناة السويس واحتلال المضايق الاستراتيجية، كذا لم يورد ذكر الزخم السوفيتي المتوقع حدوثه في المراحل الأخيرة للتحرير.

٣ - أظهر تعليق إدارة المخابرات الحربية أن مفتاح الموقف العسكري في قناة السويس هو الطيران، وإذا رجعنا إلى مقارنة بين القوات الجوية وبين إسرائيل نجد أن قواتنا الجوية متعادلة مع إسرائيل ومميزة بقرب قواعدها إلى مسرح العمليات خاصة في مراحل الهجوم الأولى، الأمر الذي يعطي السبق لقواتنا.

٤ - باقي القوات البرية والدفاع الجوي كانت النسبة تفوق إسرائيل ٢٠ إلى ١ كما حدث في اقتحام قناة السويس يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

٥ - إن إتمامي للخطة الهجومية جرانيت وتدريب جميع التشكيلات عليها لمدة تزيد على الستة أشهر بدأ من مستوى الفرق حتى وصلنا إلى مستوى التدريب المشترك لجميع الأسلحة المشتركة معًا في مشروع استراتيجي كبير أخذ زمنه، وهو المشار إليه في تعليق إدارة المخابرات الحربية - كان هذا المشروع والتدريب المكثف كله هو خاتمة إتمام مهمة القوات المسلحة المصرية التي كلفت بها كقائد عام للقوات المسلحة يوم ١١/٦/١٩٦٧: «إعداد القوات المسلحة المصرية للقتال إعدادًا علميًّا» في مواجهة العدو الذي كان يبغي إحباطها من البداية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

ملحق ٤

مذكرة إلى السيد رئيس الجمهورية

تقدير موقف سياسي-عسكري بشأن دعم جديد للدفاع الجوي

- منذ انتهاء جولة ١٩٦٧، والاستراتيجية العسكرية للجمهورية العربية المتحدة، متأثرة بالعوامل المحيطة بالموقف في الشرق الأوسط، تتخذ أشكالًا تهدف في نهايتها إلى تحقيق الهدف الاستراتيجي النهائي وهو تحرير الأراضي التي استولى عليها العدو.

- كان هدف الاستراتيجية العسكرية في المرحلة الأولى هو تحقيق الصمود حيث نجحت القوات المسلحة في تحقيقه تمامًا طبقًا للتخطيط الموضوع رغم كل ما أحاط بهذه المرحلة من صعاب.

من جانبنا كان يتحتم النجاح في تحقيق الصمود حفاظًا على كيان الوطن. ومن جانب العدو كان يهدف من بين ما يهدف إلى تحقيق وقف كامل لإطلاق النار على الحدود، بالإضافة إلى أهدافه العميقة الأخرى.

- من الطبيعي أن يتحقق الصمود باتخاذ وضع الدفاع، ومن الطبيعي أن يبدأ الدفاع في مراحله الأولى بدفاع سلبي حتى يكتمل شكله ومعوقاته ثم تحول إلى دفاع إيجابي، ثم إلى دفاع إيجابي نشط.

وكان هدفنا من المواجهة المباشرة وتنشيط الدفاع هو استنزاف العدو بإحلال أكبر الخسائر في أفراده ومعداته من جهة، ومن جهة أخرى تنشيط قواتنا المسلحة وكسر حالة الركود التي تصاحب القوات في وضع الدفاع عادة. هذا إلى جانب اكتساب الخبرة في القتال نتيجة الاحتكاك المستمر بالعدو.

- إذن كان هدفنا من مرحلة المواجهة المباشرة هو استنزاف العدو، في الوقت الذي كان أحد أهداف العدو وقف إطلاق النار لخدمة مآربه السياسية.

- هذا من وجهة نظر الاستنزاف المادي، إلا أن العدو تجاوز ذلك إلى الاستنزاف المعنوي بضربه أهدافًا عسكرية في ضواحي القاهرة، واستغلال الجانب الدعائي للتأثير على معنويات القوات والشعب.

- كان يمكن أن يمتد استنزاف العدو إلى أهداف أكثر حيوية أعني بها الأهداف الاقتصادية وما في حكمها، الأمر الذي دعا إلى اتخاذ خطوة سياسية مع الاتحاد السوفيتي تم بموجبها الموافقة على:

* دعم نظام الدفاع الجوي عن الجمهورية العربية المتحدة بما في ذلك المقاتلات.

* الحصول على سلاح لردع العدو في محاولة لتغذية الدفاع النشط بتحقيق التوازن مع العدو.

* إدخال عنصر الوسائل الإلكترونية حتى يتحقق التعادل مع العدو في هذا المجال، ولإعطاء الحرية لنظام ووسائل الدفاع الجوي في التعامل مع العدو.

- يمكن القول إن موافقة الاتحاد السوفيتي على هذا الدعم قد ساعد من ناحية التخطيط على استكمال نسبي في عناصر ونظام الدفاع الجوي، الأمر الذي يفترض أن يحقق توازن الدفاع، ويؤدي إلى تعادل ما مع العدو في هذه المرحلة.

- ولو أن هذا النظام للدفاع الجوي لم يختبر بعد من الناحية العملية إلا أنه بفرض نجاحه التام في المعركة، فإن أقصى ما يمكن أن يساهم في تحقيقه هو نقل عامل استنزاف العدو لصالحنا، ولكن على سبيل القطع فهو لن يحقق أية دفعة للأمام للمرحلة التعرضية الشاملة.

- وإذا تدارسنا الإمكانيات المتوفرة من الأفراد لوجدنا أن عدد الطيارين مثلًا قد بلغ الآن نسبة «١.٤» بالنسبة لعدد الطائرات المتوفرة - كما يتوفر العدد اللازم من الأفراد لتشكيل ثلاثة لواءات صواريخ جافة «سام ٣» تحت التدريب بالاتحاد السوفيتي. وحتى لو وصلتنا المعدات الكافية للأفراد المتوفرين، فلن ينقلنا ذلك من مرحلة الدفاع أيًّا كانت صورته. ملحق (أ) المرفق بين الاستكمالات من المعدات المطلوبة في هذه المرحلة.

- بذلك فإن معوقات تحقيق الهدف الرئيسي، وهو القيام بالأعمال التعرضية لتحرير الأرض «من وجهة نظر التسليح» تعتبر غير موجودة. ومن هنا كانت النظرة إلى أن أية أسلحة تطلب لاستغلال الإمكانيات المتاحة من الأفراد هي نوع من الاستكمال لتحقيق مقومات أفضل للدفاع.

وأخرج بحقيقة واضحة وهي أن هذا الاستكمال لا يعد بمثابة عامل يؤدي إلى تغيير استراتيجيتنا العسكرية، وبالتالي لا أرى موجبًا لطلب هذا التسليح على مستوى الدولة، إذ إنه لا يشكل تغييرًا في الخط الحالي.

- ما دمنا قد توصلنا إلى هذه الحقيقة، إذن ما هي المطالب التي تحقق الهدف وهو العمل التعرضي؟

أولًا: لا بد من توفر قوة جوية تسمح بتحقيق السيطرة الجوية على مسرح العمليات، وهو العامل الأساسي للقيام بعمليات تعرضية عادية - وتتضاعف أهميته عندما يتخلل هذه العمليات عمليات عبور لمانع مائي مثل قناة السويس.

وأهم دعائم هذه القوة الجوية الطائرة القاذفة المقاتلة المناسبة من ناحية المدى والإمكانيات القتالية - كذا الطائرة المقاتلة الاعتراضية التي تستطيع التغلب على طائرات العدو وإسقاطها، كذا التي تستطيع تقديم الغطاء للقوات البحرية وإعطاءها الفعالية المناسبة في العمليات.

ثانيًا: استكمال متطلبات الاقتحام الرأسي لحجم كتائب الصاعقة الموجود حاليًّا والمخطط لإنشائه، باعتبار أن الاقتحام الرأسي هو التطور الحتمي للعمليات المقبلة، ويكاد يكون هو الأسلوب الوحيد بالنسبة للتعامل مع بعض مناطق وأهداف مسرح

العمليات أعني استكمال إعداد الهليوكبتر طبقًا للمخطط التنظيمي في حجم القوات المسلحة.

ثالثًا: دفاع جوي مناسب يحقق الوقاية للتشكيلات عند قيامها بالعمليات التعرضية.

رابعًا: نظام مناسب متطور للشؤون الإدارية والفنية يتناسب وطبيعة المسرح، دون ما تقييد لخفة حركة القوات.

خامسًا: يخدم كل ذلك نظام استطلاع يحتوي على أدق وأحدث الأجهزة المتطورة تعبويًّا واستراتيجيًّا.

- ما دام الهدف هو الأعمال التعرضية بغرض استرداد الأرض، فإن بعض الأسئلة تفرض نفسها هنا، ماذا بعد الدفاع النشط والنجاح في استنزاف العدو؟ هل سيتبع ذلك تعرض محدود؟ وإذا كان الأمر كذلك وتحقق النجاح، فهل ننتقل إلى تعرض أعمق؟ وهل يمتد بنا التفكير إلى تعرض شامل؟ مدفوعين في كل خطوة بضرورة استغلال النجاح!

- إذا كانت الإجابة بكلمة «نعم» إذن لا بد من وجود خط سياسي جديد مع الاتحاد السوفيتي، يحقق تدبير جميع المعدات وخصوصًا الطائرات الحديثة من الآن حتى نعد الأفراد اللازمين مما قد يتطلب سنة كاملة حتى يكونوا جاهزين للقتال.

- أو قد يؤدي الخط السياسي إلى كسر القيد المضروب على القوات الروسية وإمكانية دعمنا بوحدات دفاع جوي متطور «سام ٣» بأطقمها وأفرادها وأجهزتها السوفيتية.

إن اتباع أحد الحلين أو كليهما أمر تحدده سياسة الدولة طبقًا لمقدار الحرج في توقيت تنفيذ المهمة الرئيسية.

- ولا يفوتني أن ألقي الضوء على الأمور المهمة التالية:

* إن هذا التقدير كله قد يختلف بصورة أو بأخرى إذا دُعم العدوُّ تدعيمًا آخر.

* إن الخطوات السياسية سواء كانت خارجية أم داخلية هي في تقديري ليست بالأمر السهل، وإن كان التعرض لها لا يدخل في اختصاصي المباشر.

* أي لا أستطيع أن أطرد عن تفكيري الصورة التي قد تكون بعد المعركة، تاركًا ذلك للناحية السياسية.

ديسمبر ١٩٦٩

فريق أول

محمد فوزي

وزير الحربية

وبعد موافقة الرئيس على التأخر على تقدير الموقف الطارئ أرسلت إليه مذكرة عن مطالب قوات الدفاع الجوي والقوات الجوية، أصبحت هي مهمة وفد الجمهورية

العربية المتحدة إلى موسكو ومحتوياتها مبينة في الملحق رقم ٥ المرفق.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ملحق ٥

مذكرة مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية

بشأن مهمة وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى الاتحاد السوفيتي من وجهة النظر العسكرية

أولًا - مطالب الدفاع الجوي

١ - صواريخ طراز RM-125 «سام ٣»

أ - تمت الموافقة على إمدادنا بعدد «١٨» كتيبة صواريخ وقود جافة أتوماتيكي نصف متحرك طراز RM-125 - تعمل على الارتفاعات من ٢٥ م إلى ١٧.٠٠٠ م.

ب - تشكل هذه الصواريخ في كتائب كل من ٤-٦ قواذف وكل قاذف يركب عليه ٢ صاروخ.

ج - من المنتظر أن تصل إلى الجمهورية العربية المتحدة في مارس ١٩٧٠، ويسبق وصولها بقليل عدد ٩٠٠ فرد من الاتحاد السوفيتي «ضباط ودرجات أخرى» مؤهلين للعمل عليها - كما يسبق وصول هؤلاء الأفراد مجموعة استطلاع للمعاونة في تمركزهم ودراسة مشاكل المواصلات والإيواء.

د - اتفق على أن يرتدي هؤلاء الأفراد الزي العسكري المصري وأن تتخذ إجراءات تأمين وصولهم وتمركزهم كما ستخصص عمارة سكنية مفروشة لهم في مدينة نصر لقضاء إجازاتهم.

ه- - تقوم الجمهورية العربية المتحدة في يناير ١٩٧٠ بإيفاد حوالي ٢٠٠٠ فرد «ضباط ودرجات أخرى» مؤهلين تأهيلًا أساسيًّا كعناصر في الدفاع الجوي وذلك لإتمام التدريب على نفس الصواريخ في الاتحاد السوفيتي لمدة ٦ شهور.

و - أرسلت لجنة برئاسة اللواء/ محمد علي فهمي قائد قوات الدفاع الجوي في المدة من ١٤-١٦/ ١٢/ ١٩٦٩ لبحث كافة التفصيلات المطلوبة لتمركز هذه الصواريخ والإلمام بخصائصها الفنية ومعرفة مرتباتها من الأفراد وتوقيع العقد مفوضًا عن سيادتكم.

ز - ستستخدم هذه الصواريخ لتكملة نظام الدفاع الجوي في منطقة التجميع الرئيسي للقوات المسلحة في القناة بالتنسيق مع الصواريخ الأخرى SAM-175، وذلك بالاستفادة من خفة حركتها وسهولة إدارة نيرانها وقدرتها على التعامل ضد الطيران المنخفض واعتمادها على المكونات الداخلية التي تحقق الإنذار والتوجيه والتتبع والاشتباك.

٢ - صواريخ SAM-175 معدلة «سام ٦»

أ - تمت الموافقة على إمدادنا بعدد «٢٠» كتيبة صواريخ SAM-175 معدلة ضد التشويش الراداري ومؤهلة للاشتباك ضد الطيران المنخفض «حتى ١٠٠ م».

ب - ستكون هذه الكتائب في الاتحاد السوفيتي جاهزة تحت طلب الجمهورية العربية المتحدة في أي وقت خلال ١٩٧٠، حيث سيتم طلبها تدريجيًّا على ضوء إمكانيات تدبير الأطقم واستكمالها.

ج - كلف اللواء/ محمد علي فهمي بالتعاقد عليها مفوضًا من سيادتكم.

٣ - محطات رادار

أ - تمت الموافقة على إمدادنا بعدد «١٤» محطة رادار من نوع P-15 وP-12 بالإضافة إلى «٢٩» جهاز لاسلكي متوسطًا للدفاع الجوي وذلك طبقًا لشروط اتفاقيات التسليح وليس كأصناف مهنية.

ب - وسينظر في زيادة عدد هذه الرادارات مستقبلًا.

٤ - الصواريخ الفرديةSTRELA-2 «ستريلا» أو «سام ٧»

أ - لم يوافق الجانب السوفيتي على زيادة مجموعات الصواريخ الفردية STRELA-2 واكتفى بعدد ١٥٠ قاذفًا التي سبق الاتفاق عليها وذلك لنقص معدل الإنتاج لديهم.

ب - لم يوافقوا كذلك على زيادة خطوط الصواريخ اللازمة لأكثر من وحدة نارية لنفس السبب.

ج - سوف ينظر في زيادة العدد حسب طلبنا في نهاية ١٩٧٠.

ثانيًا: مطالب القوات الجوية

٥ - طائرات تدريب

أ - تمت الموافقة على زيادة طائرة التدريب في وحدات التدريب الثلاث ميج ٢١، ميج ١٧، سو ٧.

ب - تم الاتفاق على تدعيم قواتنا بطائرات تدريب «١٥ ميج 21 D، ٥ سو 7 D» بحيث تتواجد طائرة تدريب في كل سرب.

٦ - عيوب الطائرة ميج21 M

وعد الجانب السوفيتي بدراسة العيوب الرئيسية في الطائرة ميج 21 M المعدلة واتفق على وقف إرسال الباقي تحت التوريد من هذه الطائرات «٣٠ طائرة من إجمالي ٩٥ متعاقدًا عليه» وذلك لحين الوصول إلى حلول بالنسبة للموضوعات الفنية الخاصة بهذه الطائرة.

٧ - الطائرة ال-٦٢

تقدمت بطلب للحصول على طائرة ال-٦٢ بشرط دفع نصف القيمة مثل اتفاقيات التسليح وقد وعد الجانب السوفيتي بدراسة الطلب بواسطة وزارة التجارة الخارجية السوفيتية.

٨ - المعاونة بالطيارين

أ - تمت الموافقة على إرسال طيارين مقاتلين من الاتحاد السوفيتي للعمل في أسراب الدفاع الجوي وبالذات على الطائرة ميج ٢١.

ب - يصل هؤلاء الطيارون تباعًا إلى الجمهورية العربية المتحدة «سربًا فآخر» ويبدأ وصولهم في وقت قريب بعد الاتفاق على تفصيلات التمركز والمواصلات ونظام القيادة والسيطرة والتوجيه كذا الموضوعات الإدارية.

ج - اشترط الجانب السوفيتي شرطًا واحدًا فقط وهو عدم السماح لهم بعبور قناة السويس شرقًا.

د - ستتم مناقشة جميع التفصيلات في موسكو بمعرفة اللواء/ حسني مبارك رئيس أركان القوات الجوية بالاشتراك مع رئيس المستشارين السوفييت للقوات الجوية أثناء وجودهما هناك المدة من ١٤-١٦/ ١٢/ ١٩٦٩.

ه- - تمت الموافقة على إرسال أطقم إدارة عمليات وتوجيه واتصال على مستوى المركز الرئيسي لعمليات الدفاع الجوي فما دون، للعمل مع الطيارين السوفييت في الجو.

٩ - تدريب الطيارين

ووافق على مبدأ تدريب الطيارين المصريين على أساس أن يتم تدريبهم الأساسي والتخصصي في الجمهورية العربية المتحدة ثم يستكمل تدريبهم في الاتحاد السوفيتي لرفع المستوى أو عند التحويل من طائرة إلى أخرى فقط.

١٠ - تجهيز الطائرات بأجهزة استطلاع إلكترونية

أ - تمت الموافقة على تجهيز طائرات مروحية بأجهزة الاستطلاع الإلكترونية بمعرفة الاتحاد السوفيتي.

ب - ستعمل هذه الطائرات لصالح إدارة المخابرات والاستطلاع.

١١ - أجهزة التعارف TFF

وعد الجانب السوفيتي بحل موضوع اختلاف أجهزة التعارف TFF بين الطائرات بعضها وبعض، وبينها وبين الصواريخ الأرضية والسفن الحربية وذلك على أساس توحيد نظام التعارف ليكون جميعه «كريمني ٢».

١٢ - التشويش الراداري

وعد الجانب السوفيتي بدراسة موضوع التشويش على أجهزة الرادار والأجهزة اللاسلكية سواء التشويش المحوري أو ضد منطقة.

ثالثًا: طلبات القوات البحرية

١٣ - وعد الجانب السوفيتي ببحث طلبات القوات البحرية ، وإفادتنا عنها مستقبلًا وهي:

أ - دعم زوارق الطوربيد بجهاز إدارة نيران للمدفع ٣٠ مم م/ط.

ب - استبدال ٤ غواصات قديمة طراز ٦١٣ بعدد ٢ غواصة طراز ٦٣٣.

١٤ - لم يوافق الجانب السوفيتي على طلبنا الخاص باستبدال عدد (١) كاسحة، (٢) زورق طوربيد بعدد (٤) قناص - وكان هذا الطلب تعويضًا لما سبق تقديمه إلى الجمهورية العربية الليبية كهدية.

١٥ - الأسطول الروسي

كلف الأسطول الروسي بالبحر الأبيض المتوسط باستطلاع شواطئ إسرائيل وإمدادنا بالمعلومات التي يتم التحصل عليها.

رابعًا: طلبات التسليح المقدمة سابقًا

طلبات التسليح المقدمة في شهر سبتمبر على مستوى الدولة وتلك الإضافية التي قدمتها في نوفمبر ١٩٦٩ لا زالت تحت الدراسة وسيتم الرد عليها قريبًا.

خامسًا: المعاملة المالية

أ - تمت الموافقة على تعديل نظام الدفع بالنسبة لاتفاقيتي ١٧/ ٩/ ١٩٦٩، ١٦/ ١٠/ ١٩٦٩ لتكونا بنظام اتفاقيات التجارة والدفع وليس بأسلوب معاملة الأصناف المدنية، وكان من المقرر معاملة جزء منهما معاملة الأصناف المدنية.

ب - لم يوافق الجانب السوفيتي على تغيير اتفاقية ١٠/ ٨/ ١٩٦٩ المدفوعة بالعملات الليبية «٢٣ مليون ج. ك» لتكون مثل اتفاقيات التسليح أي بنظام خصم ٥٠٪.

سادسًا: رأي وزير الحربية

١٦ - أعتبر هذه الموافقات خطوة للأمام لدعم مطالب الدفاع الجوي في جميع عناصره وذلك لاقتناع الجانب السوفيتي بأن قوات الدفاع الجوي هي أضعف القوات الرئيسية في قواتنا المسلحة وفي الوقت نفسه تعتبر أهم فرع من أفرع القوات الرئيسية خصوصًا في المرحلة الحالية.

١٧ - مشاركة الاتحاد السوفيتي بالأفراد سواء لتشغيل الصواريخ أو لدعم أسلوب طائرات الدفاع الجوي تعتبر خطوة تتم لأول مرة طبقًا لأسلوب التعاون بين الاتحاد السوفيتي والدول الصديقة من غير الدول الشيوعية.

١٨ - كان حل المشاكل الدفاعية المعروضة وخاصة بالنسبة للنواحي الفنية سعيًا وراء كفاءة قتالية أفضل، موضع اهتمام الجانب السوفيتي وخاصة المارشال «جريشكو» وزير الدفاع.

١٩ - استنتجت خلال المحادثات أن بعض التقارير الحساسة عن نواحي النقص في قواتنا بالنسبة للتسليح الروسي في ظروف المعركة الدائرة في منطقة القناة لا تصل إلى المارشال «جريشكو» شخصيًّا - وعلى سبيل المثال:

أ - موضوع الطائرة ميج 21 M.

ب - موضوع الاستطلاع الإلكتروني.

ج - موضوع الشوشرة.

د - موضوع أجهزة التداخل الإيجابي ضد العدو.

ه- - موضوع أسلوب القتال بين طائرات العدو وصواريخنا الحالية SAM-175 «سام ٦»

و - صعوبة صقل وتدريب الطيار المصري المقاتل.

ز - مدى الحاجة إلى دعم الدفاع الجوي بمواسير م/ ط «١٠٠ مم، ٥٧ مم» في العمل ضد الطائرات علاوة على الصواريخ.

ح - عدم إعطاء أسبقية عليا للدفاع عن أهداف الدولة الحيوية مثل مصادر المياه والكهرباء الموزعة على طول الجمهورية العربية المتحدة.

٢٠ - في اعتقادي أن الدفاع الجوي بهذا التسليح الجديد يعتبر مستكملًا فيما عدا:

أ - تواجد الطائرة الاعتراضية المناسبة ليلًا ونهارًا.

ب - زيادة كثافة التغطية الرادارية.

هذا وقد كلفت اللواء/ محمد علي فهمي بإدخال مناطق سفاجة ومرسى مطروح وبورسعيد في الاعتبار لتغطيتها بالصواريخ خاصة أن عدد الأفراد المتفق على إرسالهم إلى الاتحاد السوفيتي للتدريب على الصواريخ الجديدة يساوي ضعف العدد اللازم لعدد «١٨» كتيبة صواريخ.

للتفضل بالإحاطة.

ديسمبر ١٩٦٩

فريق أول/ محمد فوزي

وزير الحربية

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حضور مناورة تعبوية لمباراة بين فرقتين مدرعتين في منطقة تدريب الجبهة عام ١٩٦٩

لقاء في قصر القبة عام ١٩٦٨

ملحق الصور

في لقاء مع قاعدة الطيران في بلبيس عام ١٩٦٨

في المنطقة المركزية ـ دفاع جوي ـ لقاء سياسي ومعنوي

في جبهة القتال عام ١٩٦٩

الرئيس يستمع إلى شرح عناصر المشروع التعبوي بالجنود لإحدى الفرق المدرعة خلف جبهة القتال

الرئيس في لقاء متابعة مع إحدى القواعد الجوية عام ١٩٦٨

في صالة محاضرات هايكستب لقاء معنوي وسياسي لقوات المنطقة المركزية عام ١٩٦٨

لقاء معنوي وسياسي مع الجنود في مقر القيادة الميدانية خلف الجبهة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

إهداء..

تنويه

مقدمة

الفصل الأول

الموقف العام

الفصل الثاني

إعداد مسرح العمليات

الفصل الثالث

التخطيط الاستراتيجي العام للمعركة

الفصل الرابع

رفع القدرة والكفاءة القتالية

الفصل الخامس

مراحل العمليات الحربية

الفصل السادس

اجتماعات القائد الأعلى بقادة القوات المسلحة

الفصل السابع

أعمال قتال الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة

الفصل الثامن

محاولات سياسية من أجل التسوية الشاملة

الفصل التاسع

رحيل القائد والزعيم

الفصل العاشر

تحليل ودروس الصراع المسلح في حرب الاستنزاف

ملحق ١

تقدير موقف

العمل العربي العسكري الموحد لإزالة آثار العدوان

ملحق ٢

تنظيم أسلوب القيادة والسيطرة على شؤون الدفاع عن الدولة وعن القوات المسلحة

ملحق ٣

مشروع خطة تحرير سيناء جرانيت

التخطيط الاستراتيجي العام

ملحق ٤

مذكرة إلى السيد رئيس الجمهورية

تقدير موقف سياسي-عسكري بشأن دعم جديد للدفاع الجوي

ملحق ٥

مذكرة مرفوعة للسيد رئيس الجمهورية

ملحق الصور

Notes

[←1]

جمال حمدان، «شخصية مصر»، الجزء الثاني، ص ٧٣.

[←2]

كان مجلس الرئاسة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر وعضوية السادة: عبد اللطيف البغدادي، عبد الحكيم عامر، زكريا محيي الدين، حسين الشافعي، كمال الدين حسين، أنور السادات، حسن إبراهيم، علي صبري، أحمد الشرباصي، د. نور الدين طراف، كمال الدين رفعت.